



الجمـــــل

التاريخ الطبيعي والثقافي

سلسلة الحيوانات

روبرت إيروين


ترجمة: أحمد محمود

الجمـــل

روبرت إيروين

ترجمة: أحمد محمود

مراجعة: د. خالد المصري



سلسلة الحيوانات

الجمــل

التاريخ الطبيعي والثقافي

الطبعة الأولى 1433هـ 2012م
حقوق الطبع محفوظة

QL737.U54 I7912 2012
Irwin, Robert, 1946-
[Camel]
الجمل / تأليف روبرت إيروين : ترجمة أحمد محمود ؛ مراجعة خالد المصري.-أبو ظبي : هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2012.
263 ص ؛ 13.5×19سم.
ترجمة كتاب: Camel
تدمك: 978-9948-17-044-0
1 - الإبل. 2 - الحيوانات - فسيولوجيا.
أ-محمود، محمد. ب-مصري، خالد.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنجليزي:
Robert Irwin
Camel
Copyright © Robert Irwin 2010
Camel by Robert Irwin was first published by Reaktion Books in the Animal series. London. UK 2010

كلمة
KALIMA
www.kalima.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 451 6515 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+

هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة
ABU DHABI TOURISM & CULTURE AUTHORITY



المحتويـــات

مقدمـــة 9
الفصل الأول: الفسيولوجيا والسيكولوجيا 15
الفصل الثاني: أسلاف الجمل.............................. 45
الفصل الثالث: الجمل العملي 57
الفصل الرابع: الجمال في عصور العالم الإسلامي الوسطى......... 83
الفصل الخامس: جمال الحيوان: الأدب والفن 119
الفصل السادس: دور الجمل في التاريخ 163
الفصل السابع: جمل الحداثة.............................. 203
المراجـــع.. 231
ببليوجرافيا مختـــارة 250
جمعيات ومواقع إلكترونية 259
عرفان وتقدير.. 260
حقوق الصور... 261



مقدمـــة

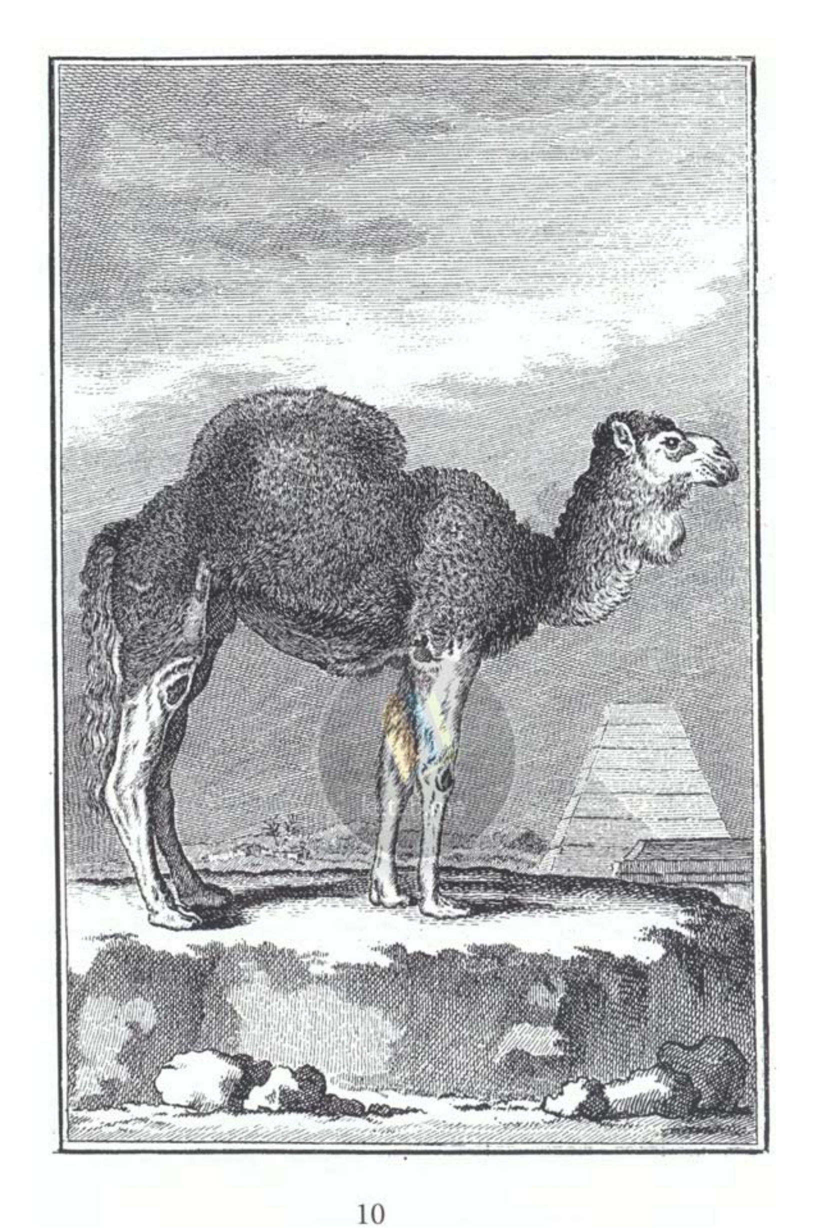
«فيبي، هل تعتقدين أن حيوانك المفضل يقول الكثير عنكِ؟»
«هل تعنين من وراء ظهري؟»
كان هذا جزءاً من الحديث الذي دار بين ريتشل جرين Rachel Green وفيبي بوفيه Phoebe Buffay في المسلسل التليفزيوني الأمريكي «أصدقاء» Friends.

هذا كتاب عن الجمل ذي السنام الواحد والجمل ذي السنامين(*). وفي الكتاب، سأشير إلى الأول بالجمل العربي والثاني بالجمل ذي السنامين. قد يعترض المحافظون على صفاء اللغة قائلين إن المعنى الدقيق لـ «الجمل العربي» يجب أن يشير إلى جمل السباق أو الجمل الأصيل. وقد حاول مستكشف الصحراء ويليام جيفورد پالجريف Willam Gifford Palgrave الذي عاش في القرن التاسع عشر معالجة اللبس المصطلحي:

الجمل والجمل الأصيل في بلاد العرب هو النوع والمخلوق ذاته، إلا أن الجمل الأصيل ينحدر من سلالة رفيعة، في حين ينتمي الجمل العادي إلى سلالة دنيا، وهو الفرق نفسه الذي بين حصان السباق وحصان الركوب العادي؛ فكلاهما حصان، لكن الأول

ظلال قافلة
جمال على
رمال الصحراء.
دونهوانغ بإقليم
جانسو بالصين.

(*) يُعرف الجمل ذو السَنَامَيْن كذلك بالبعير ذي السَنَامَيْن أو الفَلْج أو الفَالج أو البُلُول أو القِرْعَوْس أو الدُهَانِج أو الدُنَاهِج أو الدُهَامِج أو القِرْمِل أو العُصْفُورِيّ. (المترجم)



من سلالة رفيعة والآخر ليس كذلك. والجمل الأصيل هو حصان السباق ضمن نوعه؛ فهو نحيف ورشيق (أو هو كذلك نسبيّاً) ووبره ناعم وخطوته خفيفة وخطوه هيِّن وأكثر تحملاً للعطش بكثير من الجمل البدين ذي الوبر الكثيف والأقدام الثقيلة والحركات الخرقاء. غير أن لكل منهما سناماً واحداً.[1]

إن كلمة dromedary الإنجليزية (وتعني الجمل العربي) مشتقة من الكلمة اليونانية dromos ومعناها «الطريق» أو «المسار». لكن من الناحية العملية تستعمل dromedary على نطاق واسع للإشارة إلى أي نوع من الجمال ذات السنام الواحد، مما أدى إلى اختفاء المعركة الاصطلاحية تلك. أما بالنسبة لكلمة Bactrian الإنجليزية (وتعني الجمل ذا السنامين) فإنها تشير إلى منطقة في شمال أفغانستان كثرت فيها الجمال ذات السنامين. (إلا أنني لا أظن أن أيّاً منها موجود في الآن). وللتمييز بين الجملين، سيكون من المفيد أن نفكر في الحرف D الخاص بالجمل العربي وهو مقلوب على جانبه مشكِّلاً سناماً واحداً، وفي الحرف B وهو مقلوب على جانبه مشكِّلاً سنامين.

هذا هو كتابي الأول الذي تكون فيه القضايا العلمية مدار النقاش. ويدهشني أن أكتشف أن النزاع والغموض ونقص الأبحاثِ تشوش إلى حد بعيد الدراسة العلمية للجمل. فعلى سبيل المثال، كم معدة لدى الجمل؟ لقد قال الطبيب البيطري الفاشي المتخصص في الجمال أرنولد لِيسArnold Leese إنها ثلاث. وأكد كتاب Camel Corps Training Provisional (تدريب سلاح الهجانة)، الصادر عن مكتب قرطاسية جلالة الملك في عام 1913، أنها أربع. أما جبرائيل جبور، وهو حجة في أسلوب حياة البدو الذين يعتنون بتربية الجمال، فيشير، مفنداً أن للجمل خمس معدات، إلى أن له أربعا. وظن المؤرخ إدوارد

'Le Dromadaire'
من كتاب الكونت
دي بوفون «التاريخ
الطبيعي» (1799–
1800)

جيبون Edward Gibbon أنها خمس. و يؤيد معظم المؤرخين المحدثين أن العدد ثلاثة. وليس هناك إجماع بين علماء الحفريات بشأن ما إذا كان الجمل قد ظهر أول ما ظهر في العصر الأيوسيني المبكر أم الأوسط أم المتأخر، أو أي وعي بأنه تم التعبير عن آراء مختلفة بهذا الخصوص. فهناك تقديرات شديدة الاختلاف بشأن طول الفترة التي يستغرقها الجمل العربي في التزاوج. وتطرح بعض المصادر الزعم المشكوك فيه الذي يقول إن الجمال لا يمكنها التزاوج إلا بمساعدة من البشر. وجرى التعبير عن آراء على قدر كبير من الاختلاف بشأن ما إذا كانت الجمال تبدي حبّاً للبشر أم لا، أو ما إذا كانت ذكية أم لا. وهناك كذلك تخمينات قليلة بشأن زمان استئناس الجمال لأول مرة ومكانه. وقد بذلت ما في وسعي كي أشق طريقي وسط هذا كله وأقدم ما يبدو لي أفضل التخمينات.

ما معنى أن تكون جملاً؟ كيف يعيش الجمل الحياة؟ هل يفكر في الغد؟ ما هي طبيعة حياة الجمل في المكان الذي يتحدد ويتشكل، بشكل أساسي، من روائحه؟ كيف ستكون الحال عند قضاء معظم السنة دون أن يشغل الجمل نفسه بتاتاً بالجنس، ثم يقضي جزءاً من موسم الشتاء مهووساً به على نحو عنيف؟ ما نوع الحياة الجنسية التي لشم البول فيها دور كبير؟ كيف يمكن أن يكون الأب غير مبالٍ بوليده بتاتاً؟ لماذا تحب الجمال قضاء وقت مع غيرها من الجمال؟ ما الذي يجعلها تستجيب للأغاني والموسيقى؟ ما هو الشيء الذي في الجمل ويجعله يخضع بسهولة لأوامر البشر؟ ما مقدار ما يحتفظ به الجمل من تجربته في ذاكرته؟ هل يعي الجمل أنه سيموت في يوم من الأيام؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يرى الموت؟ وهل تتساءل الجمال عن معنى أن يكون المرء إنساناً؟[2] لقد قال السير توماس براون Sir Thomas

Browne: «ما هي الأغاني التي غنتها عرائس البحر؟ وما هو الاسم الذي اتخذه لنفسه عوليس عندما أخفى نفسه بين النساء؟ هذان سؤالان محيران، إلا أنهما غير بعيدين عن كل تخمين». غير أنه يهيأ لي أن التجربة الحياتية للجمل تتجاوز قدرتنا على التخمين. وهي تتجاوز بالتأكيد قدرتي على التخمين. وكما أشار لودڤيج ڤتجنشتاين Ludwig Wittgenstein: **«لو تكلم الأسد لما فهمناه»**.[3] ومن المحتم أن أي تأمل مترو لعالم الحيوان يثير سؤالاً غير قابل للإجابة، وهو ما معنى ألا تكون إنساناً؟ لكن في الفصول الآتية سنعالج أسئلة أكثر سهولة بشأن الجمل.

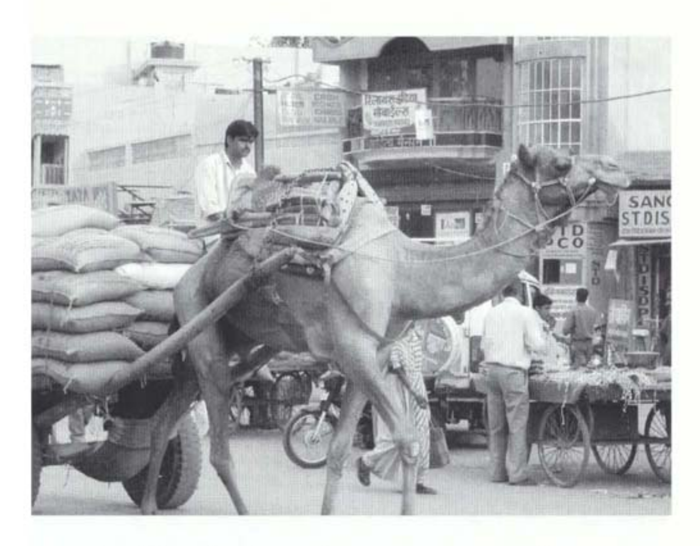
الفصل الأول

الفسيولوجيا والسيكولوجيا

هذه هي سفن بلاد العرب، وبحارها هي الفيافي. إنه مخلوق فطره الله كي يحمل الأثقال. فحمولته العادية ستمئة رطل؛ إلا أن بوسعه حمل ألف رطل ... وهو يسير أربعة أيام متواصلة بلا ماء، وإذا حكمت الضرورة تصير أربعة عشر. وهو بتجشوءه الكثير يضغط المثانة التي يرطب بها فمه وحلقه ... خطوه بطيء، وصعب على نحو غير محتمل، إذا كانت أقدامه غير واثقة حين تكون الأرض زلقة أو غير مستوية بعض الشيء. وهو حيوان رقيق وتسهل قيادته، ما عدا في موسم التكاثر. ففي ذلك الحين، وكأنه يتذكر ما لقيه من سوء معاملة من قبل، يعض سائسه ويوقعه أرضاً ويرفسه: أربعون يوماً متصلة من غضبه، وبعد ذلك يعود إلى وداعته السابقة.

George Sandys، A Relation of a Journey Began 1610 .An. Dom

«الجمل حصان صممته لجنة ما» هي الملاحظة المنسوبة إلى مصمم السيارات السير أليك إيسيجونيس Sir Alec Issigonis (1900–1988). وكما سنرى، لابد أنها كانت لجنة عليمة إلى حد كبير، على معرفة بالتشريح والتحكم في درجة الحرارة والتغذية والبيئة الصحراوية، إلى جانب أمور كثيرة أخرى. وكان أعضاء هذه اللجنة سيصبحون مصممين لنبوغ حقيقي، إذ قدر أن 14٪

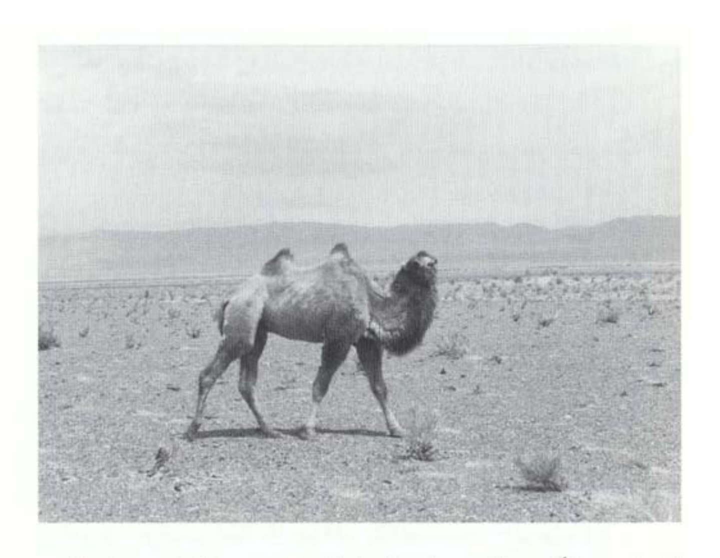


الجمل العربي يجر حملا في راجستان بالهند

من سطح الأرض صحراء، وقد تكيف الجمل بشكل مثالي مع تلك البيئة. وكان الحصان سيهلك بسرعة في ذلك النوع من البيئة التي ازدهر فيها الجمل.[1]

الجمل من رتبة ذوات الظلف التي تضم ثلاثة أنواع: مزدوجات الأصابع والمجترات وذوات الخف. والمجترات هي التي تسترجع الطعام من المعدة وتمضغه. وفي هذه الحالة يسمى الطعام «الجِرَّة». والغنم والماعز والغزلان مجترات لأنها تمضغ الجِرَّة. ومع أن الجمال واللاما مجترات كذلك، فهي لا تصنَّف على أنها مجترات، بل توضع في رتبة ذوات الخف، تمييزاً لها بأقدامها المفلطحة. وفي عصور ما قبل التاريخ كانت هناك أنواع عديدة من ذوات الخف، لكنها انقرضت، والجمال وأشباه الجمال في أمريكا الجنوبية هي فقط ما تبقى من ذوات الخف.

عظام الجمل كثيفة وصلبة وتستخدم أحياناً بديلاً للعاج. ولدى أجنة كل من الجمل العربي والجمل ذي السنامين بداية


الجمل
ذو السنامين

السنامين، لكنهما في حالة الجمل العربي يندمجان في سنام واحد في أثناء التطور الجنيني. (يشير هذا إلى أن الجمل ذا السنام الواحد تطور من الجمل ذي السنامين). وغالباً ما يكون سنام الجمل ذي السنامين مترهلاً، في حين يظل سنام الجمل العربي أكثر تماسكاً. ومتوسط ارتفاع الجمل العربي هو ست أقدام (183 سم) عند الكتفين وسبع أقدام (213 سم) عند السنام. والجمل ذو السنامين أقل ارتفاعاً وسيقانه أقصر. ولدى الجمل ذي السنامين وبر أشعث من أكتوبر إلى مارس.

ليس للناقة وبر على الرقبة. والجمجمة تشبه جمجمة الحصان. وهناك الكثير جداً من الاختلاف بشأن ما تحتويه الجمجمة من ذكاء. وهناك كذلك جدل بشأن ما إذا كان بإمكان الجمال تكوين علاقات ودية مع البشر أم لا.

وقد زعم البعض أن الجمال ليست ذكية، بل إنها لا ترتبط بعلاقات ودية مع البشر. وقدم مستكشف الصحراء الذي عاش

في القرن التاسع عشر ويليام جيفورد پالجريف William Gifford Palgrave رواية غير جذابة للجمل:

هو بصورة عامة حيوان غير مستأنس ومتوحش، ويمكن استخدامه بالغباء وحده، دون قدر كبير من المهارة من جانب سيده أو أي تعاون من جانبه، سوى ذلك الخاص بالسلبية الشديدة. ولا يؤثر فيه الارتباط أو حتى العادة؛ وهو ليس مروَّضاً، وإن لم يكن على وعي كافٍ بأنه على وجه الدقة حيوان بري.[2]

وقد شغلت لائحة اتهام پالجريف صفحتين ضيقتي المسافات بين الأسطر.

مرة أخرى، وطبقاً لما جاء في كتاب السير جارنيت ولزلي Sir Garnet Wolseley الصادر في عام 1882 بعنوان «The Soldiers Pocket Book (كتاب الجيب للجنود)، فإن «الجمل المستخدم في الهند وحش خبيث».[3] وينبري للمحاكمة كذلك چورج جيرستر Georg Gerster الذي ألف كتاباً عن الصحراء الكبرى: «ليس على المرء سوى أن يكون موجوداً عندما تنهي دورية الجمال نوبتها. فليس هناك فارس أخضع فرسه لذلك السيل من الإساءة. ولابد أن الشتائم واللعنات التي ولَّدها عناد الجمل، ومظهر التعقيد، وفمه المتبرم بأسنانه الصفراء الذي ينساب منه هندردويت(*) من اللعاب كل يوم، لا حصر لها كحبات الرمل في كثبان الصحراء الكبرى».[4] ووصف شخص ما الجمل بلا شفقة بأنه «هجين من الحية والسرير القابل للطي».

من ناحية أخرى، وطبقاً لما يقوله هـ. م. باركر H. M.

(*) وحدة وزن تساوي 112 رطلاً في بريطانيا و100 رطل في أمريكا. وأظن أن هذا قد يكون المقصود منه المبالغة. (المترجم)

Barker مؤلف كتاب Camels and the Outback (الجمال والمناطق النائية) فإن «الجمل من ألطف المخلوقات، ومع ذلك يحاكمه الكُتّاب باستمرار».[5] وعلاوة على ذلك، يزعم روبين ديفيدسون Robyn Davidson، الذي جاب جزءاً كبيراً من أستراليا بصحبة قافلة جمال، أن الجمل على قدر كبير من الذكاء:

إنها أذكى المخلوقات التي أعرفها فيما عدا الكلاب، وأنا أعطيها معدل ذكاء مساوياً تقريباً لطفل في الثامنة من عمره. وهي ودودة وجريئة ومرحة وفكهة، نعم فكهة، ومتماسكة إلى حد كبير وصبورة ومجدة وشيقة وساحرة على نحو لا حد له. كما أنه من الصعب تدريبها، لكونها ذات طريقة تفكير غير مستأنسة في الأساس، كما أنها ذكية وفطنة. وهذا هو السبب في أن سمعتها سيئة. فهي إذا أُسيئت معاملتها يمكن أن تكون شديدة الخطورة والعناد.[6]

يكذِّب مستكشف الصحراء ويلفريد ثيسيجر Wilfred Thesiger الادعاء السخيف بأن الجمال لا تشعر بالود أو الولاء نحو البشر: «أتذكر [ناقة] أخرى كانت مرتبطة بسيدها ارتباط الكلب بسيده. ففي أوقات متفرقة في أثناء الليل كانت تأتي وتتأوه بصوت خفيض وتشم المكان النائم فيه قبل أن تعود من جديد إلى الرعي».[7] ويقول مستكشف الصحراء الكبرى حسنين بك(**): «نادراً ما تحظى صفات الجمل بالتقدير، إن

(**) أحمد حسنين باشا، رئيس الديوان الملكي في عهد الملك فاروق، هو أول مستكشف جاب صحراء مصر الغربية. وقد بدأ رحلته من واحة الكفرة في ليبيا عام 1923 حيث قاد قافلة مكونة من تسعة عشر فرداً بينهم ثلاثة من قبيلة التبو وبرفقتهم 27 جملاً، وبعد 110 أيام من مغادرته السلوم اكتشف واحة أركينو داخل ليبيا قرب الحدود المصرية، ومن هناك اتجه للجنوب ليكتشف بعدها جبل العوينات على الحدود الحالية لمصر والسودان وتشاد. (المترجم)



رأس جمل مشرحة حفظها جونتر فون هاجينز Gunther von Hagens بالبلاستيك

قُدِّرت، عند معرفته معرفة عابرة. فالجمل في ذكاء الحصان، إن لم يكن أذكى منه، وفي بعض الجوانب أكثر إنسانية». والجمل الذي أصابه أذى من شخص ما «يصبر قبل أن ينتقم بالعض والركل». وكذلك «يمكن أن يصبح الجمل حيواناً شديد الود وشديد الإخلاص لسيده».[8] وقال جون هير John Hare وهو خبير في الجمل البري ذي السنامين إن هذا الجمل أذكى من الخيل. وهو يقتبس كلام شخص حجة في الجمال ذات السنامين الصينية عن استيعابها للغة الإنجليزية على نحو أسرع من الأجانب.[9] والجمال مخلوقات حلوة المعشر وهي لا تحب السفر دون صحبة من الجمال الأخرى.

الجمال بصورة عامة حيوانات رقيقة. لكنها كما أشار سانديز Sandys قادرة على كظم غضبها واستيائها لفترة طويلة. ويمكن استخدام التبول والتبرز للتعبير عن البغض. ويمكن للإبل كذلك بصق الجِرَّة من المعدة الأولى.

كما سنرى، يمكن أن تكون الذكور الشبقة خطيرة. وخلاف

ذلك فالجمال تتحمل كثيراً دون احتجاج، إلا عند تحميلها. ووصف السير ريتشارد بيرتون Richard Burton الصعوبات المتوقعة في كتابه Personal Narrative of Pilgrimage to Al–Madinah and Meccah (رواية شخصية للحج إلى المدينة ومكة) الصادر في عام 1893:

كانت لدينا المشكلة المعتادة عند تحميلها: يصيح أصحاب الدواب محتجين على الحمل الثقيل على نحو يتجاوز ما هو معقول، ويقسم أصحاب البضائع بأن طفلاً يمكنه حمل ذلك الحمل، في حين كانت الدواب التي تشارك أصحابها تئن وتزمجر وقامت بمحاولات خبيثة للعض وقفزت فجأة بخفة ألقت على نحو متهور بالصناديق أو الأكياس غير المؤمّنة بالكامل على الأرض.(10)

تختلف الآراء بشأن الصفة الجذابة أو غير الجذابة في وجه الجمل. فيقال إن رأس الجمل المرفوع عالياً والمنخارين المرفوعين تعطيه مظهراً متكبراً. أما المشافر المتدلية فتوحي بالغباء. ومن ناحية أخرى، فإن العينين الناعستين والأهداب الطويلة يمكن رؤيتها على أنها جذابة. ويقول ثيسيجر: «يرى العرب أن الجمال جميلة، وهم يستمدون متعة كبيرة من النظر إلى الجمل الطيب على النحو الذي يحصل به بعض الإنجليز علي المتعة من النظر إلى الحصان الطيب. بل إن هناك شعوراً هائلاً بالقوة والإيقاع والرشاقة بشأن تلك الدواب العظيمة».(11)

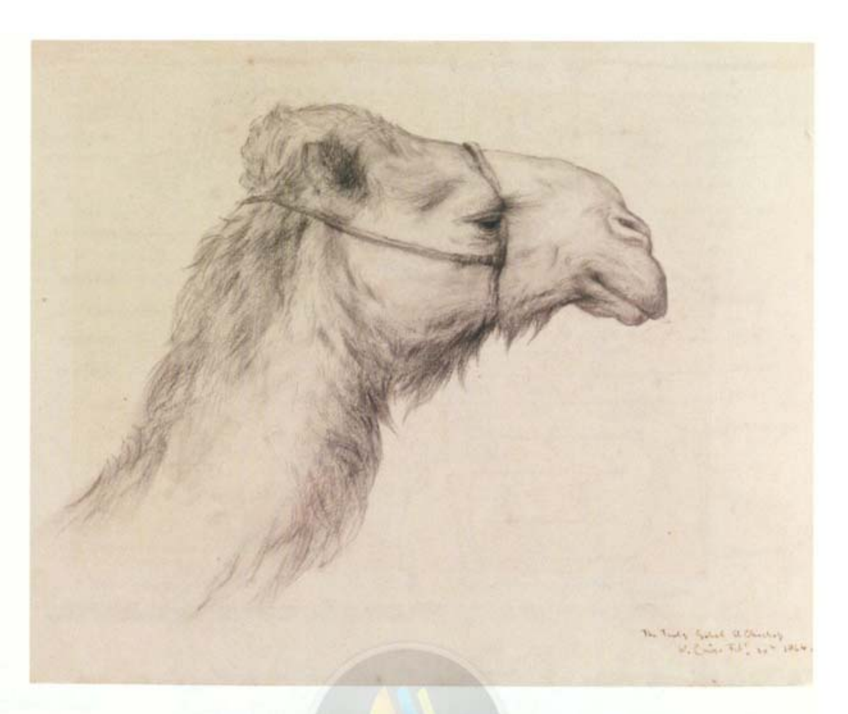
تتجه العيون الواسعة والناعسة لأسفل كي يرى الجمل ما يدوسه. وهناك جفن ثالث يعد دفاعاً ضد هبوب الرمال يبعد حبيبات تلك الرمال. أما الحاجبان الكثيفان والصف المزدوج من الرموش فتساعد في ذلك أيضاً. وفي وسع الجمل الرؤية

من خلال جفونه شبه الشفافة. والأذنان صغيرتان ومبطنتان بوبر كي تمنع دخول رمل الصحراء. وبالمثل، الأنف متكيف مع البيئة الصحراوية. فالمنخاران اللذان على هيئة فتحتين عرضيتين يحميهما غطاءان عضليان يمكنه إغلاقهما حين يشاء. ويحرك الجمل أنفه لتبريد هواء الشهيق وتكثيف الرطوبة الكامنة في هواء الزفير.

المشفران متحركان، وهما ذوا قدرة على القبض. ويقلل هذا من حاجة الجمل إلى إخراج لسانه مما يفقده الرطوبة. وهناك أخدود يمتد من كل منخار إلى الفم. فالمشفر الأعلى المشقوق يمتص الرطوبة من المنخارين. والمشفر الأسفل، وهو مشفر مفرط النمو في البداية، يترهل مع تقدم الجمل في العمر. وللجمل «دُلّة» أو حَلْق لين اسمه العلمي هو palatine verticulum. (الدلة، أو الأصح الدلعة، من الفعل العربي «دلع» بمعنى «أخرج لسانه»). وغالباً ما يخرج الجمل الشبق الدلة من الفم. ويصفها روبين ديفيدسون بأنها «بالونة وردية وقرمزية وخضراء بغيضة على نحو شنيع، يغطيها اللعاب ورائحتها كريهة بشكل لا يمكن وصفه، وعلى العكس من ذلك تجدها النوق جذابة».(12)

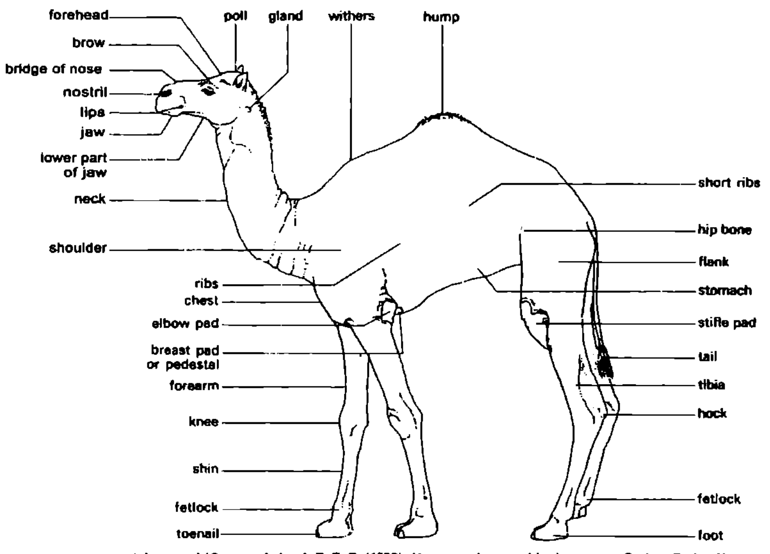
اللسان صغير ومتحرك. وللجمل المكتمل النمو أربع وثلاثون سناً. وأنياب الجمل أطول من أنياب الناقة. والقواطع حادة جداً. وتنمو أسنان الجمل طوال حياته، ولذلك فلابد من وجود أغصان صلبة أو ما شابه ذلك من المواد الصلبة لتآكلها ومنعها من أن تطول على نحو مبالغ فيه. والسطح الداخلي للفم من المتانة بما يسمح بأكل النباتات الشوكية. والرقبة طويلة كي تساعد على الرعي من على الأشجار أو الشجيرات الطويلة.

تحب الجمال قضاء من ثماني إلى عشر ساعات في الرعي، وهي تميل إلى الحركة كثيراً في أثناء ذلك. وأثر هذا هو زيادة



إيليجا والتون
Elijah Walton
رأس جمل،
1864، رسم
بالطباشير

تنوع الغذاء، وكذلك إحداث قدر أقل من الإضرار البيئي للحياة النباتية في المنطقة. ويتم ازدراد الغذاء ثم اجتراره وهضمه فيما بعد. وتحتاج الجمال إلى الكثير من الملح وهو ما تحصل عليه في العادة بأكل أنواع معينة من الشجيرات. وشجرة السنط مفيدة لغذاء الجمل بسبب ارتفاع نسبة ما تحتويه من ماء وملح. وفي وسع الجمال أن تعيش بشكل مريح على العاقول (شوك الجمل) والقطف (الشجيرة الملحيّة) وشجرة السنط التي لا تلمسها الحيوانات الأخرى. وهي بهذا المعنى لها مكانة بيئية بارزة. (ومع ذلك فإن الغذاء المكون من شوك الجمل يؤدي إلى رائحة الفم الكريهة جدّاً). وهي تحب أكل التمر وليس لديها مشكلة



the camel (*Source*: Acland, P. B. E. (1932). Notes on the camel in the eastern Sudan. Sudan Notes

أجـزاء الجمـل

في هضم النوى. كما أنها تأكل الجنادب. وطبقاً لما يقوله روڤين ياجيل Reuven Yagil فإن الجمل، على عكس المجترات الحقيقية، ليس لديه معدة ثالثة متطورة بشكل مناسب.(13) ومع ذلك، تنقسم معدته بصورة عامة إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول في المعدة مقابل الكرش في الحيوانات المجترة الحقيقية، وهو المكان الذي يخزَّن فيه الطعام وتحلل البكتريا السليولوز في الحشائش الصلبة. وبذلك يصبح الطعام جِرَّة يجري مضغها مرة أخرى في وقت لاحق. وتحتوي المعدتان الأخريان البكتيريا التي تحلل الغذاء الذي أعيد مضغه بشكل أدق ويُعاد توزيعه على الجسم. ولا يُخزَّن الماء في المعدات بأية كمية كبيرة، على الرغم من الادعاءات القائلة بأن الرجال اليائسين في الصحراء يشقون معدة الجمل كي يشربوا السائل الذي تحتويه.

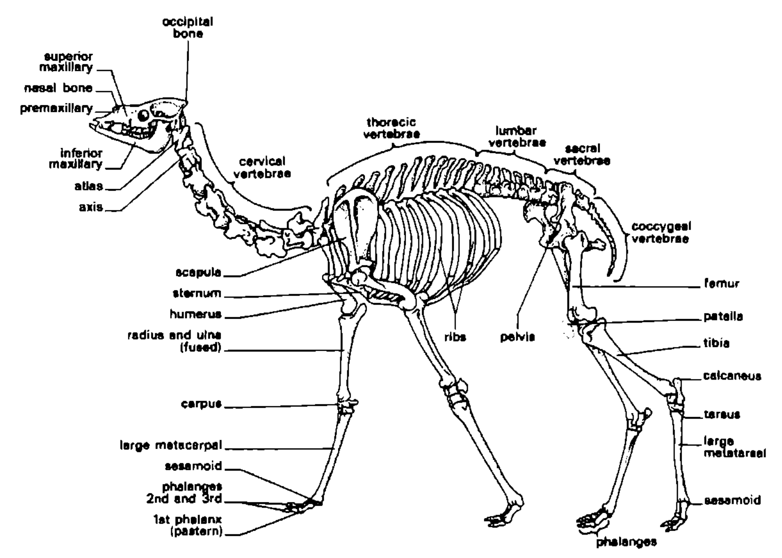


fig. 4.4 The skeleton of the camel (*Source*: Kingdon, J. (1979). *East African Mammals*, Vol. III, Part B *Large mammals*,

الهيكل العظمي للجمل

وفي الصيف تجتر الجمال في منتصف النهار وفي أثناء الليل. ويعاد تدوير محتويات المعدات بسرعة مقارنة بالمجترات الحقيقية. وهناك قدر قليل مطلوب مما يتم تناوله من البروتين. ويمكن أن تكون الجمال انتقائية إلى حد كبير فيما تأكله. وأحد جمال چورج جيرستر «تكوَّن لديه حب لا حد له لنعال الأحذية، سواء أكانت من المطاط أم الجلد بغض النظر عن المسامير. ولا أعرف ما الذي أدهشني أكثر، هل هو الوفرة الواضحة لنعال الأحذية المهملة في الصحراء أم تذوق الجمل المكتسب للمصنوعات المهترئة لإسكافي إحدى الواحات».(14) وفي أستراليا، «كشف فجأة تشريح أجري عام 1962 لجمل متوسط العمر كان قد نفق فجأة بالقرب من أوناداتا أن معدته تحتوي على قطعة كبيرة من البلاستيك وقطعة طويلة من السلك النحاسي».(15)

يمكن للجمل الذي يعاني من العطش شرب 27 جالوناً من الماء في خلال عشر دقائق. وأي حيوان آخر يمكن أن ينفق بسبب فرط «التميه» إذا حاول شرب هذا القدر الكبير، لكن الجمل يتفرد بقدرته على تخزين كميات كبيرة من الماء في مجرى الدم. فهو ذو خلايا دموية بيضاوية الشكل غير منواة تقاوم الاختلاف الأسموزي دون أن تنقطع، وبذلك يمكن للخلايا أن تتضخم لتصبح ضعف حجمها الأصلي. ويشبه دم الجمال دم الزواحف. فهو يحتوي كذلك على كميات كبيرة من الألبومين (وهو نوع من البروتين). ويساعد الألبومين الجمل على حفظ الماء بزيادة الضغط الأسموزي الذي يحفظ السائل في الفراغات الوعائية. ويشرب الجمل، شأنه شأن مخلوقات كثيرة، بسرعة، إذ إن برك المياه في البرية غالباً ما تكون أماكن من الخطورة البقاء عندها طويلاً. ويشرب الجمل ليروي ظمأه، لكنه لا يشرب لتخزين الماء سلفاً. وهو يمكنه شرب ماء ملوحته أعلى من ملوحة ماء البحر. ويمكن أن يسير ثلاثين يوماً بلا ماء، مادام هناك مرعى معقول، ويمكن أن يسير من خمسة إلى سبعة أيام بلا طعام أو ماء. وفي حالة الحرمان المطول جداً من الماء، يصبح فم الجمل جافاً إلى درجة يصعب عندها الأكل.

يعد روث الجمل غنيا بالنشادر ولذلك فهو مفيد سماداً. والبعر جاف ومتساوق ومستدير. وفي الجمل المعافى يكون البعر مستديراً كالتفاح. ويصلح البعر الجاف وقوداً. ومن ثم فقد لاحظ هـ. ر. ب. ديكسون H.R.P. Dickson المعتمد السياسي البريطاني في الكويت في ثلاثينيات القرن العشرين أن «كل المسافرين يحملون ملء كيس».[16] وينكمش البعر إذا كان الجمل عطشاً. وللجمل مثانة صغيرة، وهو يتبول قطرات صغيرة في أثناء السير. والبول غليظ القوام وملحي. وهو كذلك

شديد الحرارة، وفي الصباح البارد يسخن به البدو أيديهم أحياناً. والجمل العطش يتبول أقل من الرجل. ويخرج الجمل بوله للخلف. (ويقول الفولكلور العربي إن هذا يحدث احتراماً لإبراهيم). والأمر الأكثر معقولية هو أن نقاط البول تبرّد ساقي الجمل الخلفيتين. ومع ذلك فعندما يُثار الجمل جنسيّاً ينعكس اتجاه قضيبه. ويصف مستكشف الصحراء الڤيكتوري تشارلز دوتي Charles Doughty رائحة الجمل بأنها «تميل إلى رائحة المسك وتشبه رائحة الكلب قليلاً، والأجزاء الخلفية مغطاة بالبول؛ ومع ذلك فالجمل أجمل في عيوننا لأن الإنسان يرى في هذا المخلوق رفاهه كله».(17)

يفقد الجمل الماء من خلايا الجسم، وليس من الدم، ولذلك فليس هناك ضغط على القلب. والغدة العرقية موجودة عند



هيكل عظمي لجمل في فلسطين نظفت الجنادب عظامه

مؤخرة الرقبة. ويعرق الإنسان بمجرد ارتفاع درجة حرارة الجو عن درجة حرارة الجسم وهي 37 مئوية، لكن الجمل يمكنه رفع تحمله بما يصل إلى ست درجات قبل أن يبدأ بالتعرق. وهو فريد بين الحيوانات في هذا الأمر. وفي الربيع يتساقط وبر الجمال وتكتسب فراء جديداً في الخريف. ويعكس الوبر ضوء الشمس. ولدى الجمل ذي السنامين فراءان؛ فراء داخلي من الزغب وفراء خارجي طويل وكثيف الوبر. وبسبب الفراء الكثيف الوبر يتبخر العرق بالقرب من الجلد مما يساعد الجمل على أن يظل بارداً.

لا يخزن السنام الماء. بل إن الدهن هو الذي يخزَّن فيه ليكون مصدراً للطاقة. ولو وزِّع الدهن على سائر الجسم، بدلاً من تركيزه في السنام، لشعر الجمل بحر شديد. وعندما يحرق الجسم نسيجاً دهنيّاً، ينتج هذا الماء من خلال التفاعل مع الأكسجين. ومع أن السنام السمين يدل باستمرار على الصحة الجيدة، فقد يكون الأمر هو فقط أن الجمل يأكل الكثير من النباتات التي تحتوي على قدر كبير من الماء. وإلى جانب تخزين الدهن الذي يمكن تحويله إلى طاقة، يكون سنام الجمل مثل مظلة تحمي الأعضاء الداخلية من الحرارة المفرطة. وللجمل العربي سنام واحد، وليس سنامان، ربما لأنه بهذه الطريقة يكون جزء أقل من مساحة سطح الجمل معرَّضاً للحرارة.

تبعد السيقان الطويلة الجمل كثيراً عن الرمال الحارة. (سيقان الجمل ذي السنامين، الذي يقطن في الغالب مناخات أبرد، أقصر). الساقان الأماميتان أقوى وتحملان معظم وزن الجمل، وهذا جزء من سبب حركة التأرجح. وعلى عكس سيقان الحصان، تتصل سيقان الجمل بالجسم فقط عند أعلى الفخذ.

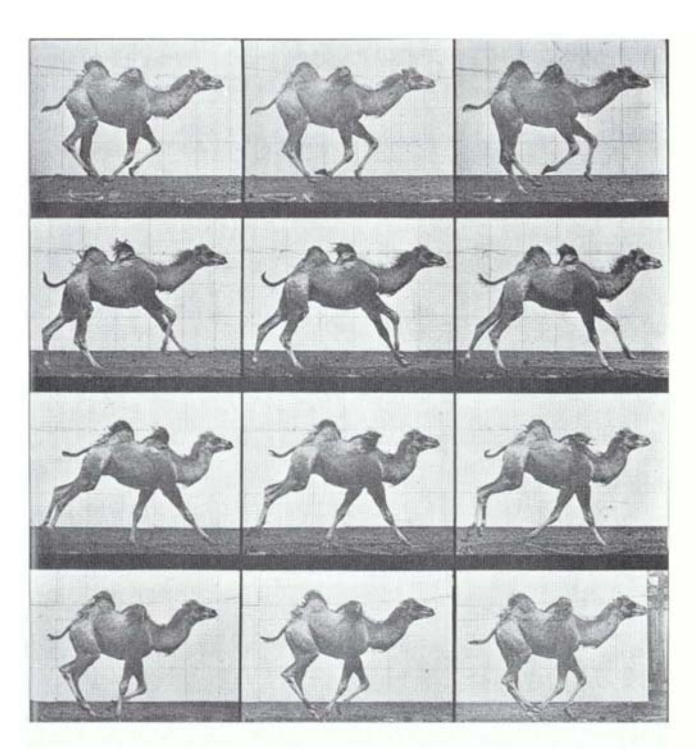
الجمل يخب، أي أنه يحرك ساقيه اللتين في جهة اليمين ثم اللتين في جهة اليسار. وهذا يؤدي إلى تمايله. وهو النوع الوحيد

الذي يخب بشكل طبيعي، وإن كان بالإمكان تدريب الحصان على أن يفعل ذلك.

يقول ألكسندر كينج Alexander King في كتابه البديع ذي الأسلوب الرفيع عن الرحلات Eothen (من الشرق):

الجمل، شأنه شأن الفيل، أحد أنواع الحيوانات ذات الطرز العتيقة التي تسير طبقاً لخطة (بادت في الغالب) خاصة بالحيوانات القديمة التي عاشت قبل الطوفان؛ فهو يدفع بساقيه على أحد الجانبين للأمام في وقت واحد، ثم يميل على نحو غير مريح حول ما دون كتفه وعجزه كي يعيد الحركة على ذلك الجانب، ولذلك فإن خببه نوع غريب من الحركة مفصول وفاصل وغير مريح في البداية، لكنك سرعان ما تتعوده.[18]

كما أشير من قبل، فالجمال من ذوات الظلف. لكنها على عكس معظم ذوات الظلف لها أظافر وليس حوافر. وأظافر الجمل صغيرة. ولا يسير الجمل على أظافره، بل على وسائد في مقدمة حوافره. وهذه الوسائد الجلدية تتمدد عندما يمشي. (قدم الجمل العربي الأصغر حجماً الذي يعيش في الجبال أكثر صلابة). ويوجد داخل الوسادة كيس اسفنجي. وبسبب الوسادة اللينة، فإن خطوة الجمل لا صوت لها. وإذا سار على أرض حجرية صلبة لفترة طويلة قد تتشقق الوسائد وسيحتاج الجمل حينذاك إلى ارتداء أحذية جلدية خاصة. وبديل ذلك هو علاج الضرر بالقار والتربنتين. وعندما يرفس الجمل فإنه يرفس للجانب. وفي السير المعتاد يقطع الجمل مسافة ثلاثة أميال في الساعة. وعند العدو يمكن أن يقطع اثني عشر أو حتى أربعة عشر ميلاً في الساعة. ويمكن للجمل العربي أن يحمل بيسر حمولة وزنها ستمائة رطل



صور متعاقبة بشكل آلي لجمل يعدو، من كتاب إديدورد مايبريدچ Eadweard Muybridge الصادر في عام 1877 بعنوان Animal Locomotion (التنقل الحيواني)

(273 كيلو جراماً) لكن الجمل ذا السنامين الأكثر اكتنازاً يمكنه حمل ألف رطل (455 كيلوجراماً).

هناك مثل بلغة البشتو معناه أن «الله وحده يعلم على أية ركبة سيبرك الجمل»، لكن الأمر ليس بهذا السوء. ومع ذلك فإن مشاهدة الجمل وهو يبرك أمر مثير. وهذا هو وصف ت. إ. لورانس T.E. Lawrence:

بركت بلا ضجة، وقد قمت بتوقيت الأمر في ذاكرتي: في البداية التردد، إذ تحسست الجمال التي تنظر لأسفل التراب بقدمها بحثاً عن مكان لين، ثم الارتطام المكتوم

صورة مقربة
لخف الجمل



والإطلاق المفاجئ للنَفَس وهي تسقط على سيقانها الأمامية، إذ أتت تلك المجموعة من مكان بعيد وكانت جمالها متعَبة، وحركة جر الأقدام، على الأرض حيث كان يجري طي السيقان الخلفية، والاهتزاز، حيث تميل من جانب إلى آخر في حركة قوية للخارج بركبها لتدفن سيقانها في التربة السفلية التي تحت حجر الصوان الساخن.

استراحت الجمال هناك وهي تحرك أذنابها بعدم ارتياح إلى أن تذكر أصحابها ونظروا إليها.[19]

عندما يبرك الجمل يبحث عن ألين بقعة. والصدر، ويُعرف كذلك بجسأة الصدر، منطقة من الغضروف الصلب (وسادة من الكيراتين) يتكئ عليها الجمل بوزنه الأساسي. والركب بها جسآت كذلك. وغالباً ما تتكئ الجمال على بعضها كي تظل

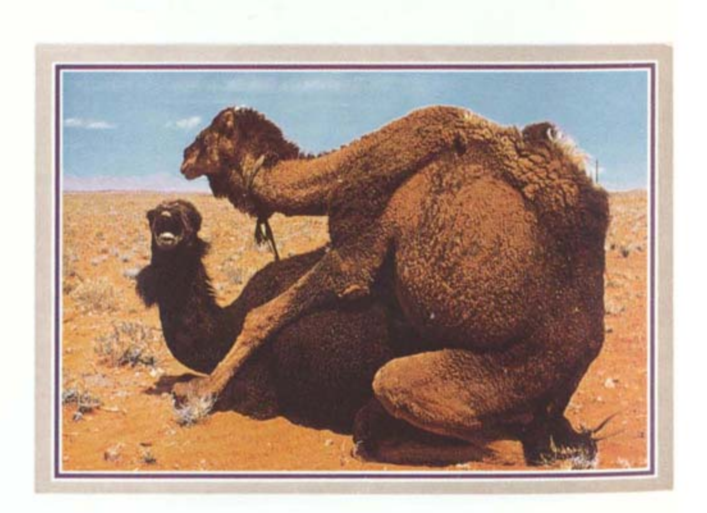
باردة. وفي النهار، غالباً ما تجلس في مواجهة الشمس كي تقلل من تعريض أجسامها لأشعة الشمس. وحرارة النهار التي تتراكم في الجسم تضيع في برودة الليل. وهناك نقاط مختارة في الصحراء تحب الجمال أن تتمرغ فيها على الرمال الناعمة. وهذه البقع من حمامات الغبار يتم تحديدها بالشم. وفي بعض الأحيان تكون هناك مواقع جماعية تتمرغ فيها الجمال معاً. ويبدو أن الغرض الأساسي من هذا التمرغ هو التخلص من القراد، مع العلم أن ذلك ربما يؤدي إلى استرخاء العضلات. ومن حين لآخر تتمرغ الناقة على الأرض ليكون ذلك جزءاً من مشهد المغازلة.

ليس هناك اهتمام جنسي في الصيف، ولذلك فمن المأمون ترك الذكو والإناث ترعى معاً في ذلك الوقت. ويصبح الجمل الذكر ناضجاً جنسيّاً في السادسة من عمره. وخصيته اليمنى أكبر قليلاً من اليسرى. (لا يعرف كثيرون ذلك). والممارسة المعتادة هي إخصاء الذكور لمنع المعارك الخاصة بسلوك الشبق. ويُترك بعض الفحول فحسب من أجل التناسل. ويُقارَن شبق الجمل بفترة الشبق عند الفيل الآسيوي. ويُعرف الجمل الشبِق باللغة العربية بالهَدور، أو الذي يردد صوته في حنجرته. وتُفرَز مادة لزجة ذات رائحة خلف الأذنين حين الشبق. ويكون الذكر الذي في حالة شبق غاضباً على نحوٍ يمنعه من الأكل وتتدهور حالته. وغالباً ما يقدم الرعاة طعاماً خاصّاً للذكر الشبق كي يعوض الوزن الذي يفقده. وهو يرغي ويزبد ويغرغر ويجز على أسنانه ويميل للعنف ويبول ويستخدم ذنبه في نثر بوله. ويمكن رؤية كل هذا البصق وتدفق اللعاب والتبول - إهدار الماء - باعتباره شكلاً من العرض الواضح المقصود به التأثير على الأنثى - على أنه مساو لذيل الطاووس. وهناك معارك من حين لآخر بين الجمال التي في حالة شبق من أجل الهيمنة. وكما أشرنا من قبل، يبدو

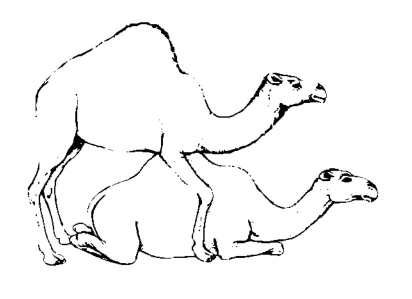
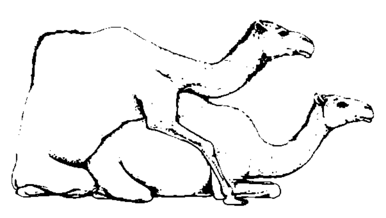
أن إطلاق الحنك اللين (الدلة) يؤثر على الإناث إلى حد كبير. فرائحته جذابة بالنسبة لها. (ومع ذلك فالجمل ذو السنامين ليس لديه هذه الدلة). ومن جانبه، يشم الذكر أعضاء الأنثى التناسلية وتثيره رائحة بول الناقة غير العشراء.

تحتاج الناقة العربية إلى تحفيز التبويض بالتسافد. وفي نصف الكرة الشمالي يتم التزاوج في المقام الأول في الفترة الواقعة بين شهري نوفمبر وفبراير. وتحرك الناقة ذنبها عند اقتراب الذكر وتكشف أعضاءها التناسلية. وفي كثير من الأحيان، عندما تكون مستعدة للجنس تبرك وتباعد ما بين ساقيها الخلفيتين وتتبول. لكن إذا ترددت، يضغط الذكر على رقبتها لإجبارها على أن تبرك. ولدى برترام توماس Bertram Thomas مستكشف الربع الخالي بجزيرة العرب حاشية عن الجماعة المتزاوجة:

بذلك تكون الجمال، شأنها شأن اللاما والأسود، نادرة في المملكة الحيوانية فيما يخص أداء هذا الفعل في وضع



جملان يتزاوجان، صورة على بطاقة بريدية

مرحلتا تزاوج الجمال

الجلوس. وصاحبها البدوي ضروري للعملية، حيث يجرف التراب المحيط بسيقان الناقة من أجل راحتها، ويدخل القضيب ـ تكوينه على محور معاكس لكل المخلوقات الثديية تقريباً – ويتدخل بعد بضع دقائق لسحب الفحل. وبعد عشرة أيام، إذا لم يحدث الحمل، يبحث صاحب الناقة عن فحل آخر لتلقيحها. وعلامة الحمل هي التلويح بذنبها المضحك عندما يقترب منها راكبها ليمتطيها. (2)

متوسط زمن التسافد هو خمس دقائق ونصف الدقيقة (لكن مصدراً يقول إنه حوالي عشرين دقيقة!)(21) وقضيبه معقوف. وفي بعض الأحيان يساعد الرجال في التزاوج ـ على سبيل المثال بربط ساقي الناقة الأماميتين إلى كتفيها. لكن المساعدة البشرية بشكل واضح ليست ضرورية على نحو مطلق، وإلا لما كانت هناك جمال برية ووحشية. ويمكن للذكر الواحد تلقيح خمسين أنثى أو أكثر.

التهجين ممكن بين الجمليات، وباللغة الفارسية الهجين من الجمل ذي السنامين والجمل العربي يُسمى «بُكت». وهو ذو

سنام واحد أطول من سنام الجمل العربي. والبُكت كبير وقوي وحيوان حمل جيد. و«الكاما» هو نتاج تزاوج الجمل واللاما. (22)

تنجب الناقة لأول مرة وهي في الخامسة. ومن النادر جدّاً أن تلد توأماً. والوفيات بين المواليد مرتفعة؛ ما بين عشرين وأربعين بالمائة في العام الأول. وعندما تكون الناقة على وشك الولادة يكون لديها ميل إلى أن تهيم على وجهها. ووصف تشارلز دوتي الولادة في نثره الدقيق، ذي الأسلوب اللغوي المهجور:

الناقة الوالدة مستلقية على جانبها تتم مساعدتها على الولادة دون صوت، والحوار (ابن الناقة) كبير في حجم الرجل البالغ، ويباعد الراعي بين ساقيها بكل قوته ويسحب الحوار، كأنه ميت أمام الناقة الأم. تشم وليدها، وتنهض وتقف على أقدامها كي تلعقه. وبصفعة



أنثى جمل ذات سنامين ترضع صغيرها

قوية بكف الرجل على ذلك الجزء الصلب عند أسفل الرقبة (الذي وضعته الطبيعة، كالدعامة، أسفل صدر الجمل ليحمل الرقبة الضخمة) ينهض الحوار. وبعد ثلاث ساعات، وعلى الرغم من كونه ضعيفاً ومترنحاً، وبعد الوقوع كثيراً، يمكنه الوقوف وقد مد رقبته الطويلة متحسسا الطريق إلى ضرع أمه. وفي صباح اليوم التالي سيتبع هذا الجمل الوليد أمه إلى الحقل.[23]

غالباً ما تكون النوق عاقراً وكثيراً ما تجهض، وفي بعض الأحيان يكون ذلك بسبب العدوى الطفيلية، ولذلك فإنه من الصعب الحفاظ على أعداد القطيع. وتزيد فترة الحمل عند الناقة العربية قليلاً على اثنتي عشر شهراً أما في حالة الناقة ذات السنامين فيمكن أن تزيد شهرا. ويُرضع الحوار لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر. وترعى الأم حوارها لمدة عام كامل. وفي نهاية العام يُفطم الحوار. والحليب يقل فيه الدسم ويزيد فيه فيتامين «ج»، لكن لا يمكن اختزانه دون أن يتلف.

لدى الناقة أربعة ضروع. (عادة ما يربط البدو اثنين منها كي يحتفظوا ببعض الحليب لأنفسهم). وأحلى حليب يأتي من النوق التي ولدت حديثاً، وليس لحليب النوق قشدة. وهو متوفر لمدة أحد عشر شهراً أو أكثر في العام - على عكس الغنم أو الماعز أو البقر، التي تدر حليباً لمدة خمسة أشهر فقط. وتحزن الأنثى عندما يؤخذ منها حوارها. وهي تبكي وتحزن على الحوار الميت لمدة عشرة أيام. وكلمة «البو» معناها حواراً محشوّاً يجمّعه الرعاة لتخفيف حزن الناقة الأم.

عادة، يمكن للحوار الوقوف مترنحا بعد نصف ساعة. وهو يظل قريباً من أمه طوال السنوات الخمس الأولى. وتصل الإناث

إلى سن البلوغ في سن الثانية وتبدأ في الحمل في السنة السادسة. وحتى سن الثالثة يحتاج الجمل إلى بعض النوم. ومع ذلك، ثمة من يزعم أنه لا ينام. لكن هناك خلاف بشأن هذا، ويؤكد العاملون في حديقة حيوان ويبسنيد أن الجمال تنام (تدلي رؤوسها وتغمض أعينها، الخ). وفي السنة التاسعة، ومع ظهور الأنياب، يكون نمو الجمال قد اكتمل. ومتوسط عمرها حوالي أربعين عاماً.

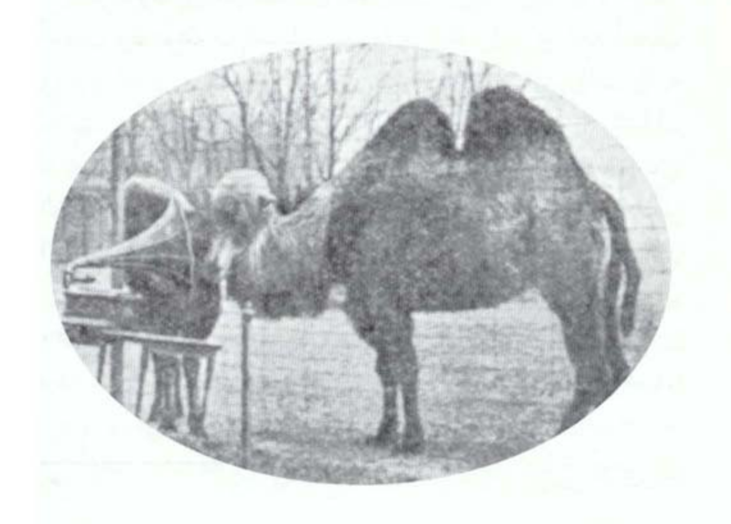
من الممكن أن تتبع الجمال النجوم في أثناء السفر. والناقة التي تقود تتبول كل ستة كيلومترات أو نحو ذلك لتحديد الطريق للإبل التي تتبعها.

كل جمال العالم تقريباً إما مستأنسة أو برية (الجمال البرية سليلة الجمال المستأنسة التي هربت أو أطلق سراحها). وعدا ذلك، هناك عدة مئات من الجمال البرية ذات السنامين في منغوليا والصين. ويبدو أن الجمال البرية ذات السنامين تنتمي إلى نوع مختلف عن الجمال المستأنسة ذات السنامين.

يميل الجمل ذو السنامين أكثر إلى اللون الرمادي وجسمه أنحف وله سنامان قمعيان المسافة بينهما أكبر. ورأسه أنحف ووبره أقصر وحمضه النووي مختلف، وهو في ذلك لديه ثلاث جينات أكثر من الجمل المستأنس ذي السنامين. كما أن لديه جسأة في الصدر. وهو على عكس الجمل المستأنس ذي السنامين، يمكنه شرب مجروش الماء المالح. ومن المتصوَّر أن الجمل البري ذا السنامين هو سليل الجمل المستأنس في أنحاء العالم.[24]

تتذوق الجمال الموسيقى. ففي عام 1911 وفي مقال بعنوان «Les Animaux – sont ils mélomanes?» أوردت مجلة «Nos Loisirs» تجربة أجريت في حديقة حيوان برونكس في نيويورك، حيث طاف أحد علماء الطبيعة بجرامفون في أنحاء الحديقة وأدار الموسيقى لحيوانات مختلفة. ومع أن

عدداً قليلاً جدّاً من الحيوانات بدا غير مبال أو حتى عدوانيّاً، فقد وقفت اللاما ساكنة بانتباه لسماع الموسيقى. وكان الجمل مسروراً كذلك، وحاول دس أنفه في بوق الجرامفون العتيق وحك وجهه فيه. لكن لقرون طويلة قبل اختراع الجرامفون كان البدو يغنون للجمال لحثها على السير أو لجعلها تشرب.[25] والحادي، أو قائد الجمال، يمكنه جعل الجمال تتحرك بسرعة أكبر إن هو غنى جيداً. وطبقاً لما يقوله المؤرخ ابن خلدون الذي عاش في القرن الرابع عشر، فقد كان هناك معلمون في مصر تخصصوا في تعليم الحِداء، وهو غناء قادة الجمال.[26] وفي الشعر الفارسي في العصور الوسطى غالباً ما كان العاشقون يقارَنون بالجمال التي تتحمل الأحمال بصبر وتسرع نحو صوت صاحبها أو نايه. وتعرف الجمال صاحبها بأغانيه. وفي القرن السادس عشر، ذكر ليو الإفريقي Leo Africanus، فيما رواه عن الجمل، الأغاني المستخدمة لتشجيع الجمل. كما وصف الجمل الراقص



جمل يستمع إلى جرامفون عتيق الطراز، نقلا عن مجلة Nos Loisirs الفرنسية.

في القاهرة. وأشارت روزيتا فوربس Rosita Forbes، وهي مغامرة جابت الصحراء الليبية في عشرينيات القرن العشرين، إلى أنها «حقيقة غريبة أن الجمال تسير بسرعة أكبر وأكثر استقامة على صوت الغناء. ولهذا السبب كان الحداة السود يغنون ألحان الحب والشجاعة على نحو جعل جملي الأشقر الكبير ينسى هديره الشهواني ويوجه أنفه في اتجاه مستقيم نحو الأفق».(27) ويستخدم الرعاة المنغوليون آلة موسيقية تنفخ بالفم تسمى شبابة اليهودي لجعل النوق تبكي أولاً ثم تقبل إرضاع صغير ليس وليدها. وجرى أحد أشكال ذلك من أجل تصوير فيلم The Story of the Weeping Camel (قصة الجمل الباكي) (انظر الفصل السادس). وعرض حسنين بك نماذج عديدة من الأغاني التي يؤديها بدو الصحراء الكبرى لجمالهم ومنها هذه الأغنية:(*)

الكثبان الرملية تخفي آباري
التي تفيض بالماء الذي لا ينقطع.
تأتون إلى حوافها كالأساور
المصنوعة من الذهب والجواهر النادرة في البلاد البعيدة.
(28)

لدى الجمليات جهاز مناعة خاص يوفر لها مقاومة بعض الأمراض أكثر من المجترات الأخرى، أو البشر، فيما يتعلق بهذا الأمر. ومع ذلك فهي عرضة بشكل خاص للإصابة بجدري الجمال ومرض الهيام. وجدري الجمال مرض جلدي فيروسي. وعادة ما تظهر بثور على الرأس. وصغار الجمال أكثر عرضة له وهي تموت بسببه على الأرجح. ومع ذلك فإن الأمر الأكثر اعتياداً

(*) ما يلي ترجمة عن الإنجليزية وليس كلمات الأغنية الأصلية. (المترجم)

هو أن المرض يتخذ مساره الطبيعي في خلال أسابيع. وفي حالة مرض الهيام، ويعرف كذلك باسم «السُرَّة»، تكون الحشرات الطائرة واللاسعة، وخاصة ذبابة تسي تسي، مسؤولة عن نقل الطفيل إلى الدم. ويؤدي هذا إلى الحمى والأنيميا والهزال. وإذا لم يُعالَج يؤدي إلى تسعين بالمائة من الوفيات. وتشمل الأعراض الحمى المتكررة، والأنيميا المتزايدة، والتدهور الجسماني العام. وفي البداية على الأقل يكون المرض مخادعا على نحو لا يمكن معه تشخيصه. وهو مرض صيفي تصاب به الخيل والبغال كذلك. والجرب تسببه ديدان مَعِدية معوية، ومن المحتمل أن يكون قاتلاً. فهو يمكن أن يقتل الجمل في خلال أسابيع. وعادة ما ينشأ الجرب نتيجة لنقص العشب الطازج، وهذا يضعف الجمل بشكل مطرد. وعليه فهو ثاني أكبر قاتل للجمال بعد مرض الهيام.(29) ويصف ت.إ. لورانس كيف حاول رجال القبائل الذين كان معهم علاجه بدعك فروة الجمل بالزبد.

تصاب بعض الجمال بعرض الرقبة الملتوية الغامض الذي لا يمكن للجمل معه رفع رأسه عن الأرض. والسعار مرض نادر إلى حد ما، لكنه يحدث وهو قاتل. والدرن مرض نادر، لكن يمكن أن تصاب به الجمال عن طريق انتقال العدوى من الماشية. ووصف لورانس كيف أن البشر كذلك يمكن أن تنتقل إليهم العدوى من تلك المخلوقات:

كان قراد الجمل، الذي شرب من دم جمالنا المقيدة ليتحول إلى وسائد مضغوطة باللون الأزرق المائل إلى الرمادي على شكل حبة الفاصوليا أو البازلاء وفي حجم ظفر الإبهام، يزحف تحتنا بحثاً عن الدفء، حيث يتعلق بالجلد أسفل فرو الغنم الذي يشبه الحيوانات، وإذا ما تقلبنا عليه في الليل (ذلك أن الرجال النائمين على الجزء



الأملس عادة ما كانوا يرقدون عليه في البداية من أجل النعومة على وجهها) كان ثقل أجسامنا يفجره ليصبح رقيقة من الدم والغبار.[30]

غالباً ما يتجمع قراد الإبل تحت الذنب. وينبغي إزالة القراد يومياً. وإذا التقطت القراد وألقيته في النار، ينفجر كالفشار. يا له من لهو! (لكن الجمال نفسها لا تستمتع بنزع القراد المتعطش للدم). وتنشأ أمراض جلدية أخرى نتيجة لنقص الملح. ولم تُجر أبحاث حتى الآن على صحة الجمال العقلية، وإن كان جون هير قد أشار إلى ميل ذكور الجمال البرية ذات السنامين العرضي إلى الجنون والركض أياماً ولياليَ حتى تسقط ميتة.[31]

إلى جانب قابلية الجمال للإصابة بجدري الجمال والهيام، وربما الجنون، يبدو أنها مصممة على نحو جيد في كل جوانبها التشريحية والنفسية على نحو يمكنها من البقاء في البيئة الصحراوية. وهذا هو الحال بالفعل، حتى أن المؤمنين بالخلق

يوردون الجمل باعتباره نموذجاً مثالياً لإبداع الرب وشيئاً ما كان ليوجد عبر ملايين السنين من الاختيار التطوري. ويقول مارك ستيوارت Mark Stewart فيما كتبه لجمعية الخلق العلمية في إيست تنيسي: «الجمل وما لديه من ملامح متخصصة لحفظ الماء تكشف عن تصميم غير معقول. فمن الصعب تخيل كيف أن الملامح المختلفة التي يحتاج إليها الجمل كي يبقى على قيد الحياة يمكن أن تكون عمليات تطورية تدريجية».[32] ومع ذلك فإن الحجة الناجمة عن نقص الخيال ليست حجة قوية.

الفصل الثاني

أســـلاف الجمل

ظهــور الثدييات

كان العصر الجوراسي المترب الحار والعصر الكريتاسي (الطباشيري) الدافئ الرطب، من حوالي 206 إلى 65 مليون عام هما أوج الديناصورات الضخمة ـ والصنوبريات والسرسخيات والسيكاديات (نباتات تشبه النخيل)، وإن حلت النباتات الزهرية محل الصنوبريات والسرسخيات والسيكاديات مع نهاية العصر الطباشيري في كثير من المناطق. وبعد ذلك ومنذ حوالي 65 مليون عام، ولأسباب يجري بشأنها جدل شديد، كانت هناك مجموعة ضخمة من حالات الانقراض هلك في خلالها نصف الأنواع التي ازدهرت حتى ذلك الحين تقريباً، بما في ذلك الديناصورات وكذلك الكثير من المخلوقات البحرية والزواحف. وبقيت الحيوانات الصغيرة فحسب. وكان لابد للانقراض الضخم أن يفتح المجال للبيئات الملائمة للثدييات.[1] وفي العصر الباليوسيني، الذي أعقب ذلك، اختفى الكثير من النباتات المدارية السابقة. بل إنه في العصر الباليوسيني كانت المناطق القطبية مغطاة بالغابات.

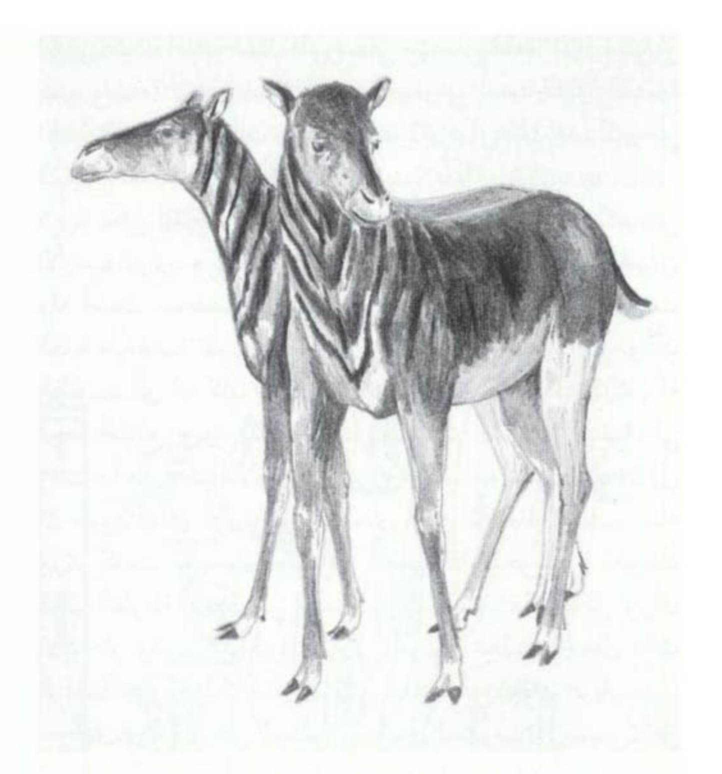
وفي نهاية العصر الباليوسيني ظهرت أنواع جديدة من الثدييات لأول مرة، بما في ذلك الثدييات ذات الحوافر والقوارض والرئيسيات(*). وقبل 55 مليون عام أفسح العصر الباليوسيني

(*) الرئيسـيات هي إحدى رتب الثدييات في التصنيف العلمي للمملكة الحيوانية، وتتضمن الرئيسـيات جميع الأنواع التابعة لليموريات والقردة بالإضافة للإنسان. (المترجم)

المجال للعصر الإيوسيني (كلمة «إيوسين» مشتقة من الكلمتين اليونانيتين eos ومعناها الفجر وkainos ومعناها الجديد). وكان المناخ حينذاك في أمريكا الشمالية دافئاً ـ وأعني ما كان موجوداً من أمريكا الشمالية في ذلك الوقت، ذلك أن جزءاً كبيراً من أمريكا الشمالية الحالية كان تحت الماء في واقع الأمر. وفي الجزء المبكر من تلك الحقبة كانت التماسيح تنعم بالدفء في الدائرة القطبية. وفي تلك الحقبة تشكلت سلاسل الجبال الممتدة من الشمال إلى الجنوب في أمريكا الشمالية. وظهر العشب لأول مرة في العصر الإيوسيني، وبعد ذلك اتسعت المساحة التي يغطيها العشب على نحو هائل في العصر الأوليجوسيني منذ 34 إلى 24 مليون عام.

ولما بردت درجات الحرارة، توسعت السافانا الحقيقية (الأرض العشبية التي تتناثر فيها تجمعات الأشجار). وسمحت تلك الزيادة الكبيرة في المساحات العشبية الكبيرة بزيادة حجم الثدييات التي ترعى فيها والضواري التي تفترسها. وكان التابير(*) والخرتيت (الكركدن) والخيل صغيرة الحجم من بين الثدييات التي ظهرت. وكانت الحيوانات الكبيرة ذات القرون، مثل Uintatherium وTinoceras (وهما من أسلاف الخرتيت)، تجوب غرب أمريكا، وإن انقرضت هذه الحيوانات جميعاً مع نهاية العصر الإيوسيني. وجرى في تلك الفترة تقسيم الثدييات إلى أحادية الإصبع وزوجية الأصابع.

(*) حيوان التابير نوع من الحيوانات ذو صلة بالفرس والخرتيت (الكركدن)، وإن كان أكثر شبهاً بالخنزير. وللتابير جسم قصير ثقيل ورقبة غليظة. ويمتد خطمه (أنفه) إلى الأمام ليُكوِّن جذعاً قصيراً قابلاً للتحريك. وللقدمين الأماميتين أربعة حوافر، في حين للخلفيتين ثلاثة. وله ذنب قصير. تعيش حيوانات التابير في أعماق الغابات، وبالقرب من الماء الذي تحب السباحة فيه. ويأكل التابير الأغصان الصغيرة وأوراق الشجر والشجيرات وكذلك الفاكهة والنباتات الأخرى. (المترجم)



إعادة بناء من عمل مايكل لونج مؤلف كتاب Poëbrotherium لأحد الجمليات المبكرة جداً (في العصر الإليجوسيني) التي كانت موجودة في أمريكا الشمالية قبل 30–38 مليون عام

ظهـور الجمـل

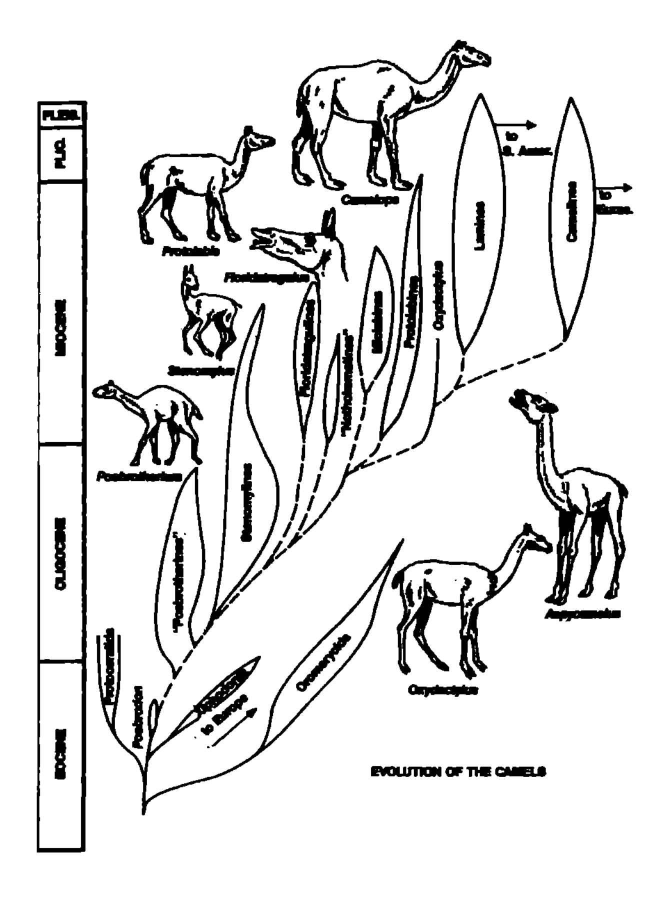
ليس هناك جمال في أمريكا الشمالية حالياً، ما عدا تلك الموجودة في حدائق الحيوان أو في مزارع المزارعين غريبي الأطوار، لكن الجمليات أمضت الستة والثلاثين مليون عام الأولى من وجودها في أمريكا. وربما ظهرت في أقدم أشكالها في أواخر العصر الإيوسيني، أي حوالي قبل 40 مليون عام. وفي تلك الفترة كان المناخ آخذاً في البرودة وانحسرت الغابات المدارية. ومع ذلك هناك اختلاف بشأن هذه النقطة. ويزعم بعض علماء

الحفريات أن أقدم الجمال ظهرت في منتصف العصر الإيوسيني أو حتى بدايته.[2] وفي نهاية العصر الإيوسيني بدأت القارة القطبية الجنوبية تتجمد وبدأت حرارة الأرض تبرد. وهلك عدد كبير من الأنواع نتيجة لذلك.

لم يكن أقدم الجمليات، المسمى بـ protylopus، أكبر من الأرنب البري، وكانت ساقاه الأماميتان أقصر من ساقيه الخلفيتين وله أسنان منخفضة التيجان. وربما كان يقتات على نباتات الغابة منخفضة المستوى. وكما قد يشير الاسم، فهو من ذوات الظلف ـ أي أنه كان من الحيوانات زوجية الأصابع، إذ كان له أربعة أصابع. وبعد ذلك فقدت الجمليات أصابعها الجانبية، في وقت ما من العصر الأوليجوسيني والعصر الميوسيني (قبل 24 إلى 25 مليون عام). وربما لم يكن لدى أقدم أنواع الجمليات سنام وربما كانت تشبه اللاما. وفي العصر الأوليجوسيني تكونت الرقبة الطويلة لدى بعض الجمال حيث سمحت لها بأكل أوراق الأشجار وقمم الشجيرات. وفي أمريكا شغلت الجمال ذات الرقاب الطويلة المكانة نفسها التي شغلتها الزرافة في إفريقيا.

أدى تبريد الأرض المستمر إلى حلول السهوب (الإستبس) محل الساڤانا الواسعية، وعلى نحو بطيء في العصر الميوسيني والعصر البليوسيني (قبل 5 ملايين إلى 1800000 عام) صارت الجمليات أكبر حجماً، وصارت رقابها أطول، وتطور تكوُّن أسنانها المميز وكذلك القدم اللين الذي يميز الجمل الحديث. وبالنسبة لتكوُّن الأسنان، زادت استطالة الأسنان بين الجمال والخيل والخرتيت ومخلوقات أخرى. وأصبحت تلك الأسنان ذات التيجان الأعلى مفضلة لمضغ أوراق الشجيرات وما يصاحبها من حبيبات الرمل. (الجمال الحديثة ليس لها أسنان ذات تيجان عالية). كما اكتسبت مشية الخبب. وظهرت أنواع الجمليات جميعها التي لم يكن

مقدراً لها أن تبقى حتى العصور الحديثة مثل Oxydactylus (جمل ذو رقبة أشبه بالزرافة) وStenomylus (جمل صغير الحجم أشبه بالغزال) وكان Alticamelus ويُعرف كذلك بـ Aepycamelus وطوله تسع عشرة قدماً (5,8 متر) أقدم الجمال العملاقة. وكان يقتات على أعالي الأشجار وكان يشبه الزرافة إلى حد ما.[3]



شجرة الجمل
التطورية



إعادة بناء بواسطة مايكل لونغ لـ Aepycamelus ((aka Alticamelus وهو أحد الجمليات الذي يشبه الزرافة وكان موجوداً في أمريكا الشمالية قبل 5–21 مليون عام.

الجمال البليوسينية والبليوستوسينية

في العصر البليوسي أصبحت درجات الحرارة أكثر اختلافاً. وقد اصطدمت أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية اللتان كانتا من قبل قارتين منفصلتين قبل 2،5 مليون عام لتخلقا جسراً أرضيّاً سمح للجمليات بالهجرة جنوباً. وفي الوقت نفسه تقريباً تكوَّن جسر أرضي سمح للحيوانات من أمريكا بعبور مضيق بيرنغ إلى آسيا. وعلى مر آلاف السنين، تكونت الاختلافات بين تلك

الجمليات التي هاجرت إلى آسيا، وأسلاف الجمل ذي السنامين، والجمل العربي، وتلك التي انتقلت جنوباً إلى أمريكا الجنوبية، وهي أسلاف الڤيكونيا والجواناكو واللاما والألباكا.

بدأ العصر الجليدي في بداية العصر البليستوسيني قبل حوالي 1800000 عام. وازدهر من الثدييات في العصر البليستوسيني أكثر مما هو موجود حالياً. وظهر الـ camelus، وهو نوع الجمل الذي نعرفه الآن، لأول مرة قبل حوالي نصف مليون عام في أمريكا الشمالية. وربما كان الجمل ذا السنامين. إلا أنه كانت هناك أنواع أخرى من الجمال. ويبدو محتملاً أن الجمل ذا السنام الواحد تطور من الجمل ذي السنامين، مع العلم أنه ليس ثمة دليل على هذا في البقايا الحفرية. ومع ذلك، فإن جنين الجمل ذي السنام الواحد يمر في مرحلة السنامين.

إن الجمل حيوان خجول وليس مجهزاً بشكل كاف للتصدي للضواري. وأفضل دفاع لديه هو اللجوء إلى الصحراء أو المناطق الجبلية التي تواجه الضواري فيها صعوبة البقاء على قيد الحياة. وقد وجد الجمل العربي والجمل ذو السنامين مكانهما في الصحراء. وفي أمريكا الجنوبية تخصصت الجمليات، التي تشمل اللاما والفيكونيا والألباكا والجواناكو، في الرعي في المرتفعات.

في الجزء الأول من العصر البليستوسيني، ازدهرت الجمال الكبيرة الحجم في الساڤانا. وظهر الـ Titanotylopus الضخم، الذي عُثِر على بقاياه في نبراسكا، في العصر الجليدي البليستوسيني، تماماً مثل الـ Megatylopus. وساد هناك اتجاه عام نحو التعملق في تلك الفترة وكان هناك على أقل تقدير ثمانية أنواع من الجمل العملاق. وازدهرت الجمليات في مساحة امتدت حتى شمال ألاسكا. وقد عثر على عظام جمال كبيرة جداً في نهر اليوكون تشبه تلك الخاصة بـ Titano tylopus. وكان



إعادة بناء لمايكل لونغ مؤلف كتاب Titanopylus، أحد الجمليات التي وُجدت في أمريكا الشمالية حوالي 300 ألف إلى مليون عام

للجمل الألاسكي جمجمة رفيعة ليس فيها فراغ كبير للمخ. أما طوله، فكان حوالي 3,5 متر ولديه سنام. وعثر كذلك على بقايا جمل أصغر قليلاً، وهو الـ Camelops (ومعناها الحرفي «وجه الجمل»)، وهو مخلوق بين الجمل واللاما في رواسب العصر الجليدي في ألاسكا ونهر اليوكون. بدأ العصر الجليدي الأخير قبل حوالي 3 ملايين عام واستمر حتى العصور التاريخية. ومن المحتمل أن الجمال بقيت على قيد الحياة في ألاسكا حتى ذروة هذا التجلد قبل حوالي 25 ألف عام. وعنى التجلد البليستوسيني المتأخر أوقاتاً صعبة للجمال. فقد اختفت معظم حيوانات أمريكا

الكبيرة الحجم في التجلد البليستوسيني المتأخر.[4]

من الغريب أن الـ Camelop اختفى عندما بدأت الأرض تزداد دفئاً وكانت المساحات القاحلة المناسبة للجمال تزداد. إلا أن عدداً هائلاً من حالات الانقراض وقع في العصر البليستوسيني المتأخر، وخاصة الثدييات الأرضية الكبيرة. ومن الممكن أن البشر اصطادوها إلى حد الانقراض. ومن المؤكد أن الجمل الغربي (Camelops hesternus ومعناها الحرفي «جمل الأمس») جرى اصطياده في أمريكا. وعثر على عظام جمال عليها علامات الذبح في موقعين أثريين. وكان الجمل الغربي أطول قليلاً من الجمل ذي السنامين، لكن ليس ثمة ما يدل على عدد الأسنمة، هذا إن كان لديه أي منها. وقد انقرض قبل حوالي 10 آلاف عام. وبالمثل انقرضت الخيل في أمريكا، إلى أن أدخلها الأوروبيون من جديد في القرن السادس عشر.

يبدو أن أول الجمال التي دخلت آسيا هي الجمال ذات السنامين. وربما ظهر الجمل العربي ذو السنام الواحد في وقت لاحق، وغالباً ظهر في شبه جزيرة العرب. وبقيت الجمال التي تشبه الجمل ذا السنامين في آسيا، كما هاجرت غرباً حتى جنوب روسيا. وقد عثر على بقايا الـ Titanotylopus أو الـ Giganotylopus في جنوب أوكرانيا، ومن المعقول أنها وصلت إلى هناك قبل خمسة ملايين عام. وهاجرت أسلاف الجمل العربي إلى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وكانت هناك جمال في إفريقيا ما قبل التاريخ (وهي تظهر في لوحات الكهوف)، لكنها بعد أن انقرضت هناك، أعيد إدخالها على وجه الاحتمال في العصور الرومانية. وفي عصور ما قبل التاريخ، انقرض الجمل العربي البري في الشرق الأوسط وبقي النوع المستأنس فقط.

عثر على القليل جداً من بقايا الجمل المتحجرة في العالم القديم

باستثناء شذرات قليلة من العصر البليستوسيني. لكن مؤخراً، في 2005–2006، عثر على بقايا جمل عملاق في صحراء تدمر بسوريا.[5] وهذا الجمل ذو السنام الواحد، الذي هو ضعف حجم الجمل الحالي، وفي ارتفاع الزرافة أو الفيل، نفق قبل 100 ألف عام، ويبدو أنه قتل عندما كان يشرب من نبع. وبما أنه عثر على بقايا بشرية في المنطقة نفسها، فمن الممكن أن يكون البشر هم من قتلوا الجمل، مع أنه ليس من الواضح أن هؤلاء البشر ينتمون إلى نوعي الإنسان العاقل أو إنسان نياندرتال. وحتى ذلك الحين، لم يكن أحد يظن أن الجمال ذات السنام الواحد وجدت في الشرق الأوسط قبل 10 آلاف عام. وتشير شذرات أخرى من العظام في طبقات صخور أخرى إلى وجود الجمل في المنطقة منذ آلاف السنين. ومع أن المنطقة صحراء الآن، فقد كانت منطقة أعشاب سافانا قبل 100 ألف عام. ويظن أن الجمال الحديثة دخلت الشرق الأوسط قبل 6–7 آلاف عام.

ولأن الجمال تجوب مناطق قاحلة غير مأهولة، فقد اكتسبت خبرة قليلة خاصة بالتصدي للضواري. وكشأن الدلافين وأنواع



Camelus moreli والجمل الحديث (باللون الأخضر)



قدم لجمل عملاق انقرض هو camelus moreli الذي كان يعيش حوالي 100000 ق.م، وقد اكتُشف في 2005–2006، وإلى جانبها قدم جمل حديث.



إعادة بناء لـ Camelus moreli. ارتفاع الجمل الحديث هو 7 أقدام (2،1 متر) عند أعلى سنامها. وكان ارتفاع الـ Camelus moreli حوالي 9 أقدام (2،7 متر).

بعينها من الرنة، الجمال هي ما يصفه خبير تاريخ الجمال ريتشارد بولييت Richard Bulliet بـ«المستأنس سلفاً في البرية». وبذلك فمن السهل استئناسها. وقال ستيفن بوديانسكي Stephen Budiansky في كتابه Covenant of the Wild: Why Animals Chose Domestication (عهد البرية: لماذا اختارت الحيوانات الاستئناس؟) الصادر في عام 1992 إنه في خلال العصر الجليدي، ضمنت الجمال بقاءها، شأنها شأن الكلاب والخيل، بتحولها إلى حيوانات مستأنسة. فعندما أصبح البشر يحمون الجمال ويطعمونها، كانت لديها فرصة للبقاء أفضل مما لو كانت تسعى وراء الكلأ بشكل مستقل في البرية. ويقول بوديانسكي إنه بحس تطوري «اختارتنا الحيوانات المستأنسة بقدر ما اخترناها نحن». وغالباً ما يكون استمرار مرحلة الطفولة، وهو الاحتفاظ المطوَّل بالسمات أو الملامح غير الناضجة في الشكل البالغ، أحد جوانب الحيوانات المستأنسة. وبذلك فهي تحتفظ بحب الاستطلاع والثقة والرغبة في الحب التي تتسم بها القطط الصغيرة والجراء والعجول.

الفصل الثالث

الجمل العملي

الشـــراء

إذا كنت تفكر في اقتناء حيوان أليف مثل الجمل، فتذكر أنه يعيش حتى يبلغ ثلاثين عاماً، أو حتى خمسين عاماً.[1] وصغار الجمال (الحيران) لطيفة وكثيرة الحركة، لكن لا تشترِ حواراً أصغر من ستة أشهر، إذ إن فمه قبل ذلك لا يكون قد تشكل بالكامل. ولا يقدر الجمل الذي يقل عمره عن ست سنوات على حمل الأحمال الثقيلة. والجمل البالغ، أي الذي في السادسة من عمره فما فوق، يكون أسلس قياداً. وإذا كنت ستشتري جملاً للركوب، فيفضل أن تشتري ناقة. فالجمال الذكور لا يمكن التنبؤ بما تفعله وهي تتسم بالعنف ما لم تُخْصَ. وينبغي أن تكون الناقة الأصيلة ذات أذنين رفيعتين، وكتفين قويتين، ورقبة معتدلة، وعظمتي كتف بارزتين، وصدر عريض، وأقدام (أخفاف) صغيرة. وطبقاً لما جاء في الكتاب الصادر عن الجيش بعنوان Provisional Camel Corps Training في عام 1913، فإن «الجبهة العالية المحدبة علامة على السلالة الجيدة». وتحاش الجمال ذات الغارب المرتفع.[2] (تشير كلمة «الغارب» إلى الجزء المرتفع بين عظمتي الكتف).

تقدم مصادر أخرى المزيد من النصائح. فكلما كان الوبر أنعم، كانت القيمة أعلى. ويجعل السنام الكبير تثبيت الرَّحْل(*) صعباً. والسنام المنتفخ يشير إلى أن الحيوان قد سقي أكثر من اللازم وأطعم

(*) الرَّحْل هو السرج الذي يوضع على الجمل فيجلس عليه الراكب. (المترجم)

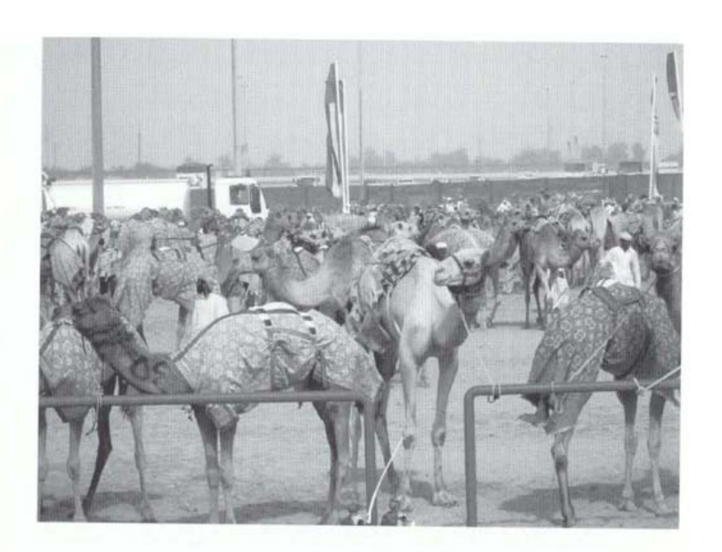
طعاماً أخضر أكثر مما يجب. وعليك بتفحص المنخارين بحثاً عن آثار جروح، فهي قد تعني أن الحيوان المشاكس قد قطع العديد من الخزام(*) من قبل. وافحص الجلد باحثاً بشكل خاص عن علامات الكي التي قد تعني أن الجمل أخضع لعلاج تقليدي من التهاب المفاصل أو الالتواءات الشديدة. وتحاش الجمال التي سبق كيها أو بها رقع خالية من الوبر (فكلا الأمرين يدل على العلاج من مرض سابق). واحترس من الأظافر التي تنمو للداخل. وتأكد من أن الحيوان ليس أعمى؛ ولابد أن تكون العينان متألقتين. وافحص الروث الذي ينبغي أن يكون رطباً بعض الشيء ولونه أخضر داكناً، وعليك أن ترى ما إذا كان الحيوان يتبول بسهولة أم لا. ومن المفيد أن تبدو واثقاً وأنت تتفحص البهائم. ويقدم لك جستن ماروتسي Justin Marozzi (الذي سافر مع الجمال وأحد الأصدقاء عبر الصحراء الليبية) نصائح بشأن كيفية القيام بذلك:

كنا نسير معاً ببطء حول كل واحد منها في محاولة لكي يبدو الأمر وكأنه الأكثر طبيعية في العالم. وكنا نشتري إبلاً باستمرار بالطبع. وكنا نومئ بحكمة، ونتشاور، ونهز رؤوسنا أسفاً (إذ لم نكن نرغب في أن نبدو شغوفين إلى حد كبير)، ونتفحص السيقان (التي كانت جميعها تبدو عوجاء لأعيننا غير المدربة)، ونحملق في عيونها، ونضرب بأكفنا على الخاصرة فيما كنا نأمل أن يكون هو مظهر الذواقة، ونتأمل.[3]

إذا كنت تربي حيواناً في المملكة المتحدة، فسوف تحتاج إلى رخصة اقتناء حيوان بري خطر.

(*) الخزام جمع خزامة وهي حلقة من شعر، ويمكن الاستعاضة عنها بالنحاس أو الخشب، تجعَل في وترة أنف الجمل ويُربَط فيها الزمام الذي يُقاد به. (المترجم)

جمال داخل مستراد، دبي



الركــوب

ونصل الآن إلى كيفية امتطاء الجمل. قبل وضع السرج عليه، استخدم فرشاة لتمشيط سطح جلده للتخلص من الحصى أو الأغصان. ويبدو أن «هوش» هي الكلمة الأكثر استخداماً لجعل الجمل يَبْرُك. وقدم جيفري مورهاوس Geoffrey Moorhouse، الذي عرض في كتابه بعنوان In the Fearful Void (في الفضاء المخيف) الصادر في عام 1974 رواية حية ومؤلمة جداً لمحاولته التي نجحت في النهاية لاجتياز الصحراء الكبرى من موريتانيا إلى النيل، النصيحة التالية بشأن امتطاء الجمل والجلوس عليه: «ضع قدمك اليمنى على ظهره أمام الرَّحْل، لكن خلف بداية الرقبة، كي تقفز فوقه، ودر نصف دورة جهة اليسار في أثناء ذلك، وانزل بهدوء في وضع تكون فيه ساقاك على جانبي الرَّحْل.[4] أمر سهل. وبالإضافة إلى ذلك، أنصحك بمجرد جلوسك على السرج أن تميل للخلف وتكون مستعداً لنهوض مؤخرة الجمل أولاً، وهو ما

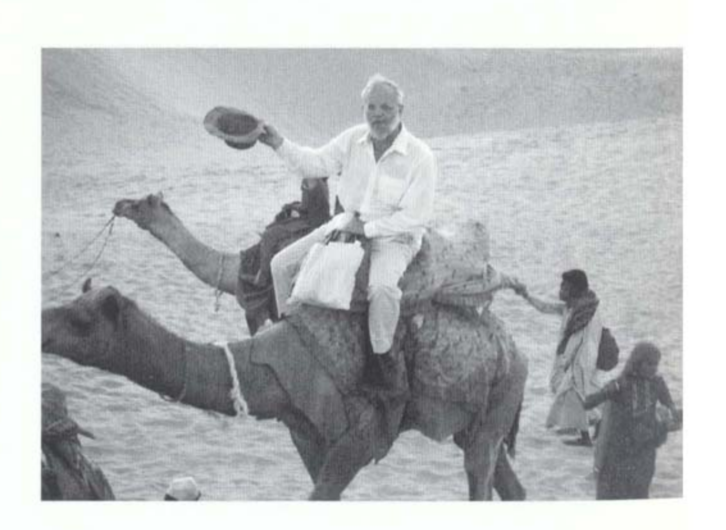


مناخ للإبل في الكويت القديمة

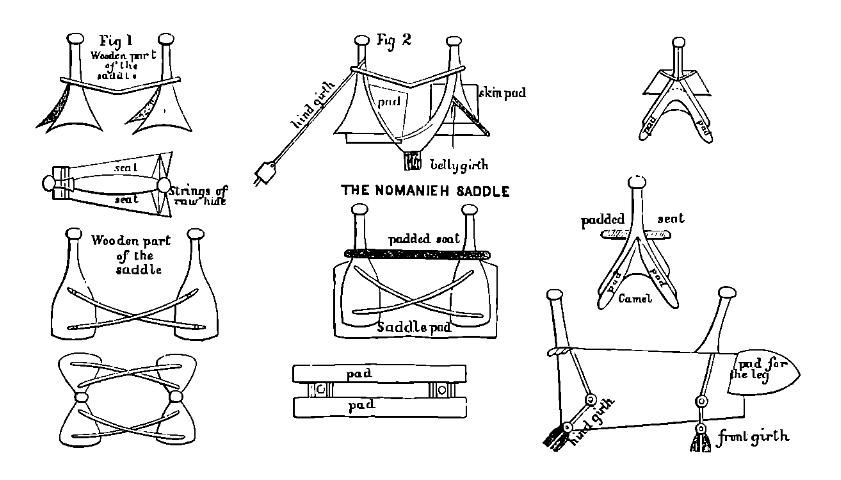
يفعله على نحو مباغت. وبعد ذلك مل للأمام عندما ينهض بباقي جسمه. (كذلك عندما يَبْرُك الجمل، ينبغي أن تميل للخلف أولاً، ينزل الجمل بشكل جزئي على ساقيه الأماميتين، ثم على ساقيه الخلفيتين بالكامل، ثم يكمل النزول على ساقيه الأماميتين). وعندما يبدأ الجمل في الحركة فإنه، على عكس الحصان، يخطو (أي أن الساقين اللتين في جهة واحدة ترتفعان معاً، ومن ثم يميل كثيراً في هذه الجهة). وسوف تتمايل أنت للأمام وللخلف. وسرعة الجمل الطبيعية هي ثلاثة أميال (4,8 كيلومتر) في الساعة. لا تجلس مسترخياً، وإلا أصابك ألم في الظهر. واستخدم قدميك أكثر من الخطام (المتصل بمشبك في الأنف) كي توجه جملك. واستخدم عصا تضرب بها على فخذ الجمل إذا أردت أن يسرع في سيره. والسير المعتاد أصعب على ظهرك من الهرولة (الخبب). وما إن تسترخي وتتعود إيقاع خطو الجمل حتى يكون بوسعك القراءة في أثناء السير إن أردت. ويمكن أن يقطع المرء ثلاثين أو أربعين ميلاً (ثمانية وأربعين أو أربعة وستين كيلومتراً) في اليوم على نحو مريح إلى حد ما. وبما أن مثانة الجمل صغيرة، فلابد

من التوقف المتكرر (كل نصف ساعة مثلاً). ولا تبالغ في سقي جملك؛ فمرة كل ثلاثة أيام تكفي. وتحب الجمال الشرب عندما تكون الشمس في كبد السماء، لكن من الأفضل أن تدع الجمال ترعى في الصباح الباكر، قبل أن تشتد الحرارة على نحو يجعل اهتمام الجمال بالظل أكثر من اهتمامها بالطعام. ولابد من تعديل الرحل باستمرار تبعاً لحجم تغيرات السنام. ويحذر كتاب السير جارنيت وولزلي Sir Garnet Wolseley الصادر في عام 1882 بعنوان Soldiers» Pocket Book (كتاب جيب للجنود) من أخطار ركوب جملك فوق أرض وعرة أو إجهاده:

بعد المطر، في التربة الطينية أو على الصخور أو الأماكن الحجرية، تنهار الإبل وبالتالي تكون عديمة النفع هناك ... وهي رقيقة جدّاً فيما يخص بنية الجسم والعُرضة للإصابة بأمراض غير مفهومة بشكل كبير. وعندما تعاني الإجهاد لا تستعيد عافيتها بالراحة كالخيل والبغال، بل تذوي



المؤلف على ظهر جمل في عُمان



رَحْل من شمال الجزيرة العربية من تقرير وزير الدولة [الأمريكي] للحرب بخصوص شراء إبل من أجل النقل العسكري في عام 1857

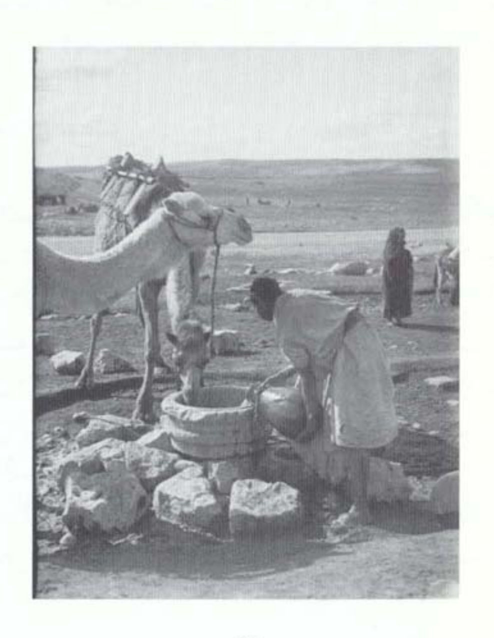
وتَنْفُق. وهي تتطلب وقتاً طويلاً للأكل هو ست ساعات على الأقل. كما تعاني بشدة الأحمال غير المتوازنة بسبب ارتفاعها الكبير.[5]

إذا كنت ستضع حملاً على ظهر جمل، لابد لك من الصبر والتركيز حتى تضع الحمل بشكل متوازن، كي لا يخل بتوازن الجمل أو يلهب جلده. وعادة ما يستغرق الجمَّالة البدو ساعة في موازنة الحمل. وتقول إحدى شخصيات تشينجيز إيتاموف Chingiz Aitamov في روايته The Than a Hundred Years Day Lasts More (اليوم الذي يستمر أكثر مائة عام): إن تركيب رَحْل الجمل ليس بالعمل الهيِّن؛ فهو أشبه ببناء منزل».[6]

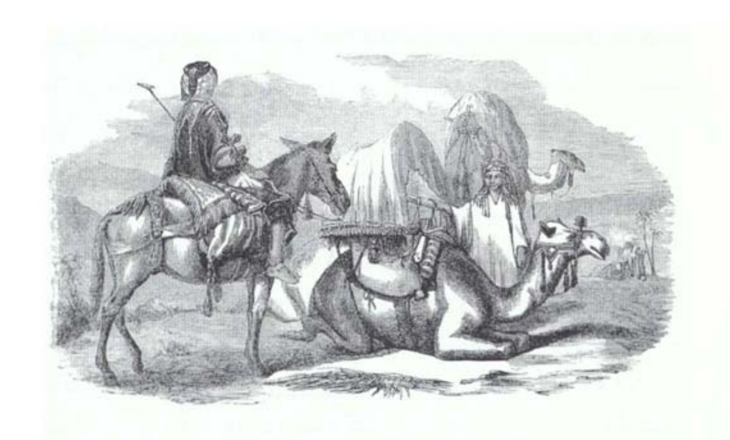
الراحــة

لا تجهد الجمل. وكما أوضح جيرستر Gerster، «فللجمل طريقته في الاحتجاج على المعاملة غير المعقولة وهي أن يموت».[7] وعندما تنتهي من سيرك، ربت على رقبة الجمل كي يبرك.

ومن المرجح أنه بعد الأيام الثلاثة الأولى من السير سوف تكون مؤخرتك شديدة الالتهاب. وعلى فرض أنك في مكان ما يتسم بالحرارة في آسيا أو إفريقيا، فعليك بالسفر في الصباح الباكر وكذلك في وقت مبكر من المساء. وينصح فردريك برنابي Frederick Burnaby الضابط بسلاح الفرسان ومؤلف كتاب A Ride to Khiva (1876) (رحلة إلى خيڤا) بأن الجمال لا تأكل إلا في النهار، ولذلك فمن الأفضل السفر بها ليلاً. وإنها لفكرة سيئة أن تدع الجمال تستريح في الثلج، ذلك أنها حينذاك «تصاب ببرد في المعدة، وهو مرض ثبت أنه قاتل لها». وطبقاً لما يقوله برنابي، فإن هناك «قدراً كبيراً من الهراء الذي يُقال ويُكتب عن صبر ما تسمى بسفن الصحراء وطول احتمالها». فقد وجد أنها عرضة للهرب أو الرقود فجأة دون سابق إنذار.[8] ويجب



جمال تسقى في فلسطين في ثلاثينيات القرن العشرين



«جمل الحمل المصري» من تقرير عسكري أمريكي يعود إلى عام 1857 عن الاستخدام العسكري للجمال

التوقف عن المسير بالنهار لاختيار أرض صالحة لإناخة الجمال؛ أي أن تكون بلا حجارة حادة إن أمكن. ولتكن حريصاً عند تقييد الجمل، ذلك أنه يمكنه استخدام مشفريه في حل العقد.

أمور تتعلق بالهضم

أعطِ الجمال الوقت الكافي للرعي قبل الغروب. وتحب الجمال التنوع في غذائها. وكلما كثرت الأشواك في الطعام كان أفضل، وإن كان طعام الجمال الشوكي يؤدي إلى رائحة الفم الكريهة. وإذا أصيب الجمل بالإمساك أعطه الملح الإنجليزي (ملح إبسوم)، وقد تفيد الفاصوليا كذلك، لأنها تصيب الجمال بالإسهال. ويحتاج الجمل إلى وقت طويل للرعي، والوقت المثالي هو ثماني ساعات يوميا، وليس ست ساعات كما أوصى ولزلي. ويبول الجمل الذي في المقدمة كل ستة كيلومترات أو نحو ذلك كي ترشد الرائحة الجمال التي تليه. ويمكنك استخدام بول الجمل لغسل شعرك. فهو يحمي شعرك من الصئبان ويعطيه مسحة تميل



جمال تشرب في فلسطين في ثلاثينيات القرن العشرين

إلى الحمرة. وإذا ما ضللت طريقك أنت وجملك في الصحراء ونفد منك الماء، يمكنك اللجوء إلى شرب بول الجمل. ويمكنك كذلك استخراج الجِرَّة (ما يجتره الجمل) واعتصار ما بها من سائل.

الخـزامة

لا يمكن استخدام الشكيمة للجمل لأنه يمضغ طوال الوقت. ولهذا السبب فإن وضع الخِزامة ضروري لقيادة الجمل، لكن إدخالها عمل مرعب. يصف روبين ديڤيدسون طريقتين لعمل ذلك:

> *ثقب صالاي Sallay الجلد من الداخل بعصا مدببة من السنط، ثم أدخل الخزامة الخشبية في الثقب وطلاه بالكيروسين والزيت. وكان أسلوب كورت Kurt أكثر تعقيداً، إن لم يكن أفضل. إذ قام بوضع علامة على الأنف باستعمال قلم عريض، ثم ثقب ثقباً صغيراً باستعمال*

خزامة جمل
ومثقاب



سُفُّود اللحم الذي دُفع من الداخل حتى المقبض، وأعقب ذلك بإدخال الخزام الذي هو ، بالمناسبة، أقرب شبهاً بقضيب خشبي صغير منه أي شيء آخر.[9]

إذا كانت هناك آثار جروح تركتها حلقات أنف قديمة، فإن هذا يشير إلى أن الحيوان صعب المراس.

انتبـــه

احترس من رفسة الجمل. إذ في وسعه الرفس من الجانب وللأمام وللخلف. وإذا هاجمك جمل شبق، فعليك أن تخلع ملابسك وتلقي بها أمامه. فربما يقبل هذا على أنه استحواذ. ويقول الطبيب البيطري بحدائق الحيوان ديڤيد تايلور David Taylor: «في آسيا، عندما يشعر حادي الجمال بمشكلة يترك معطفه للحيوان. وفيما يشبه ما يقال عن العمال اليابانيين من أنهم يتخلصون من إحباطاتهم بضرب نماذج تمثل مديريهم،

جمل ذو سنامين يطلق الدلة، وهي كيس قابل للنفخ في الفم يمكن استخدامه لإصدار ضوضاء أثناء فترة الشبق



يوسع الجمل الملابس ضرباً - إذ يقفز عليها ويعضها ويمزقها إرباً. وعندما يشعر الجمل أنه انفجر غضباً بما يكفي، يمكن حينئذ أن يعيش الرجل والحيوان في وئام من جديد». ويقدم البمباشي ماكفرسون Bimbashi MacPherson، الذي كان مفوضاً في سلاح النقل بالجمال المصري في أثناء الحرب العالمية الأولى، النصيحة التالية إذا تعرضت لهجوم من جمل غاضب: «انتظر حدوث الهجوم وأنت هادئ، تنحَ جانباً واضرب الحيوان على أنفه بمؤخرة السوط - إذ يوقفه هذا ويفقده وعيه - وبعدها سوف توقعه ضربة على ركبتيه، وبذلك يمكن تقييد ساقيه بسهولة».(10)

قص الأثر

يحترق روث الإبل بشكل جيد بسبب احتوائه على قدر كبير من السليولوز. كما أن به نسبة مرتفعة من النشادر، وهو لذلك مفيد سماداً. وفي كتاب Seven Pillars of Wisdom (أعمدة

الحكمة السبعة) كتب مؤلفه ت.إ. لورانس بشكل مثير عن روث الجمل في الصحراء:

لم تكن هناك آثار أقدام على الأرض، ذلك أن كل ريح هبت كانت مثل مكنسة ضخمة تكنس سطح الرمال فتزيل آثار آخر المسافرين، إلى أن يصبح السطح من جديد نمطاً بكراً من الأمواج الصغيرة التي لا حصر لها. وروث الجمال الجاف، الأخف من الرمل والمستدير كالجوز، هو وحده ما يفلت من التغطية. وكان يتدحرج بين التموجات، فتكومه الريح الدافعة في كل ركن. وربما بواسطته، بقدر ما هو بواسطة إحساسه هو، الذي لا يضارع، بالطريق، عرف عودة طريقه. (11)

هناك حكمة عربية تقول «الأثر لا يكذب». وفي «ألف ليلة وليلة»، هناك «قصة سلطان اليمن وأبناؤه الثلاثة»، وهي حكاية تدور حول قدرات الشباب بوصفهم مخبرين سريين وبخاصة موهبتهم الخاصة باستنباط قدر هائل من آثار الجِمال. وهذه القصة موجودة كذلك في كتابي تاريخ الطبري والمسعودي. ويصنفها الفولكلوريون على أنها نمط من أنماط الحكايات «AT655: الجمل الشارد والاستنباطات الذكية».

يقول مايكل آشر Michael Asher: «كي تحيا وتبقى على قيد الحياة في الصحراء، لابد لك من تعلم أجرومية الصحراء- أي علم نحو الرياح والحجارة والنباتات والحيوانات».(12) ويمكن تحديد سرعة الجمل من المسافات التي بين آثار أقدامه، إذ إن المسافة بين أثر القدمين الأماميتين وأثر القدمين الخلفيتين ستدل قاص الأثر على السرعة التي كان يسير بها الحيوان. ويقدم أندريه فون دورمايشر، الذي خدم مع هجانة خفر السواحل المصرية في أوائل

«رسول الصحراء»، حفر يقوم على لوحة زيتية لهوراس فيرنت Horace Vernet في التقرير الأمريكي لعام 1875 عن الاستخدام العسكري للجمال



القرن العشرين وقام بقص آثار مهربي الحشيش مراراً، التفاصيل المفيدة التالية:

سوف يتمكن [قاص الأثر] من تقدير سرعة الجمال التي يطاردها بملاحظة تجاور آثار الأقدام. وبذلك فإنه إذا كان الجمل البالغ يسير ببطء بمعدل خمسة أميال في الساعة، فإن مقدمة القدمين الخلفيتين تصل إلى مستوى

مؤخرة القدمين الأماميتين؛ وإذا زيدت السرعة إلى سبعة أو ثمانية أميال، فسوف تتوقف الساقان الأماميتان والساقان الخلفيتان عند المستوى نفسه، وإذا زيدت السرعة، سيكون من الأمان إضافة ميل آخر في الساعة لكل بوصتين (5سم)، وبذلك تتجاوز الساقان الخلفيتان مستوى الساقين الأماميتين. وعلى سبيل المثال، إذا كانت المسافة بين القدمين الأماميتين والقدمين الخلفيتين 12 بوصة (30 سم) يمكن استنتاج أن الجمل كان يسير بسرعة كبيرة جدّاً مقدارها حوالي أربعة عشر ميلاً في الساعة. والجمل الذي يسير بهذه السرعة سوف يقذف خلفه قدراً كبيراً من الرمال في الوقت نفسه.[13]

في تجربة فون دومرايشر von Dumreicher (التي قارنها بتجربة «قصة مغامرة صبي»)، تدع قافلة بريئة، تنقل التمر على سبيل المثال، الجمال تهيم على وجهها وترعى، في حين يدفع مهربو الحشيش بجمالهم كي تسير في طريق مستقيم. وكلما كانت آثار الأقدام أكثر استقامة كان الشك فيها أكبر.

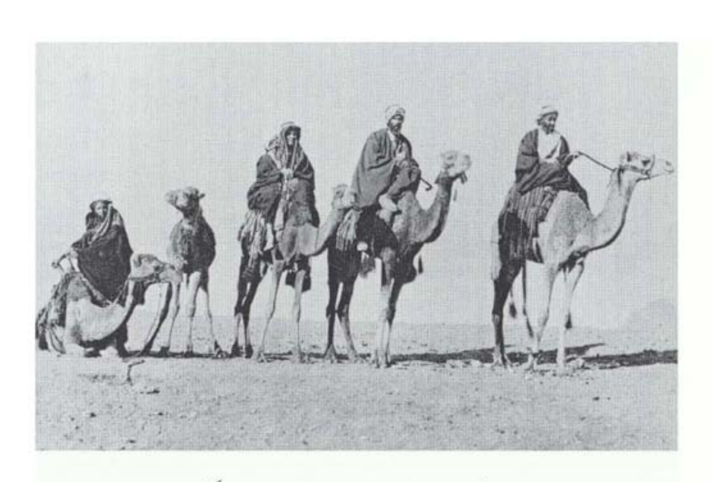
يحب الجمل الذي تترك له حرية التجول أن «يشرب النسيم»، وفقط في حال بلوغ الريح (وما يصاحبها من رمال) قوة معينة، فإنه يدير لها ظهره ويسير في اتجاه الريح نفسه.[14] وآثار الجمال بالليل أقل استقامة، ومن الأرجح أن تسير الجمال على أرض حجرية. وسيعقب ظهور آثار أقدام الجمل الذكر آثار أبيه. وبمرور الوقت تصبح الخطوط الخارجية لآثار خف الجمل أقل وضوحاً. وفي الصباح الباكر، عندما يسقط الندى، يُخْرِج أثر الخف قدراً أكبر من الرمال. ولمدة يومين يكون الأثر مائلاً إلى الحمرة في مظهره. وعادة ما يحتفظ روث الجمل برطوبته في اليوم الأول.



آثار أقدام جمل

وإذا كان الروث جديداً، يمكن شم رائحة العشب فيه. وإذا كان الجمل في حالة جيدة، تكون فضلاته مستديرة على نحو متماثل. وإذا كانت الفضلات خضراء، فهي تشير إلى أن الجمل كان يأكل البرسيم. وإذا كان الجمل عطشاً تكون فضلاته أكثر صلابة وأصغر حجماً وعلى هيئة التمر. وفي حالة الفضلات الجديدة، يمكن شم ما إذا كانت الإبل قد أكلت الكثير من النباتات العطرية أم لا.

يقرأ البدو المربون للجمال آثار أقدام الجمال بالسهولة التي يقرأ بها معظم الناس الوجه. فعلى سبيل المثال، بمقدورهم استنتاج هوية الجمل الناضج من ذاكرة أثر هذا الجمل عندما كان في الثانية من عمره. وتشتهر قبيلة المرة بالمملكة العربية السعودية بأن لديها أفضل قصاصي الأثر. وطبقاً لما يقوله ديكسون Dickson، المعتمد السياسي في الكويت، فقد «كان من السهل على المري قول ما إذا كانت آثار جمل واحد لناقة وضحاء (بيضاء) أو حمراء (بنية) أو



صورة التقطت في عام 1880 لقافلة جمال في الصحراء

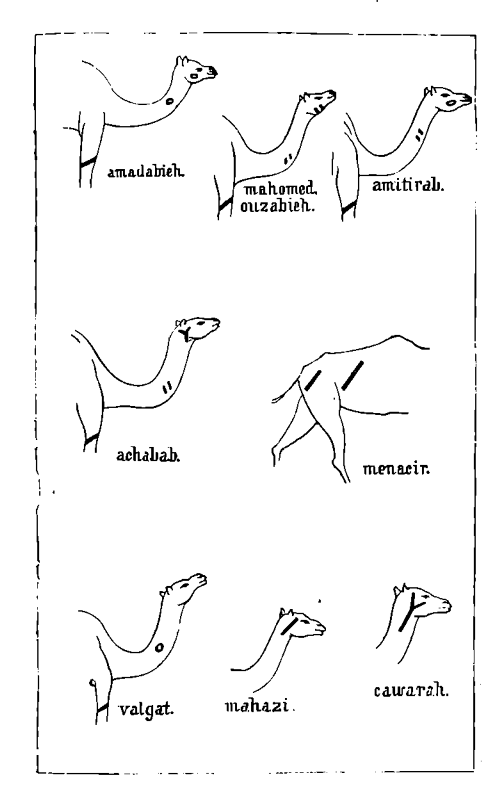
سوداء، بل إنه من الأسهل قول ما إذا كان جملاً أو ناقة وإن كانت عشراء أم لا».[15] يؤكد عالم الأنثروبولوجيا دونالد پاول Donald Powell مهارة المرة في قص الأثر. ويعرف أهل البيت آثار كل جمل من جمالهم، وعلى الأقل آثار بعض إبل أقاربهم. وكان قصاصو الأثر من المرة يُلحَقون بكل مراكز الشرطة السعودية الرئيسية. أما «عارفين الكف»، فرجال خبراء في قراءة الأثر. والقايف هو الشخص الذي يحدد علاقة القرابة بين الجمال في المقام الأول بواسطة الأقدام. وهم يقرأون عروق خف الجمل المتقاطعة وفضلاته.[16]

يحكي المستكشف ويلفريد ثيسيجر عن كيفية سفره مع بعض البدو في الربع الخالي. فقد مروا على بعض آثار الأقدام المطموسة. وقفز رجل عجوز إلى أسفل لفحصها وبعد قليل تفحص بعض فضلات الجمال التي كسرها بين أصابعه. وقال عن الآثار: «إنها للعوامر. وهناك ستة منها. لقد غاروا على الجنبة على الساحل الجنوبي وأخذوا ثلاثة من جمالهم. وجاءوا إلى هنا من سهمة وأوردوا الجمال في المغصن. ومروا من هنا قبل عشرة أيام». (وقد

تأكد هذا كله بكل تفاصيله).

ويمضي ثيسيجر قائلاً:

هنا كان كل رجل يعرف آثار كل جملٍ من جماله، فبوسع بعضهم تذكر آثار كل جمل رآه تقريباً. يمكنهم من نظرة واحدة أن يعرفوا من عمق الأثر ما إذا كانت الناقة يمتطيها شخص أم لا، وما إذا كانت عشراء أم لا. وبدراسة الآثار الغريبة، يمكنهم معرفة المنطقة التي جاءت منها الجمال. فبطون أقدام الجمال الآتية من المناطق الرملية، على سبيل



وسوم على جمال مصرية من تقرير أمريكي عن الاستخدام العسكري للجمال صادر في عام 1857

المثال، لينة وتتميز بخطوط ممزقة من الجلد الفضفاض، في حين تكون أقدام التي جاءت من سهول الحصباء ملساء لامعة. ويمكن للبدو معرفة القبيلة التي ينتمي إليها الجمل، لأن القبائل المختلفة لديها سلالات مختلفة من الإبل، ويمكن التمييز بينها جميعاً من آثار أقدامها. وبالنظر إلى فضلاتها كان يمكنهم استنباط أين كانت الجمال ترعى. ومن المؤكد أنه كان يمكنهم معرفة أين وردت الماء آخر مرة. ونتيجة لمعرفتهم بالبلاد، كان يمكنهم معرفة أين على وجه الاحتمال.[17]

غير أن بعض الحذر واجب في هذا المقام، إذ إن آثار الأقدام يمكن استخدامها ضد قصاصي الأثر. فأحد أعظم قصاصي الأثر في بوليس الحدود المصري في بداية القرن العشرين كان يمكنه تقليد آثار الجمل باستعمال يديه.[18] وقد حمل العرب الذين حاربوا إلى جانب ت.إ. لورانس في الحرب العالمية الأولى فضلات إبل إضافية، نثروها على الطريق كي يجعلوا الأتراك يظنون أن قواته أكبر مما هي عليه بالفعل.

أكل لحم الجمال

بما أن الجمل ليس له ظلف مشقوق، فإن لحمه محرَّم عند اليهود: «إلا هذه فلا تأكلوها، مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم: الجمل والأرنب والوبر، لأنها تجتر لكنها لا تشق ظلفاً، فهي نجسة لكم». (التثنية 14: 7) ومن المفترض أيضاً ألا يأكل الزرادشتيون والأقباط لحم الجمال.

يشير الكتّاب الإغريق إلى الفرس الذين تلذذوا بولائم من لحم

الجمال. لكن الذواقة الروماني أبيكيوس[*] Apicius الذي عاش في القرن الأول الميلادي هو الذي أشاع قدم الجمل كأحد أطايب الطعام (إلى جانب الأطباق المغرية كألسنة الطواويس والبلابل، ولحم النعام المحمر ومخ طائر الفلامنجو). وعلى الرغم من تأليف أبيكيوس لكتاب طهي يزخر بوصفات الطعام النادرة، يبدو أن وصفته الخاصة بلحم الجمل قد اختفت. وقد أصبحت قدم الجمل المشوية صنفاً ممتازاً. وكان الإمبراطور الروماني المنحل إيلاجابالوس Elagabalus (حكم من 218 إلى 222) الذي جاء من سوريا وكان يحترم كتابات أبيكيوس، مغرماً إلى حد كبير بيخنة قدم الجمل.

يعلق المستعرب جيرت فان جيلدر Geert Van Gelder على الندرة النسبية لوصف طهو لحم الإبل في الشعر العربي القديم قائلاً: «أصناف الطعام البدوية لا تستسلم بسهولة للتدفقات الغنائية، مع العلم أنه يمكن تخيل كيف أن البدوي الجائع، الذي وصف ناقته بحب، ربما لا يظل على عدم تأثره عند رؤية قطعة من اللحم المغذي».[19]

(*) يعتبر سيليوس أبيكيوس أبا الكتب المهمة في مجال وصفات الطعام الروماني في إيطاليا القديمة. وقد أصبح اسم أبيكيوس مرتبطاً بكل ما له علاقة بحب الطعام. إذ فرض كتابه إعادة دراسة أطعمة المناطق الجنوبية من إيطاليا والساحلية المتوسطية بالتحديد التي تشتهر حالياً بالطماطم والمعجنات. وتركز وصفات الكتاب الكثيرة على خدمة الأغنياء ومنها الكثير من وصفات السمك والمآكل البحرية والطيور والحبوب والبقوليات واللحوم بشكل عام، لكن أهم ما في الكتاب هو أن تبويبه كان كالكتب الحديثة حيث يبدأ بقسم عن الطباخ وآخر عن اللحوم وثالث عن مختلف الأطباق بشكل واضح ومفصل ويتناول كل موضوع على حدة. (المترجم)

وصف شاعر عاش في القرن السابع، هو ابن الأهتم(*)، إعداد جمل للطهو باللغة السخية التالية:

وقُمتُ إلى البَرْكِ الهَواجِدِ فاتَّقَتْ
مقاحِيدُ كُومٌ كالمَجادِلِ رُوقُ

بأدْماءَ مِرْباعِ النِّتاجِ كأنَّها
إذا عَرَضَتْ دُونَ العِشارِ فَنِيقِ

بِضَرْبَةِ ساقٍ أو بِنَجْلاءَ ثَرَّةٍ
لَهَا مِن أمامِ المَنْكَبيْنِ فَتِيقُ

وقامَ إليها الجازِرانِ فأوْفَدَا
يُطِيرانِ عَنها الجِلْدَ وَهْيَ تَفُوقُ

فَجُرَّ إلينا ضَرْعُها وسَنامُها
وأزْهَرُ يَحْبُو لِلقيامِ عَتِيقُ

بَقِيرٌ جَلا بالسَّيفِ عنهُ غِشاءَهُ
أخٌ بإخاءِ الصَّالِحينَ رَفيقُ

(*) عمرو بن الأهتم عمرو بن سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر، من بني تميم. أحد السادات والشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام وسمي أبوه سنان بالأهتم لأن قيس بن عاصم المنقري ضربه بقوس فهتم أسنانه وقيل هتمت أسنانه في أثناء القتال في يوم الكلاب الثاني (أحد أيام العرب في الجاهلية). عاش عمرو في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وهو أحد الصحابة الشعراء المجيدين. قيل إنه وفد على الرسول مع بني تميم في السنة 9 هـ وكان صغير السن وشارك في فتح بلاد فارس وكان في جيش الحكم بن أبي العاص. وتوفي عمرو في خلافة معاوية بعد أن عمّر وشاخ. (المترجم)

فَبـاتَ لَنـا منهـا ولِلضَّيْـفِ مَوْهِنـا
شِـوَاءٌ سَمِـينٌ زَاهِـقٌ وغَبُـوقُ

إذا كنت ستطهو جملاً، فعليك أن تكون واعياً بالمسؤولية التي تحملتها. ذلك أنه في عام 2007 قام الطاهي الفرنسي كريستيان فالكو Christian Falco بطهو جمل على السفود. وقد استغرق الأمر منه خمس عشرة ساعة واستخدم ثلاثة أطنان من الخشب وخمسة عشر لتراً من الزيت؛ وأكل منه خمسمائة شخص.[21] وفي الصحراء، لحم الجمل الواحد كثير جداً بالنسبة للأسرة الواحدة، ولذلك لا تُذبَح الجمال إلا عندما يكون هناك احتفال كالعرس يضم العديد من الأسر. وفي بعض الأحيان، بعد أن يُذبَح الجمل ويقطع لحمه، يجنِّب دهن السنام ويحول إلى مسلي (سمن) ويُستخدم للطهو فيما بعد. ويمكن تقديد اللحم بتقطيعه على شكل شرائح طويلة وتعليقه على الشجيرات ليجف. ولحم الجمل بطيء في نضجه. والجمل الصغير الذي لم يُجهد في العمل هو الأفضل، إذ لا يكون لحمه قاسياً جدّاً. ولحم الجمل قليل الدسم والكوليسترول، غير أنه غني بالحديد والبروتين.

الضرع والسنام ولحم القعود هي أكثر ما يرغب فيه الناس من لحم الجمال. ويبدو أن هناك إجماعاً كبيراً على أن طعمه أشبه بلحم البقر.[22] إلا أن موسوعة لاروس المطبخية Larousse Gastronomique تشبِّه لحم الجمال بالبتلو (لحم العجل). وقد تناولت لحم الجمال ويمكنني القول إن طعمه أشبه بلحم الغزال. وفي سوريا يحكمون على السنام الدسم بأنه طيب جداً إلى حد أن بعض الأشخاص يأكلونه نيئاً. وطبقاً لما يقوله ديكسون،

فإن «(السنام) على وجه الخصوص يعتبر من الأطايب العظيمة في الطقس البارد». وعلى الرغم من حكم ديكسون على لحم الجمال بأنه «خشن ويشبه الجلد»، فقد اعترف بأن البدو يحبونه.

وصفت مدام جينودو Madame Guinaudeau مؤلفة أحد كتب الطهو، وهي تكتب في خمسينيات القرن العشرين، وصول الجمال وذبحها في سوق الخميس بفاس وكيف أن اللحم بعد ذلك «ينتهي به الحال في سقيفة الجزار وقد قُطع إلى قِطع صغيرة مقدر لها أن تُفرم لعمل الكفتة». وتمضي مدام جينودو في كلامها كما يلي: «يزيِّن الدهن الأبيض والباهت من السنام، الذي يقطَّع إلى قطع سميكة، سقيفة الجزار ويشتريها الناس لعمل «خلي» (لحم محفوظ) من لحم الضأن والبقر والجمال. ولأنه أرخص ثمناً، فمن الممكن طهوه بالطريقة نفسها التي يُطهى بها لحم البقر، في اليوم الذي لا يكون فيه شيء يمكن شراؤه، خاصة إذا كان اللحم لحم جمل صغير».[23] بالنسبة لمن لم تنفرهم مدام جينودو، إليكم شيئاً أكثر إسرافاً بكثير:

جمــــل محشـــو

500 تمرة

200 بيض زقزاق

20 سمكة شبوط زنة رطلين

4 طيور حباري منظفة ومنزوعة الريش

خروفان

جمل كبير

توابل

يُحفَر خندق في الأرض. تحفر حفرة عمقها ثلاثة أقدام للفحم المشتعل. يسلق البيض على حدة. يقشّر السمك

وُيحشى بالبيض المسلوق المقشر والتمر. تُتَبّل طيور الحباري وتحشى بالسمك. يُحشى الخروفان بالحباري ثم يُحشى بهما الجمل. يشوَّط الجمل ثم يُلف في أوراق نخيل الدوم ويُدفَن في الحفرة. يُترَك لمدة يومين. يقدَّم مع الأرز. وبالهناء.

ما سبق مصدره رواية الروائي الأمريكي ت. كوراجيسن بويل T. Coraguhessan Boyle بعنوان Water Music (موسيقى الماء)، وهي رواية تدور حول المستكشف مانجو پارك Mungo Park الذي يقوم بحملة سيئة الحظ في نهر النيجر. وفي مقابلة أجريت مع المؤلف أوصى بتناول الفجل الحار مع اللحم.[24]

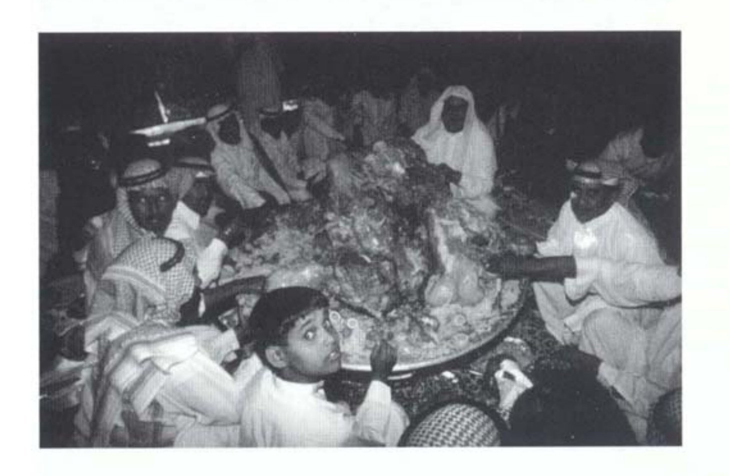
وفي كتاب International Cuisine presented by California Home Economics Teachers (المطبخ الدولي من تقديم معلمات الاقتصاد المنزلي بكاليفورنيا) سوف تجدون وصفة مشابهة على نحو غامض تشمل جملاً متوسط الحجم، وخروفا كبيراً، وعشرين دجاجة، وستين بيضة، واثني عشر كيلو من الأرز، وهلم جرا. ويزعمون أنها تكفي «جمعاً من الأصدقاء يتراوح عدده بين الثمانين والمائة».

وإليكم وصفة أقل إثارة من چان مارك إيرڤيه Jean–Marc Hervé من جراند يونيون پَب Grand Union Pub في ويستبورن پارك بلندن:

- *صنف عربي تقليدي يسمى «قوزي» يتكون من لحم قعود في الوسط، محمر كاملا، يحيط به الأرز*
- *يحمر 160 جراماً من مكعبات لحم الجمل لكل شخص مع البصل والثوم والأعشاب في طاسة.*
- *تضاف قبضة من الدقيق.*

• *ينقل إلى قدر أعمق مع إضافة النبيذ الأحمر ويترك على نار هادئة.*
• *يطهى ببطء لمدة ثلاث ساعات.*
• *تُضاف شرائح الأناناس والحمص ومعجون الكاري. يسخن إلى ما دون الغليان ثم ينقل إلى قوالب التارت.*
• *يقدَّم مع العدس بجبة والبطاطس المهروسة والسلطة.* (25)

أدانت مصممة الأزياء ستيلا ماكارتني Stella McCartney جراند يونيون پَب بسبب همجية طهو الجمل. «سوف يتقلب لورانس العرب غاضباً في قبره إذا علِم بهذا الأمر».[26] لكن لورانس العرب كان يأكل لحم الجمل باستمرار، كما يتضح من هذه الفقرة من كتاب «أعمدة الحكمة السبعة»: «كانت الوجبة الأخيرة طيبة. من ناحية كونها الأخيرة، ومن ناحية أخرى لأن محمد ذبح لنا قعوداً رضيعاً سلقته في اللبن الرايب زوجاته



صنف عربي تقليدي يسمى «قوزي» يتكون من لحم قعود في الوسط، محمر كاملا، يحيط به الأرز

اللائي كن طاهيات شهيرات».(27) وعلى الرغم من ذلك، فقد أيد ماكارتني طباخاً يظهر في برامج الطبخ التليفزيونية يستحق أن يظل اسمه مجهولاً، إذ قال: «في المجتمع المتحضر، ينبغي لنا تشجيع الناس على الحفاظ على الحياة البرية، وليس أكلها إلى حد الانقراض». لكن المطعم حصل على لحم الجمل مما يُنتقى من الجمال البرية في أستراليا. والواقع أن الجمال البرية في أستراليا يتزايد عددها بمعدل يثير الفزع وربما كانت أقل عرضة لخطر الانقراض من الجنس البشري.

يتوقف طعم الحليب على ما تأكله الناقة، لكن طعمه ملحي بشكل طفيف في الغالب. وفي شرق إفريقيا، ليس البدو وحدهم من يستهلكون الحليب، بل إنه يرسل كذلك ليباع في المدن. وفي بعض الأحيان يحفظ الحليب بالتخمير. وحليب النوق به دهون أكثر مما في حليب البقر وما به من فيتامين «ج» ثلاثة أضعاف ما في حليب البقر، كما أن ما به من بروتين يزيد قليلاً. ويأتي أحلى حليب من الناقة التي ولدت لتوها. ومن الصعب، إن لم يكن مستحيلاً، صنع الجبن أو الزبد من حليب النوق، ذلك لأنه لا يتخثر بسهولة. ومن الممكن كذلك عمل نوع من اللبن الرائب.

وأخيراً، فيما يتعلق بأكل لحم الإبل، كتب المؤرخ ابن خلدون الذي عاش في شمال إفريقيا في القرن الرابع عشر، متطلعاً إلى الحياة البدائية التي ينتشر فيها الفقر لقبيلة مضر التي عاشت في الحجاز في الجاهلية، أنهم «كانوا فخورين بأكل «العلهز، وهو وبر الإبل يمهونه بالحجارة في الدم ويطبخونه».[28] ومع ذلك لم يقدم إرشاداً مفصلاً للطبخ.

الفصل الرابع

الجمال في عصور العالم الإسلامي الوسطى

خيال بلاد العرب في الجاهلية الذي يعج بالجمال

الجمل في العربية هو الحيوان الناضج البالغ من العمر سبع سنوات أو أكثر.[1] وكلمة «جميل» تشترك في المصدر الثلاثي مع كلمة «جمل»، وهي تعني إما المعنى المعروف، الخاص بالجَمَال، أو الدهن المنصهر. وقد احتفى العرب على مر القرون بجمال الجمل، مع العلم أن بعضهم، كما يبدو، وجدوا في الوقت ذاته شيئاً شيطانيّاً في هذا المخلوق. فالاعتقاد العربي القديم هو أن الجمال انحدرت من الجن وقيل إن مراح الإبل مأوى للجن. وجاء في الحديث أن النبي محمد سئل عن جواز الصلاة في مراح الإبل، فرد: «لا تصلوا في أعطان الإبل، فإنها خلقت من الشياطين».[2] وربط الجمال بالشياطين أشار إليه كذلك الدميري مفسر الأحلام الذي عاش في القرن الرابع عشر وأعلن أن الجمل في المنام هو الجن، «ذلك أنها [أي الجمال] خلقت من عيون الجن». وطبقاً لما تقوله أسطورة عربية قديمة، فقد تزاوجت جمال أوبار، وهي مدينة في الربع الخالي جنوب الجزيرة العربية في الجاهلية، مع جمال الجن.

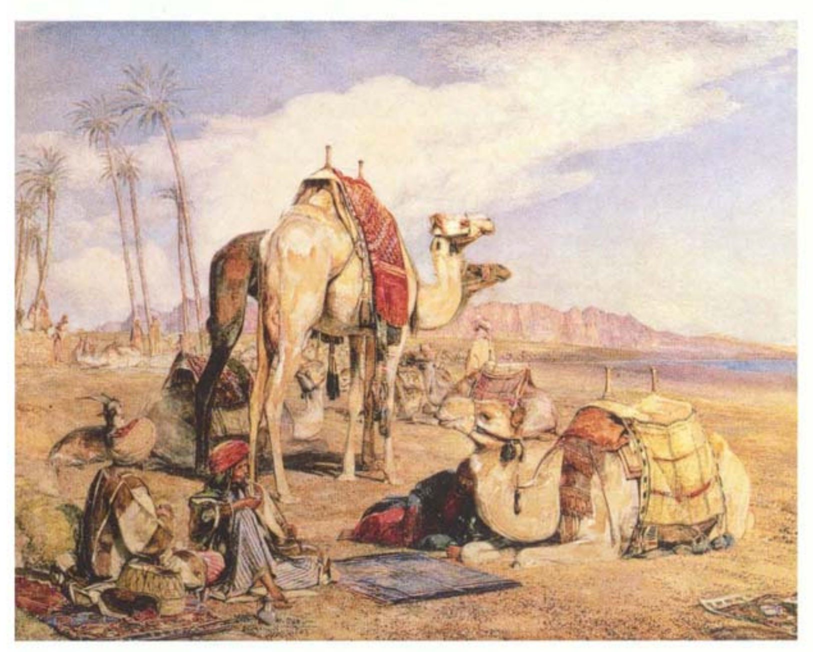
وفي الشعر كثيراً ما كانت الجمال تقارن بالنعام، وبالفعل كان العرب الأوائل يصنفون النعام على أنه نوع من الجمال. وإلى جانب تشابه الشكل الخارجي، فإن للنعام، شأنها شأن الجمال، أقدام مفلطحة وأظافر شوكية. وفي حكاية تروى في كتاب الحيوان للجاحظ، تعتذر النعامة عن عدم حملها حملاً ما على أساس أنها طائر، ولكنها تعتذر عن الطيران مدعية أنها حيوان لا يطير.[3] (في اللغة الفارسية كلمة «شتر مرغ»

معناها «الطائر الجمل»، والنعامة في اللاتينية هي struthiocamelus ومعناها كذلك الطائر الجمل)، وقد نظر إلى الزرافة على أنها نوع آخر من الجمل، فهي نتيجة تهجين بين الناقة والفهد.

وبالمناسبة، «جمل اليهود» تعني بالإنجليزية chamelon (حرباء).

وفي رسالة بعنوان «ذبح رهبان جبل سيناء» المنسوبة إلى القديس نيلوس Nilus، هناك وصف لما يبدو أنه تضحية بالجمال بين عرب صحراء سيناء في أواخر القرن الرابع الميلادي كان فيها جمل أبيض لا شية فيه يُربَط على مذبح خشن من الحجارة المكومة، وبعد أن يدور قائد مجموعة العُبَّاد ثلاث مرات حول المذبح في موكب مهيب مصحوباً بالأناشيد، يُحْدِث به أول

جون فردريك لويس John Frederick Lewis ، مراح في الصحراء، ألوان مائية



جرح ... وبسرعة شديدة يشرب من الدم الذي يندفع. وعلى الفور تهوي الجماعة كلها على الأضحية بسيوفها، يقطعون قطعاً من اللحم المرتعش ويلتهمونها نيئة بسرعة جنونية، حتى أنه في الوقت ما بين ظهور نجم الصباح الذي يحدد بدء المراسم، واختفاء أشعته قبل طلوع الشمس، يكون الجمل كله، بجسمه وعظامه وجلده ودمه وأمعائه، قد التُهِم بالكامل.[4]

وطبقاً لما جاء في كتاب ويليام روبرتسون سميث الشهير Lectures on the Religion of the Semites (محاضرات عن ديانة الساميين) (الطبعة الثانية، 1894)، لم يخلق هذا الشكل الطوطمي من الشعائر رباطاً بين رجال القبائل وإلههم فحسب، بل زاد كذلك من تضامن القبيلة الاجتماعي. واقتبس سيجموند فرويد Sigmund Freud في كتابة Totem and Taboo (الطوطم والتابو« (1912–1913) رواية القديس نيلوس عن الجمل الأضحية من خلال روبرتسون سميث Robertson Smith، ثم قال إن التناول الطوطمي للحم الجمل كان نوعاً من التمثيل الرمزي لجريمة قتل الأب الأصلية.(*) وعلى الرغم من ذلك، فقد تعرض كتاب فرويد «الطوطم والتابو» لانتقاد حاد من مؤرخ الأديان والأساطير الروماني ميرتشيا إلياده Mircea Eliade الذي أشار إلى أنه في عام 1921 أوضح كارل هوسي Karl Heussi أن

(*) يتحدث فرويد عن نشأة الدين قائلاً إنه كان رد فعل لجريمة شنعاء. فقد حدث في جيل من الأجيال الإنسانية الأولى أن كان هناك أب مستبد يحكم القبيلة ويحتكر كل نساء العشيرة!!! فوقعت ثورة من طرف الأبناء أدت إلى قتل الأب وأكله! وبعدها أحسوا بالندم فأقاموا حفلات دينية يستغفرون لذنبهم ووضعوا قوانين تحريمية كان أولها تحريم الزواج بالمحارم، وهكذا تطور الطوطم فأصبح الأب إلهاً ونسيت الناس جريمتها فلم تعد ترى صلة بين الطوطم والأب وغدت الذبيحة قرباناً تقدمه الأمم إلى العزة الإلهية. (المترجم)

رسالة «ذبح رهبان جبل سيناء» لم يكتبها القديس نيلوس وأن مؤلفاً مجهولاً لهذا العمل اعتمد على العبارات المبتذلة الخاصة بالحكايات الهلينستية في تصويرها المرعب لسلوك البرابرة.[5]

وعلى الرغم من ذلك، لا يبدو أن الحال في بلاد العرب الوثنية هو أن الإبل كانت تُنحر على نحو شعائري في وقت الحج عند الصرح الزاخر بالأصنام في مكة(*). وكانت الإبل تُنحر كذلك استعراضاً للثروة وإظهاراً لكرم الضيافة. وطبقاً لما جاء في Arabic–English Lexicon للين Lane، الذي يعتمد هنا على المعجم العربي من العصور الوسطى «تاج العروس»، فإنه «يُقال تعاقرا إذا عقرا إبلهما يتباريان بذلك ليرى أيهما أعقر لها» (أي أنه تنافس معه كي ينالِ مجداً أكبر ويبدي كرماً أعظم في نحر الإبل). ويضيف لين قائلاً: «كانوا يفعلون ذلك من أجل مجد زائف، وبذلك كان المتعارف عليه هو أن أكل لحم الجمال المذبوحة في مناسبة من هذا النوع محرم، وهي تشبه الحيوانات التي يُضحَى بها لغير الله». والمعاقرة اسم معناه «التنافس على نحر الإبل».[6] وكان شرف العربي يقوم على هذا النوع من الاحتفال الذي يتسم بالتباهي. وقد اشتهر الشاعر الأرستقراطي الجاهلي حاتم الطائي بسخائه في نحرِ المئات من جمال والده ليقدمها لضيوفه. وأصبح اسمه تعبيراً عن الكرم، وهو يظهر على هذا النحو في إحدى قصص «ألف ليلة وليلة».[7] والجزور هو الجمل الذي يُجَنَّب لكي يُذبَح. وكان يُضحَّى بالجمال كذلك من أجل الموتى. والبَلِيَّة هي الناقة التي يقيدونها عند قبر صاحبها كي تموت

(*) من الواضح أن المؤلف يقصد بذلك الكعبة. (المترجم)

صورة قديمة لإبل مزينة في عُرْس بالسويس



من الجوع هناك(**).

كثيراً ما كان الرجال يقامرون على جمل مذبوح. والميسر لعبة جاهلية كان المشاركون فيها يقامرون على أجزاء من الجمل المذبوح.[8] وفي وقت لاحق، حرَّمها النبي هي وسائر أشكال القمار. والمعنى الحرفي لكلمة ميسر هو «سهل» أو «لعبة الأيسار». ثمة سبعة لاعبون في اللعبة، وسبعة سهام رابحة أو خاسرة وثلاثة سهام محايدة. أو ربما هناك عشرة حظوظ، في صورة تلك السهام، وكانت تُسحَب لتحديد من الذي يكسب أفضل أجزاء الناقة ومن الذي سيدفع ثمنها. والرجال الذين يسحبون السهام المحايدة هم من يدفعون ثمن الجمل. وكان الضرع والسنام القطعتين المفضلتين. وعادة ما كان يمارس اللعبة رجال جائعون في أوقات

(**) جاء في لسان العرب: «إذا مات لهم من يعز عليهم أخذوا ناقة فعقلوها عند قبره فلا تعلف ولا تسقى إلى أن تموت وربما حفروا لها حفيرة وتركوها فيها إلى أن تموت». (المترجم)



مبخرة يمنية من القرن الثالث قبل الميلاد مصنوعة من حجر الكالسيت على شكل جمل وراكبه. النقش بلغة سبأ، وهو أسماء المانح الورع.

الشدائد في الشتاء، وعلى الرغم من أن الباحثين وجامعي الشعر الجاهلي مثل ابن قتيبة (828–889) حاولوا فيما بعد إعادة بناء طريقة ممارسة اللعبة، فلا يعرفها أحد في الواقع، ذلك أنه بعد تحريمها في القرآن نسيت القواعد.

كانت أنساب الإبل، التي يمكن تتبعها في سلالة الإناث في العادة حتى عشرة أجيال، تحفظها الذاكرة القبلية. وأفضل الجمال

يجري تعليمها بشق آذانها. أما مهر العروس القياسي فمائة ناقة. وذلك هو دية القتيل أيضاً.

ينتشر وجود الإبل في الشعر الجاهلي. وباعتباره المترجم العظيم للشعر العربي القديم، كتب السير تشارلز ليال Charles Lyall (1845–1920): «تنتشر العناية بالإبل في الشعر العربي القديم كله، والكلمات والتشبيهات المشتقة منه مستخدمة باستمرار من أجل كل شكل من أشكال الأغراض الغريبة».[9] وعادة ما كانت القصيدة تبدأ بالنسيب، وهو نواح على فقدان الحبيب وإدماج للمديح لذلك الحيوان وأحياناً مديح الشاعر نفسه لعبوره الصحراء.[10] والجزء الخاص بالناقة في القصيدة عادة ما يخصص للفخر بالناقة الجميلة والسريعة وراكبها الفريد والشجاع. ويتناول الوصف الناقة (أو الفرس أحياناً)، وكثيراً ما كانت الناقة تقارن بالغزال أو النعامة أو حيوان آخر. ثم يأتي بعد ذلك الرحيل، وعادة ما يكون بمفرده على ناقته. وكانت الناقة مفضلة بصفة عامة للركوب. وكان من المعتاد إنهاء القصيدة بالمديح، وهو يوجَّه في العادة إلى راعي الشاعر الفعلي أو المحتمل.

ربما كانت معلقة امرؤ القيس الذي عاش في القرن السادس أشهر قصيدة في اللغة العربية. (تشير المعلقة إلى تقليد تعليق مجموعة تضم أفضل سبع قصائد لشعراء مختلفين في مكان للتكريم داخل الحرم المقدس بمكة في الجاهلية). وفي افتتاحية القصيدة، يتوقف امرؤ القيس عند أطلال المخيم القديم ويتذكر كيف أنه في شبابه كان إعداد ناقته المذبوحة للطهو تمهيداً لمغازلة إحدى نساء القبيلة. وهذا هو وصف الشاعر لتقطيع ناقته:

أَلَا رُبَّ يَـوْمٍ لَـكَ مِنْهُـنَّ صَالِـحٍ

وَلَا سِيَّمَـا يَـوْمٍ بِـدَارَةِ جُلْجُـلِ

وَيَـوْمَ عَقَـرْتُ لِلْعَـذَارَي مَطِيَّتِـــي
فَيَـا عَجَبـاً مِـنْ كُوْرِهَـا الْمُتَحَمَّـــلِ

فَظَـلَّ العَـذَارَى يَرْتَمِـيْنَ بِلَحْمِهَـا
وشَـحْـمٍ كَهُـدَّابِ الدِّمَقْسِ الْمُفَتَّـلِ[11]

المعنى الضمني المحتمل لهذا النص هو أن الشاعر عرض ذبح ناقته مقابل الجنس. وفيما يلي ذلك، نجد امرؤ القيس الأكبر سناً والأكثر حزناً، آسفاً على ضياع شبابه، ورحل (لكن على فرس).
أشهر مديح لناقة هو ذلك الذي في معلقة طرفة التي ألفها في القرن السادس.[12] وهذا جزء من وصف طرفة ناقته الرائعة الذي يلي مباشرة حزن الشاعر على الحب الضائع في المخيم المهجور:
وَإِنِّي لأَمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَـارِهِ
بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وتَغْتَـدِي

أَمُونٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَصَأْتُهَـا
عَلَى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُـدِ

جَمَالِيَّةٍ وَجْنَاءَ تَرْدِي كَأَنَّهَـا
سَفَنَّجَةٌ تَبْرِي لأَزْعَرَ أَرْبَـدِ

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وأَتْبَعَـتْ
وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّـدِ[13]

يواصل طرفة في أربعة وعشرين بيتاً أخرى وصف مرعى ناقته وضروعها الجافة وفقرات رقبتها، وهلم جرا، منتهياً بمشفرها



مزهرية من كاشان
ذات طلاء معدني
على شكل جمل
من أواخر القرن
الثاني عشر

المشقوق ومارنٍ أنفها المثقوب. وهنا فقط نحصل على رواية لرحلته الفعلية. وقد علّق المستشرق الكبير السير ويليام جونز Sir William Jones الذي عاش في القرن الثامن عشر على هذه القصيدة قائلاً: «ليته قال ما هو أكثر عن معشوقته وأقل عن ناقته».[14]

كانت الخيل أغلى ثمناً وكانت في الواقع أكثر نفعاً في المعركة، لكنها أقل إثارة في أعين الشعراء. وكان التشبيه الشائع هو مقارنة



تمثال صغير سوري
لعازفين على ظهر
جمل يعود إلى عصر ما
قبل الإسلام



نسيج حريري إيراني من أوائل القرن السابع عشر يصور ليلى مع قاطرة من الإبل وهي تزور حبيبها المجنون في البرية

الحرب بالناقة العشراء. وقد قارن الشاعر الجاهلي تأبط شرّا قذف الرماح بالإبلِ التي تشرب. ففي عالم بلاد العرب القَدَري في الجاهلية، قد تُقارَن القبيلة بقطيع من الإبل راعيها هو الموت. وقد وقع الشاعر دريد الذي عاش في القرن السابع فِي حب الشاعرة الخنساء عندما شاهدها وهي تدهن بالقار جملاً مريضاً بالجرب وقد احتفى بذلك في شعره.

ذات بو هي الناقة التي يقدَّم لها البو. والبو جلد حوار ميت يُحشى بالتبن ويقدم لها لخداعها كي تدر الحليب. (هذه الممارسة مازالت قائمة حتى يومنا هذا). ووصف دريد ذات مرة المحنة التي ألمت بها على هذا النحو:

فكنت كذات البو ريعت فأقبلت

إلى قطع في مسك سقب مقدد

حب الإبل الشّــعـر

تستجيب الإبل للشعر استجابتها للموسيقى. وكلمة «ترجز» في اللغة العربية معناها «حث إبله بغناء الرجز». والرجز هو الاسم الشائع المستخدم لوصف بحر بسيط (بحر أيامبي غير منتظم يتكون من أربع تفعيلات في البيت الواحد) يستخدم في الأهازيج البسيطة التي يغنيها العاملون الذين يقومون بأنشطة إيقاعية كالصيادين والمراكبية والسقاءين وحداة الإبل. ومع ذلك فإن المعنى الأصلي الصحيح للكلمة هو «الرجفة، والسورة، والاختلاج (مثلما قد يحدث في عجز الناقة عندما تريد النهوض)».[15] ولكي نعود إلى المعنى الأكثر شعرية، فقد أصدر الفريق الغنائي Camel في عام 1999 أسطوانة بعنوان Rajaz. وجاء في الغلاف المصاحب للأسطوانة: «موسيقى الشعراء التي كانت تحمل في يوم من الأيام القوافل عبر الصحارى الكبرى. ولأنها كانت تغنى على الإيقاع البسيط لخطوات الحيوان، فقد كانت تسحر ألباب المسافرين المتعبين بشأن غايتهم ... نهاية الرحلة. وهذا الشعر يسمَّى «الرجز». إنه إيقاع الجمل». وتقع أحداث الألبوم من الناحية النظرية في الشرق الأدنى.

لغـة الإبــل

وضع العرب مفردات شديدة الثراء تتصل بالإبل. أولاً: كما لاحظ السير ريتشارد برتون Sir Richard Burton: «هناك لغة منظمة للجمل. فـ «إخ!إخ!» تجعله يبرك. و«يوه! يوه!» تحثه على النهوض. و«هاي! هاي!» تحث على الحذر، وهلم جرا».[16] ويمكن أن نضيف إليها «هت! هت!» التي تستخدم لحث الجمل على المضي قدماً.

كانت مقاربة العلماء المسلمين القدامى للجمل لغوية في المقام الأول. وهناك نكتة قديمة تقول إن كل جذر فعل عربي له أربعة

معاني: أولاً، معناه الأصلي، ثم المعنى المضاد للمعنى الأول، ثم المعنى المتصل بالإبل، وأخيراً المعنى الجنسي. والواقع أن لدى العرب عدد هائل من الكلمات لأنواع الإبل المختلفة. وقد ذكرنا بعضها بالفعل. وجمع يوزيف فرايهر فون هامر پورجشتال Joseph Freiherr von Hammer–Purgstall، وهو مستشرق كبير عاش في القرن الثامن عشر، 5772 كلمة للإبل والملامح المتصلة بها وأدواتها. والكثير من المصطلحات التي جمعها كان مجازات شعرية.[17] لكن على سبيل المثال، هناك بالفعل ما لا يقل عن ثلاثين كلمة مختلفة لحليب النوق.

وقد انبهر مستكشف الصحراء ويلفريد ثيسيجر بالمفردات المتصلة بالجمال التي يستخدمها بدو الربع الخالي:

من أجل الحديث بذكاء مع البدو عن الإبل، حاولت تعلم المصطلحات المختلفة التي يستخدمونها، وبما أنها عديدة بما يكفي على أية حال، فهي تميل إلى الاختلاف بالنسبة للمفرد والجمع. ولها أسماء مختلفة للسلالات والألوان المختلفة، ولجمال الركوب وجمال القطعان، وهناك مصطلح مختلف للجمل في كل عام من حياته إلى أن يكتمل نموه، وهو يختلف تبعاً لجنس الجمل، ومصطلحات أخرى بمجرد أن يهرم. ولديهم مصطلحات للناقة العاقر، وللناقة الحلوب، وهي التي تختلف مرة أخرى بناء على طول فترة رعايتها لصغيرها أو إدرارها للحليب. وقد أعددت قائمة بهذه الكلمات لكنني أدركت استحالة حفظ معظمها في ذاكرتي.[18]

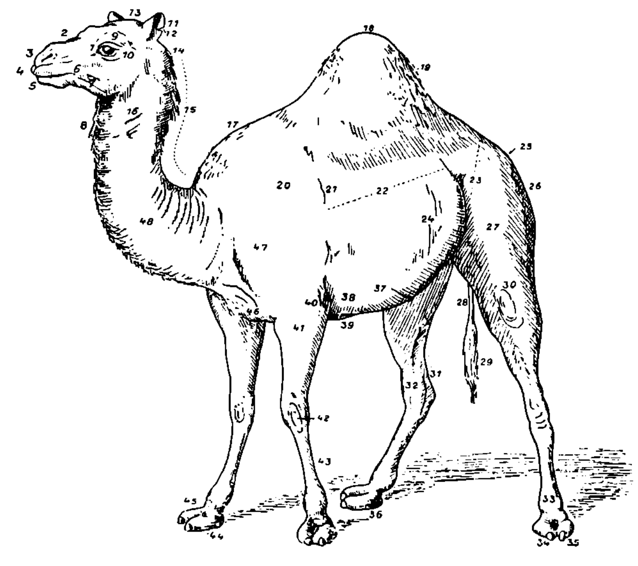
إليكم بعض الكلمات العربية. كلمة الجمل الشائعة في اللغة العربية تنطبق على الذكر فحسب، بين سن السادسة وسن



يحيى بن محمود الواسطي، منمنمة لإحدى قوافل الحج من نسخة مصورة تعود إلى القرن الثالث عشر من مقامات الحريري، وهي مجموعة قصص لأبي محمد القاسم بن على الحريري (1122–1054)

العشرين من عمره. وعندما تظهر الكلمة في الأدب فهي تفتقر إلى الرنين الشعري والعاطفي والمجازي للناقة. و«الناقة» هي أنثى الجمل مكتملة النمو اعتباراً من عامها الخامس فما فوق التي تستخدَم للركوب. وكما رأينا، الناقة هي أحد نجوم القصيدة المنتظمين. و«الإبل» اسم نوع يشمل الجمال كافة. و«الذلول» هو جمل الركوب بغض النظر عن جنسه. و«الأيهمة» الناقة القوية. و«الطالح» الناقة المتعبة أو الهزيلة. و«العوامل» الجمال ذوات السنامين. و«المذكار» الناقة التي تلد ذكوراً فقط (وهذا فأل سيئ). و«الصرمة» الناقة التي لا حليب لها. و«الحادي» هو الرجل الذي يحث الإبل أو يثيرها بالغناء لها.

ألويس موزل،
أجزاء الجمل الستة
والأربعون باللغة
العربية، من كتاب
The Manners and
Customs of the
Rwala Bedouin
(أخلاق وعادات بدو
الرولة) الصادر في عام
1928



1. *ʿajn*
2. *ʿarnûna*
3. *ḫašm*
4. *borṭom*
5. *famm*
   incisors: *ṯenâje*; eye-teeth: *nîbân*
6. *šiżż*
7. *ḥanačên*
8. *laḥje*
9. *ḫeǥâǥ*
10. *ḫeǥr, ḫasa'*
11. *iḏn*
12. *fâʿûs*
13. *hâma*
14. *mosan*
15. *ʿelba*
16. *dkajječ ar-rḳuba*
17. *ṛâreb, četf*
18. *sanâm*
19. *ḏerwa, râs as-sanâm*
20. *menčeb*
21. *daffa'*
22. *ǥamb*
23. *ṣulb*
24. *čilwe*
25. *mardefa*
26. *ʿurûḳ*
27. *faḫaḏ*
28. *ḏêl*
    root of the tail: *ʿokrat aḏ-ḏêl*
29. *šebîb*
30. *ṯafne*
31. *ʿarḳûb*
32. *sâḳ*
33. *berǥûm*
34. *mafraḳ az-zmûʿ*
35. *ẓufr*
36. *fersem*
37. *sirr*
38. *obṭa*
39. *zôr*
40. *kûʿ*
41. *ʿaẓda*
42. *rukba*
43. *ḏrâʿ*
44. *ḫaff*
45. *raṣâṣ*
46. *manḥar, maḏbaḥ*
47. *ǥifšer*

posteriors: *ʿarâra, ṭejz*
sexual organ: *ḫejf*
testicles: *ḫoṣjân*
sexual organ of a she-camel: *sabba*
udder: *dejd*
teats: *šṭûr.*

هناك الكثير عن مفردات الجمال العادية نوعاً في اللغة العربية. وإليكم بعض المصطلحات الأكثر صعوبة (وهي موجودة في الغالب في مفردات المعجمي ذي الأسلوب العتيق بعض الشيء إدوارد ويليام لين Edward William Lane الذي عاش في القرن التاسع عشر):



خط
عربي مطبوع من
شمال الهند

مبوَّد: جمل رُبِط رسغ إحدى ساقيه الأماميتين في ذراعه، وتكون ساقه تلك مرفوعة عن الأرض.

عبيل: جمل شبع من المرعى الأخضر حتى أنه لم يعد بحاجة إلى الماء.

مُثَّر: جمل له علامة وضعت أسفل قدمه بآلة تسمى مثرة كي تعرف آثار أقدامه.

عريف: جمل يعاني ألمًا في أنفه.

بحيرة: ناقة شقت أذنها وولدت أمها عشر إناث على التوالي قبلها.

آجب: جمل جُبَّ (قُطِع) سنامه.

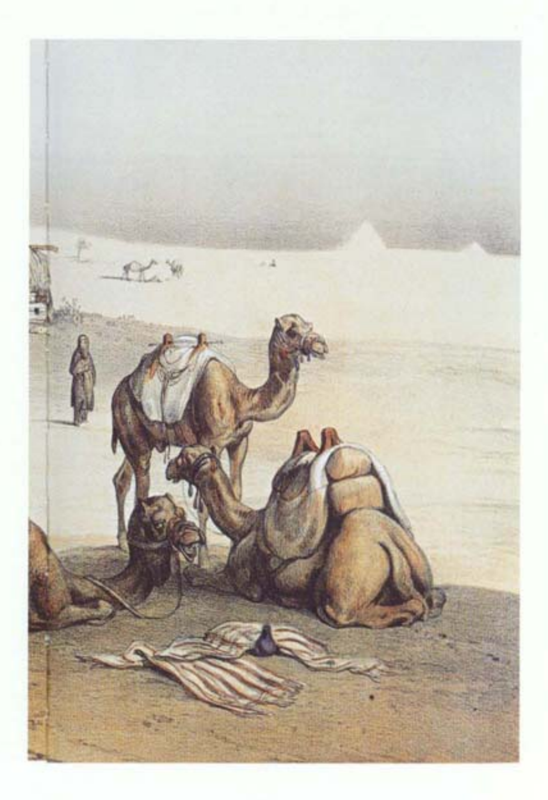
مجروب: رجل أصيبت إبله بالجرب (كما في المثل «لا إله لرجل

جربت إبله»).

جلد: جلد القعود الذي يوضع (بعد سلخه) على جسم جمل آخر كي تشفق عليه أم المسلوخ وترضعه.

أهجل البعير: فك قيد الجمل من ساقه الأمامية اليسرى وربط به اليمنى. (معجم عربي من العصور الوسطى يقول العكس).

به حز: يقال عن الجمل به جرح في حافة الجسأة الناتئة على صدره التي أحدثها كوعه، وهو ما يجعلها تدمي.



تفصيلة من منزل عربي في السويس، حفر على الحجر مأخوذ من رسم مانو أندراسي، المجري الذي قام بجولة في شرق المتوسط في أوائل خمسينيات القرن التاسع عشر.

(هناك كلمة عربية أخرى للشيء نفسه لكن بلا إدماء).

محاتبة: الناقة التي تأكل الأشواك الجافة

رغاء: صياح الجمل المتذمر.

أرغى: جعل ناقته تصدر صيحة التذمر التي تسمى رغاء، وهو يجعل جمله يفعل ذلك كي يستضاف.

خرسي: ناقة لا تطلق الرغاء.

فريج: الناقة التي انتحت جانباً لدخولها المخاض ومن ثم تكره الفحل ولا تحب قربه منها.

خزوق: الناقة التي تخرق الأرض بظفرها.

ختير: ضرب الجمل بذيله بين الأجزاء التي تعلو الفخذين عندما يتجول.

مخاليف: الإبل التي رعت في الأعشاب الطازجة أو النباتات البقلية، ولم تقتت على الأعشاب الجافة، ولم يكن رعيها في الأعشاب الأولى ذا فائدة.

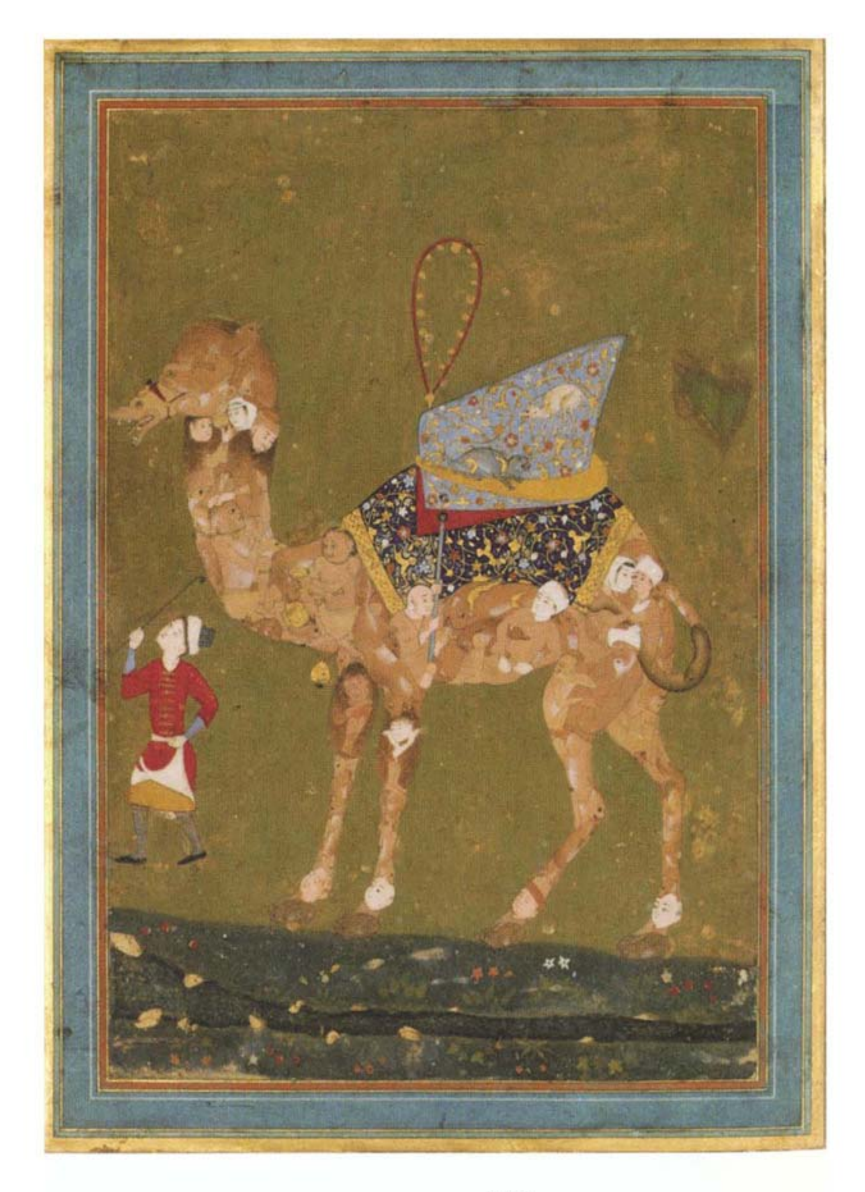
خليق: الناقة التي يجعلونها تؤثر، مع ناقة أخرى، على صغير، كي تدر كلاهما حليبهما له، ويكون لأهل تلك الخيمة أو ذلك البيت حق حصري في حليب إحداهما ويترك حليب الأخرى للصغير.

خِمس: شرب الجمل في اليوم الخامس، إذ يحسب اليوم التالي للسابق باعتباره الأول؛ شربها يوم، ثم رعيها ثلاثة أيام، ثم المجيء للماء في اليوم الخامس، وبذلك يحسب اليومان الأول والأخير اللذان تشرب فيها.

(19)

المادة المعجمية غير الموجودة في قاموس لين الذي لم يكتمل هي «استنوق»، «خلط بين الجمال والنوق» (وهو مثل قولك إنه غبي تماماً).

منمنمة من بخارى من القرن السادس عشر بألوان الجواش تصور جملاً مزيناً وسائسه.





ليون بيلي Léon Belly،
الحج إلى مكة، 1861،
زيت على قماش

في بلاد فارس النخور هي الناقة التي تستشعر وخزاً في أنفها قبل أن تدر الحليب. ونار هو الجمل البخاري ذو السنامين المرتفع باللغة القرغيزية. ويقول المثل القرغيزي «لا يسقط أحد إلا من على جمل مرتفع».

الجمل القرآني

يبدو من المرجح أن المفردات المتصلة بالإبل جرى تطويرها في العصور الجاهلية، أي قبل عشرينيات القرن السابع. إلا أنها كانت ثقافة إبل شفاهية بالكامل تقريباً ولم يحدث أن دُوِّن الكثير من الأعمال عن الجمل إلا بعد ظهور الإسلام وخصِّص الكثير من النثر له. قدم خورخي لويس بورخيس Jorge Luis Borges في محاضرة أُلقيت في بوينس أيريس في عام 1951 بعنوان

«الكاتب الأرجنتيني والتراث» التأكيدات التالية:

قبل بضعة أيام، اكتشفت تأكيداً غريباً للطريقة التي يمكن بها للسكان المحليين بحق الاستغناء عن اللون المحلي، وهو غالباً ما يفعلونه. وقد وجدت هذا التأكيد في كتاب جيبون Decline and Fall of the Roman Empire *(اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها). إذ يشير جيبون إلى أنه في الكتاب العربي بامتياز، وهو القرآن، ليس هناك إبل؛ وأعتقد أنه إذا كانت هناك أية شكوك فيما يتعلق بمصداقية القرآن، يكفي غياب الإبل هذا لإثبات أنه عربي. فقد كتبه محمد، ولم يكن لدى محمد باعتباره عربيّا سبب لمعرفة أن الإبل عربية على وجه الخصوص؛ فهي بالنسبة له جزء من الواقع، ولم يكن لديه سبب كي يميزها، في حين ما يفعله المزور أو السائح أو القومي العربي هو أن يأتي بالإبل وقوافل إبله كاملة على كل صفحة؛ لكن محمد باعتباره عربيّاً، لم يكن مهتماً، إذ عرف أنه يمكن أن يكون عربيّاً دون الإبل.*[20]

ثمة أخطاء عديدة فيما سبق. فمحمد كان أميّاً ولم يكتب القرآن. فقد جمع بعد وفاته مما أوحي به إليه. ثانياً: لم يصدر عن جيبون مثل هذا الادعاء عن القرآن، إلا أن بورخيس، كما يبدو، أساء قراءة إحدى حواشيه. ثالثاً: هناك إشارات عديدة إلى الإبل في القرآن.

يبدي القرآن اهتماماً بالحيوانات أكثر مما يبديه الكتاب المقدس، وتظهر الإبل بشكل واضح إلى حد كبير. ونستشهد هنا ببعض الآيات ذات الصلة:

أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيفَ خُلِقَتْ

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيفَ رُفِعَتْ
وَإِلَى الْجِبَالِ كَيفَ نُصِبَتْ
وَإِلَى الأَرْضِ كَيفَ سُطِحَتْ
فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ

(سورة الغاشية، الآيات 17-21)

وتروي سورة هود قصة صالح، وهو أحد أنبياء ما قبل الإسلام أرسله الله لينبه قوم ثمود كي يقوموا أساليبهم ويتوقفوا عن عبادة الأصنام ويتوبوا. لكنهم شكوا في كونه نبيّاً وطلبوا آية من الله، وحينذاك خرجت ناقة من الصخر. قال صالح:

وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ

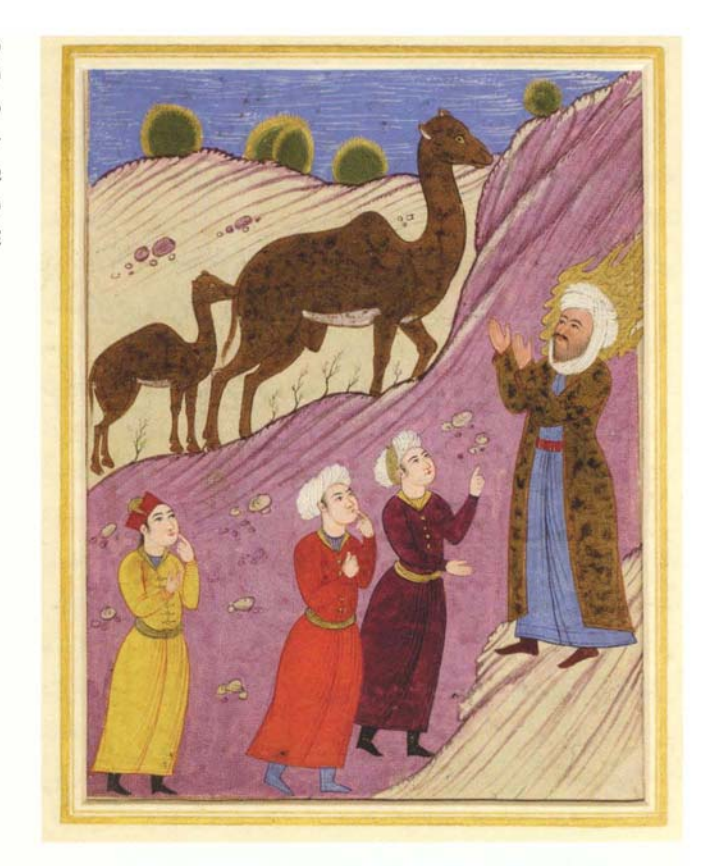
(سورة هود: الآيتان 64 و65)

لكن قوم ثمود لم يتأثروا بما قاله صالح والمعجزة وعقروا الناقة ثم ذبحوها. وبعد ثلاثة أيام، دمرت الصيحة كفار ثمود، ولم ينج منها سوى صالح ومن آمنوا به. ويكرر القرآن إلى حد ما ما جاء في العهد الجديد، وبشكل خاص في متى 19:24: «وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنَّ مُرُورَ جَمَل مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ». فقد جاء في القرآن:

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ.

(سورة الأعراف، الآية 40)

رسم توضيحي إيراني من القرن الثامن عشر من «قصص الأنبياء»، وهو جامع للقصص القرآنية، يبين الحكيم صالح والناقة التي تخرج بمعجزة من الصخر



الجمل التقليدي

جاء في الحديث النبوي أن النبي وبخ من يجلسون بلا عمل على ظهور جمالهم في السوق، مستغلينها مقاعد لهم. فقد قال: «اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكراً لله منه». وجاء في الحديث: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ فِي الْجَنَّةِ إِبِلٌ فَإِنِّي أُحِبُّ الإِبِلَ؟ قَالَ: «نَعَمْ ، لَكَ فِيهَا نَاقَةٌ ». وجاء في حديث آخر: «لا تسبوا الإبل فإنها من نفس الله تعالى، ولا تسبوا الريح فإنها نفس الرحمن جل وعلا». وجاء في الحديث الشريف: «الإبل عز لأهلها، والغنم بركة، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة». كما قارن الرسول بين الإبل والقرآن، ذلك أن كليهما يحتاج إلى تدبر. وفي المقابل، ورد عنه أنه قال «إن الإبل خُلقت من الشياطين».

موقعة الجمـل

وقعت هذه المعركة في البصرة في عام 656 بين أتباع علي ابن عم النبي وزوج ابنته الذي طالب بالخلافة وأتباع عائشة زوجة محمد التي أيدت مطالبة الزبير، وهو من الصحابة الأجلاء، بالخلافة. وكانت تلك أول معركة حارب فيه مسلم مسلماً. وتسمى «موقعة الجمل» لأن عائشة قادت المعركة من هودجها القرمزي على ظهر جمل. يسمى جملها عسكر وكان يلبس درعاً. ووصف بارنبي روجرسون Barnaby Rogerson المشهد كما يلي:

تركزت المعركة في ضوء العصر حول الهودج الذي كانت تجلس فيه عائشة تحميها كوكبة من الفرسان المدرعين. وانبرى البطل تلو الآخر من صفوفها لينالوا الشرف - والموت شبه الأكيد - بالتقدم للإمساك بخطام جمل أم المؤمنين والعمل كفارسها الحامي. وقد قتلوا الواحد تلو الآخر على يد الرماة المحيطين بهم، وكأن قصيدة من قصائد الجاهلية عادت إلى الحياة. وطبقاً لما أورده الدميري، يقال إن أيدي ثمانين رجلاً قطعت وهم يمسكون خطام الجمل. وفي النهاية عقر الجمل وأنزلت

عائشة. وانتصر علي واستسلمت هي. وعومل المهزومون بكرم.[21]

أيقونة الثقافة العربية

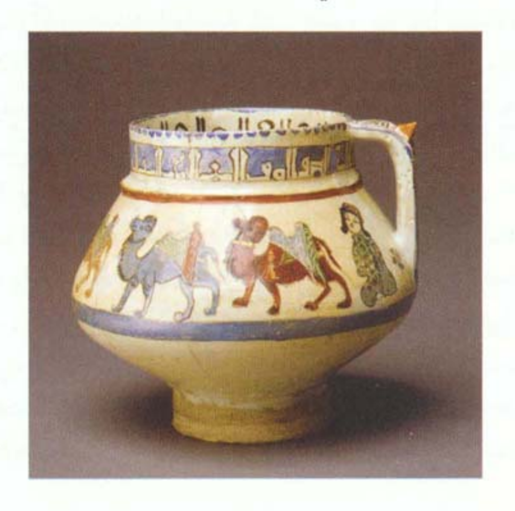
أصبح الجمل أيقونة العرب المسلمين المربين للإبل. وأنشئت في سنوات الفتوحات الإسلامية الأولى البصرة بجنوب العراق في البداية لتكون معسكراً للحامية. غير أنها سرعان ما نمت لتصبح مدينة كبيرة غدت مركزاً للآداب والعلوم والفلسفة. وكان المربد المركز التجاري والفكري الرئيسي. والمعنى الحرفي لكلمة المربد هو مربط الإبل وكانت تلك بالفعل وظيفة المساحة المفتوحة الكبيرة، إذ كان البدو يبركون إبلهم هناك. وكانت العربية اللغة التي نزل بها القرآن. وعلاوة على ذلك، أصبحت لغة إمبراطورية كبيرة. لكن اللغة كانت صعبة وثمة نقاط خلافية كثيرة تتعلق بمفردات القرآن والشعر الإسلامي المبكر ونحوهما. وقد عرف سكان البادية بأنهم حراس الشكل الأكثر نقاء للعربية وكانت ذاكرتهم أكبر مرشد للطريقة التي قيلت بها الأشياء وأنجزت في حياة النبي. ولذلك كان علماء الدين والنحويون والشعراء المقيمون في البصرة يخرجون بانتظام إلى المربد للتحدث مع مربي الإبل من البادية ليغنوا عن المخيمات المهجورة وجمال الإبل وقسوة حياة البادية.

كان العالم اللغوي الكبير الأصمعي (740–828؟) يرتاد المربد وقام بدراسة خاصة للغة الأعراب. وكانت إحدى نتائج دراسته «كتاب الإبل»، وهو دراسة للكلمات المتصلة بالإبل في الشعر الجاهلي. وعلى الرغم من أنه اختار معظم مفرداته بالحديث مع الأعراب الذي كانوا يأتون على إبلهم من البادية للتجارة مع البصرة، فقد خرج هو كذلك إلى البادية لجمع الكلمات الأكثر

غموضاً. وكان يعتبر الطرق البسيطة للأعراب، سكان البادية، شكلاً مثاليّاً للحياة.[22]

وضع الجاحظ (حوالي 776-868)، وهو بصري وأعظم كتّاب المقالات في العالم العربي، رسالة ضخمة بعنوان «كتاب الحيوان».[23] ومع أنه اعتمد بشدة على المصادر الأدبية اليونانية وغيرها، فقد حصل على الكثير من معلوماته من الرواة الأعراب. ومما يؤسف له أنه لم يتمكن قط من كتابة فصل عن الجمل، وما لديه عن الحمام أكثر مما لديه عن الإبل. وربما تحاشى الموضوع لأن الكثير جداً كان قد كتب عنه بالفعل، أو ربما كان الموضوع من التعقيد والأهمية على نحو جعله يتركه للنهاية.

وعلى الرغم من ذلك، فمن الممكن العثور على معلومات لا بأس بها عن الإبل متناثرة في ثنايا كتابه العظيم. وهو يشير إلى العادة الجاهلية الخاصة بأنه عندما يصل عدد القطيع إلى ألف كانت إحدى عيني الجمل الألف تُفقأ وعندما يتجاوز



إبريق مينائي فارسي يعود إلى حوالي عام 1200 يصور تدريب جمل

العدد ذلك كانت العين الأخرى تُفقأ. وقد سمي هذا الجمل بـ «المعمى» واحتفي به في الشعر.[24] (استئصال العين هو المصطلح الفني لفقء العين).

وأشار الجاحظ إلى أن الإبل تحب فقط الشرب من الماء الآسن. وقد تكبد عبء تفنيد فكرة أن الزرافة نتاج تزاوج جمل وأنثى نمر. كما ربط الأسطورة القائلة بأن الحية كان لها في يوم من الأيام هيئة الجمل، لكن الله عاقبها بإجبارها على الزحف على بطنها.

بدأ الصاحب بن عبَّاد (938–995) حياته شاعراً في البصرة ثم أصبح وزيراً للأمراء البويهيين في بلاد فارس في القرن العاشر. وكان راعياً كبيراً للأدب، ويقال إنه كان يمتلك مكتبة بها 117 ألف مجلد. ويقال إنه في رحلاته الكثيرة محارباً ورجل دولة لم يفارق كتبه المحبوبة. إذا كان يحملها أربعمائة جمل مدربة على السير بترتيب أبجدي. وكان أمناء مكتبته الحداة يمكنهم وضع أيديهم في الحال على أي كتاب يطلبه سيدهم. ومن المؤسف أن هذا يبدو ملفقاً، لكن بذرته حكاية من المرجح أن تكون حقيقية رفض فيها ابن عبَّاد أن يصبح وزير الحاكم الساماني على أساس أنه سيضطر للسفر وسيكون نقل مكتبته مكلفاً جداً على ظهور أربعمائة جمل.[25]

في البصرة، في وقت ما من القرن العاشر أو الحادي عشر، أنتجت مجموعة باطنية عرفت باسم إخوان الصفا موسوعة بعنوان «رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا» تغطي كل العلوم من وجهة نظر فلسفية وأخلاقية. وتشمل موسوعتهم حكاية غريبة تعقد فيها الحيوانات والطيور والحشرات محاكمة للبشر، حيت تتهم الجنس البشري بالقسوة والإهمال البيئي والجشع. عرضت القضية في محكمة ملك الجن وكان الجمل



رسم توضيحي من القرن الثامن عشر لـ«الجمّال والحية» (•) من كتاب كليلة ودمنة، ويضم مجموعة من حكايات الحيوان الفارسية والعربية

(•) وردت كهذا في الأصل الإنجليزي للكتاب The Camel Driver and the Serpent غير أني لم أجد في كتاب «كلية ودمنة» حكاية بهذا الاسم، وإنما وجدت حكاية «السائح والحية». راجع كليلة ودمنة – عبد الوهاب عزام ود. طه حسين، دار المعارف بمصر، القاهرة ط1 1941؛ كليلة ودمنة، وزارة المعارف العمومية، القاهرة 1937. (المترجم)

أحد الشهود. وبعد أن قدم الإنسان الحجة على أن الحيوانات خلقت لخدمة الإنسان، يرد ابن آوى(*)، الذي يقود الادعاء، بحجة مضادة لتلك الحجة، وبعد ذلك يشكو الحمار والكبش(**)من الطريقة التي يعاملهما بها الآدميون.

ثم تكلم الجمل فقال: أيها الملك، لو رأيتنا ونحن أسارى في أيدي بني آدم، مخزومة أنوفنا، بأيدي جماليهم خطامنا، يجرونا على كره منا محملة ظهورنا بأثقالهم، نقاد ونساق في ظلمة الليل في القفار والفلوات والمسالك الوعرة، والحيوانات قائمة في أطانها، ونحن نمشي بأثقالهم نصدم الصخور والحجارة والدكادك بأخفافنا، مقرحة جنوبنا وظهورنا من احتكاك أقتابنا ونحن جياع وعطاش، لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا أيها الملك، فأين الرحمة والرأفة كما زعم هذا الإنسي؟

وبدأ الفيل والحصان والبغل الشكوى واستمرت القضية، لكن الحيوانات خسرت في نهاية الأمر.(26)

تظهر شكوى مشابهة من البشر في قصة ألف ليلة وليلة «الطاووسة والبطة والغزالة»، التي يحذر فيه الحيوان تلو الآخر شبلاً من مكر «ابن آدم» وقمعه. ومرة أخرى، وعلى نحو مشابه إلى حد ما، يجعل الشاعر النباتي الأعمى الكاره للبشر أبو العلاء المعري (973–1058) في رسالته «الصاهل والشاحج» الجمل يشكو من حياته القاسية في ظل حاكم مستبد من البشر:

ومن عجائب فِعال الإنس أنهم إذا أرادوا سلوك بلدٍ

(*) زعيم الحيوانات في النسخة العربية من «رسائل إخوان الصفا» هو البغل وليس ابن آوى. (المترجم)

(**) في النسخة العربية ثور وليس كبشا. (المترجم)



رجال يقومون بتحميل جمل على لوحة إيرانية تعود إلى أوائل القرن السابع عشر

مَعْطَشة ظمئوا الإبل عشراً حتى إذا لم يترك الظمأ لها مجلوداً أوردوها الرِّفْهَ (أي ترد متى شاءت)، ثم سلكوا بها المفاوز (الصحارى) فإذا عز الماء بقروا بطونها فشربوا الفظ (ماء الكرش يُعتصر ويُشرب في المفاوز) ... وشربوا دماءها فصداً في الجدْب ... وما صبر شيء من البهائم على عنت بني حواء ما صبرته الإبل: أنضوها سيراً وقروها في التنوفة (الصحارى) سباعاً وطيراً ... وأشنع من ذلك ما ذكره الفزاري جويرية بن أسماء مفتخراً به من أن ذئباً تعرَّض له في السفر

فعقر له راحلته ... أليس في حكم الشرع أن راحلته أوجب عليه حقّاً من السيد، كما أن مناسَبَهُ أوجب عليه حرمة من البعيد؟ ولو أن ضيف إنسي لعُذِر أنه جنسي.(27)

كتب المعري كذلك قصيدة يشبِّه فيها مرور الزمن بقافلة الإبل:

أرى الأيام أنضاد البرايا
عليها منهم أشباح سَفْرِ

فما يبرقن من زول عجيب
ولا يفرقن من صبح ونفر

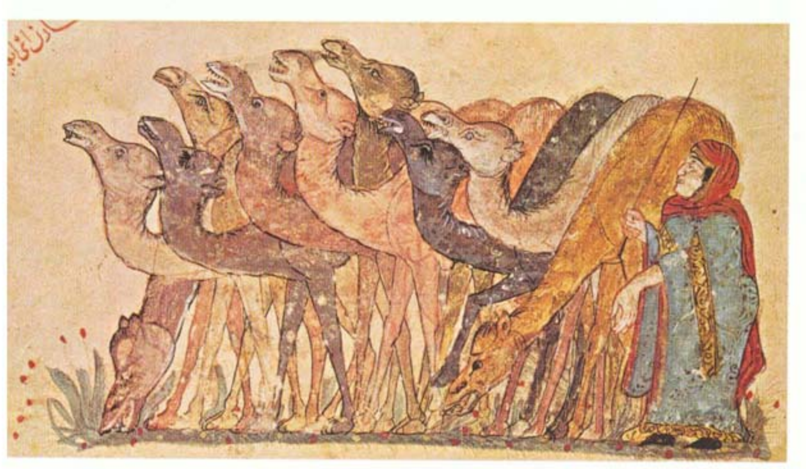
يسرن بما حملن الدهر حتى
ينخن بهم إلى أبيات حفر[28]

كتب الدميري، عالم الدين الذي عاش بالقاهرة في القرن الرابع عشر، رسائل عن الحيوان بعنوان «حياة الحيوان» تظهر فيه المادة الخاصة بالجمل مرتين في مقالين مخصصين للإبل والجمل (بينما الإبل تشير إلى مجموع الجمال، تشير كلمة الجمل إلى الجمل الذكر).

وطبقاً لما يقوله الدميري فالإبل معروفة من الناحية المجازية بنات الليل. كما أنه يقدم بعض تفسيرات الأحلام التي تتميز بالسذاجة: «من رأى أنه مَلَكَ هجمة منها في منامه فإنه يدل على أنه يحكم جماعة ذوي أقدار ويملك مالاً طائلاً ... والهجمة مائة من الإبل» وكذلك فإن «من أكل لحم الإبل

بلاطة قاشاني من القرن الثالث عشر من تخت سليمان، وهو قصر في أذربيجان، تصور مشهداً من الشاهنامه يصطاد فيه الملك الفارسي بهرام جور غزالاً من فوق جمل. وتركب قيثارته قيارته على الجمل نفسه.

منمنمة للجمال من رسم الواسطي من «مقامات الحريري». [يحيى بن محمود الواسطي (القرن الثالث عشر) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (1054–1122).



في منامه مَرض». والجمال في المنام هي الجن، لأنها خلقت من عيون الجن.[29] (طبقاً لما يقوله ريتشارد برتون Richard Burton، فإن «الجمل يحمل جثمان البدوي إلى الجبانة التي غالباً ما تكون بعيدة؛ ومن ثم فإن رؤية الجمل في المنام تنذر بالموت».[30] ولفت الدميري الانتباه كذلك إلى جمل البحر، وهو سمكة كبيرة الحجم على شكل الجمل. وأكلها مباح طبقاً للشريعة الإسلامية.[31]

ربطت الشعوب التي فتح العرب بلدانها ربطاً وثيقاً بين الإبل وركوبها والعروبة. فقد قال أمير فارسي في القرن التاسع عشر: «أصبحت واحداً من هؤلاء القوم في كل شيء أبغضه حتى أكل الزيت، وركوب الإبل، وارتداء النعل».[32]

جمل المنمنمات

لم يظهر الجمل إلا من حين لآخر في رسومات الكتب العربية في العصور الوسطى، إلا أن هناك الكثير من الجمال في المنمنمات الفارسية والتركية. فقد صور رسامو المنمنمات الفرس النبي جالساً فوق جمل مشرفاً على يوم القيامة. وكانت الإبل المحاربة موضوعاً شائعاً، بل ومقولباً في المنمنمات الفارسية.[33] وكذلك كانت الشجاعة الأسطورية لبهرام جور، ذلك الأمير والصياد الفارسي الأسطوري. تقول القصة إنه خرج على جمل عربي وجلست خلفه جاريته المفضلة أزده. وقد تحدته أن يطلق السهام على نحو يحوّل الغزال الذكر إلى أنثى، ويشبك أذن الغزالة بساقها. وأطلق بهرام سهمين على رأس أنثى، وبالتالي جعل لها قرنين. واستخدم سهمين للإطاحة بقرني ذكر غزال وأصاب غزالة في أذنها وساقها بالسهم نفسه. لكن على الرغم من نجاحه، فقد قالت ساخرة



رسم لمُعِين مُصَوِّر من أصفهان ببلاد فارس (1635-1697) يصور جملاً من الخلف.

إنه لا بد أن يكون شيطاناً حتى يقوم بهذه الأعمال الباهرة. فغضب منها وألقى بها من فوق الجمل وجعله يدوسها حتى ماتت. وغدت صورة الاثنين فوق جملهما موتيفة شائعة على القاشاني الفارسي، إلى جانب الظهور في المخطوطات المصورة.

الفصل الخامس

جَمال الوحش: الأدب والفن

الشرق الأقصى

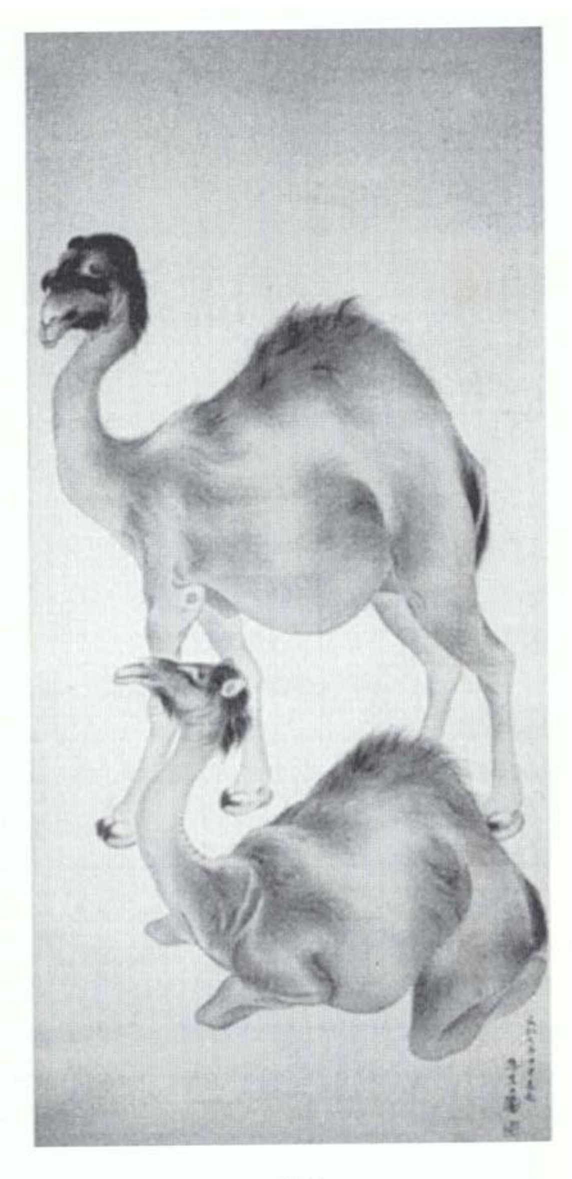
مما يؤسف له أن الدراسة الوحيدة عن الجمل في الأدب هي كتاب ب. باست B. Baast بعنوان Gangan ulaan temee (جانجان أولان تيمي) الصادر في أولان باتور في عام 1975. وبما أن هذا الكتاب باللغة المنغولية، فليس لدي فكرة عما يقوله. وإذا ما اتجهنا إلى اليابان، فإنه قبل أن تُرى الجمال في ذلك البلد، قرأ اليابانيون عن الجمال ذات السنامين في الأدب الصيني وتخيلوها. والواقع أن للجمل في اليابان المكانة نفسها التي للحصان وحيد القرن والمانتيكور (النمر الإنسان) في عالم العصور الوسطى المسيحي. وظهرت الإشارات إلى الجمل بشكل بارز في الأدب الإباحي الياباني. والكلمة التي تعني الجمل في اليابانية هي «راكودا»، وهي فيما يخص الصوت تشبه «راكو دا»، التي تعني «يشعر بارتياح». ولهذا السبب أصبح الجمل رمز اللهو الصاخب.[1] يقول تتسوو نيشيو Tetsuo Nishio: «ظهر فولكلور جنسي يتعلق بالجمال، وأدى هذا الفولكلور، إلى جانب الصور الرومانسية لحياة الصحراء، إلى ظهور الخيال التقليدي بشأن الأمير والأميرة اللذين يركبان جملاً في موكب العرس. وهذا المشهد لاتزال تعززه في قلوب اليابانيين جميعاً أغنية شهيرة تتسم بالحنين إلى الماضي تسمى «كثيب في ضوء القمر»».[2] وشركة الهند الشرقية الهولندية أول من استورد زوجاً من الجمال العربية إلى اليابان في عام 1821 حيث أقيم عرض لهما

في أنحاء البلاد كي يدهش منهما الناس. وقد أنتج تاني بونتشو، وهو رسام شهير في أواخر عصر إيدو، رسماً واقعياً إلى حد ما لزوج من الجمال.

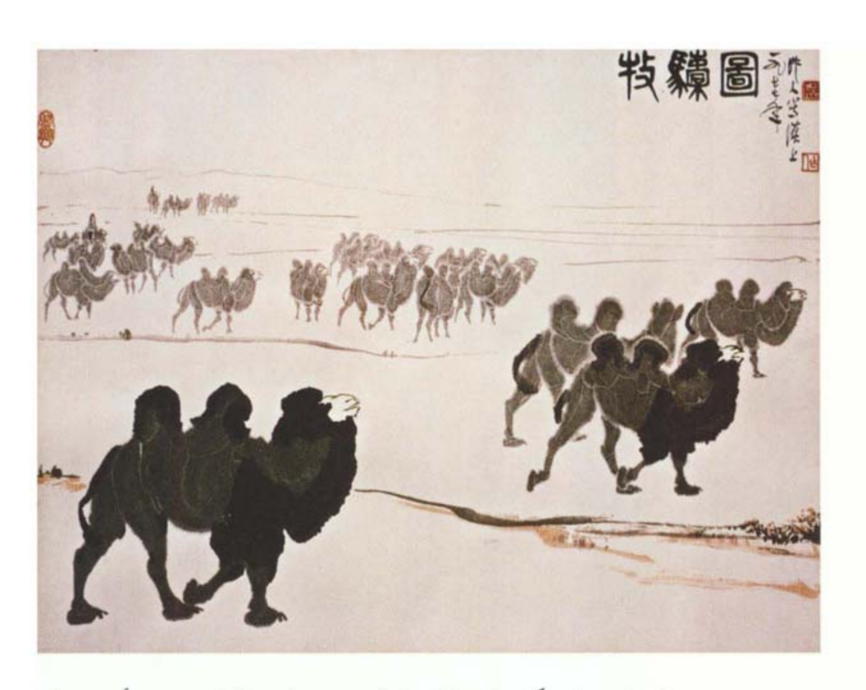
وفي الصين أنتجت تماثيل خزفية للجمل (تسمَّى بالصينية



كونياسو أوتاجاوا، جمل، 1824، طبع بالكتل الخشبية



ماروياما أوشين،
جمال، 1824،
ألوان وحبر على
لفافة معلقة من
الحرير



وو زورين (1908–1997) رعي الجمال، 1977، حبر وألوان على ورق

«لووتوو») بكميات كبيرة لتوضع في المقابر. وبدأت هذه الممارسة في عصر الهان (206 ق.م–220 ميلادية) واستمرت بعد ذلك لمدة ألف عام. وقبل عصر الهان، سُخِّرَت الجمال بشكل أساسي لجر العربات، لكن مع افتتاح طريق الحرير، شاع استعمال الجمال ذات السنامين بكثرة بوصفها دواب حمل. وهذا ما يبينه التمثال. (لم يركب الصينيون الجمال، وإن بينت بعض التماثيل أجانب وعازفين جالسين عليها). وبما أن الجمل ذا السنامين استخدم لنقل السلع الفاخرة، فقد أصبح رمزاً للرخاء وبالتالي كان مخلوقاً مناسباً لأن يوضع في مقبرة الرجل الثري. وبمرور القرون، أصبحت صور الجمل أقل واقعية وأكثر رمزية. وغالباً ما تبين التماثيل اللاحقة أقنعة كبيرة معلقة على جوانب الجمل.

جمل صيني من الخزف يعود إلى القرن الثامن.



تشير إلفريده كناور Elfriede Knauer التي أجرت دراسة خاصة حول هذه التماثيل، إلى أن الأقنعة قد ربطت في الرَّحْل لإخافة العفاريت في الصحراء. وبلغ انتشار تماثيل الجمال ذروته في عصر أسرة تانج (618–907). واعتباراً من الثالث عشر، لم تعد الجمال الجنائزية تصنع. وقد صوَّر الرسامون والخزافون الجمل

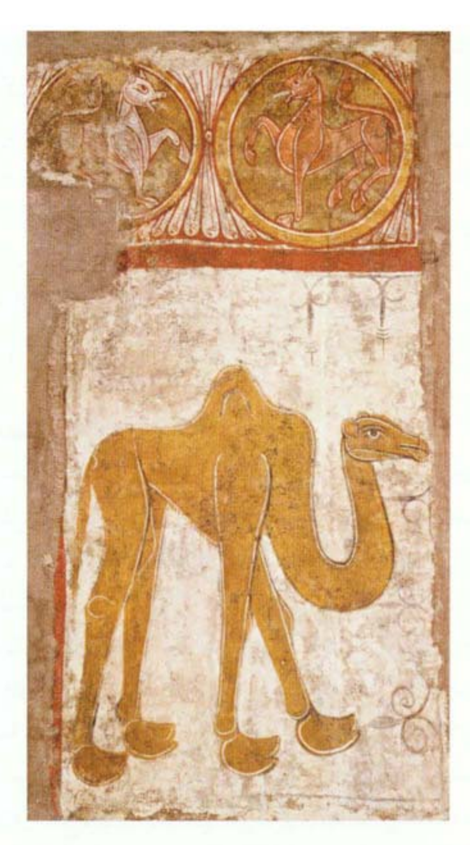


هوا يان، ثلج عميق في
تيان شان، 1755، لفافة
معلقة، حبر وألوان على
ورق.

العربي والجمل ذا السنامين، ويبدو أن فناني القرن السادس عشر أنفسهم كانوا يرون أن الاختلاف بين الجمل ذي السنام الواحد والجمل ذي السنامين هو اختلاف في الجنس.[3] ومن المصادفة أن «قي لين» هي الكلمة الصينية التي تعني «الجمل المرقط» ويظهر ذلك أيضاً في الأيقونات الصينية. وتسير القي لين، التي غالباً ما تصوَّر برأس وحوافر تنين، على الحشائش دون أن تضر أوراقها. والنسخة اليابانية من قي لين هي «كي رين». والكي رين أقرب شبهاً بالزرافة، وقد صار اسمها علامة تجارية لأحد أنواع البيرة.

جمل العصــور الوسطى

إن «حكاية الثعلب» Roman de Renart، التي جُمعت في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر، هي مجموعة من الحكايات التي تصور السلوك المكار والغاضب لرينار، ذلك الثعلب الذي يعيش في مملكة الحيوانات. وفيما يعرف بالفرع Va من «الحكاية»، الذي يصور قضيتي اِسنجرين Insengrin الذئب وبروين Bruin الدب، يظهر جملان. يقاضي اِسنجرين رينار في محكمة الملك الأسد. ويحتاج الملك إلى مشورة: «بجانب الملك جلس الجمل، وكان محبوباً جدّاً في المحكمة. وقد جاء من لومبارديا لإبلاغ احترام سيدي من القسطنطينية وتقديره. إذ أرسله البابا بوصفه مبعوثه وصديقه، وكان شديد الحكمة وفقيهاً قانونيّاً جيداً». وعلى الرغم من العبارة الأخيرة، فإن الجمل عندما يسأله الملك إن كان قد صادف قضية مشابهة، يسهب في الحديث بقدر كبير من الكلام الفارغ المنمق الذي تتناثر فيه التعبيرات اللاتينية والإيطالية التي لا معنى لها.[4] ويظهر جمل آخر اسمه موسارت Musart في القصة نفسها بوصفه أحد الحيوانات التي احتشدت من أجل ثورة اِسنجرين. مع أنه لم يكن للجمال ما يزيد كثيراً على



لوحة من الفريسكو الإسباني لجمل من كنيسة بسان باو ديليو دى بيرلانجا بإسبانيا، حوالي 1120–1140

الأدوار الثانوية في «حكاية الثعلب»، وربما كان هذا أول ظهور لها في الأعمال الروائية الغربية. وكان الجمل والأسد حيوانين خياليين غريبين تماماً بالنسبة للقارئ الفرنسي. ولهذا السبب كان من السهل أن يجعلوا لهما أدواراً خيالية، على عكس الثعلب والأرنب الأكثر شهرة. وتمتع المساهمون المجهولون في نسخ «حكاية الثعلب» المختلفة باللهو إلى حد كبير. وبذلك، استعانوا بالخيال غير المحتمل الخاص بالقنفذ الذي يقطع رأس الجمل.

في «حكاية الثعلب»، لم يرمز الجمل إلى صفة مجردة. إلا أنه في مواضع أخرى من أدب العصور الوسطى نسبت إلى الجمل معان رمزية يمكن أن يحملها على نحو مريح. فغدا باستمرار يمثل التواضع أو الثروة أو الجشع أو الشهوة. وغالباً ما كان يحفر جمل بارك رمزاً للتواضع.

أشار جون راسكن إشارة سريعة في Bible of Amiens (كتاب أميان المقدس)، وهو دراسة للكاتدرائية وبخاصة تماثيل العصور الوسطى عند مدخلها الغربي:

الطاعة، تحمل درعاً عليه جمل. الواقع أنه أكثر الحيوانات المستأنسة كافة عصيانا وسوء خلق. ومع ذلك فهو يقضي حياته في خدمة هي الأكثر إيلاماً. ولا أعرف مدى فهم المثّال القادم من الشمال لطابعه، غير أني أعتقد أنه مفهوم بوصفه نمطاً من تحمل الأعباء، غير ما للحصان من متعة أو تعاطف، وغير ما للثور من قدرة على الإيذاء. فعضته مؤلمة جدّاً (انظر رواية السيد بلجريف عنه) لكن من المفترض أنه ليس معروفاً كثيراً في أميان، حتى بالنسبة للصليبيين الذي سيمتطون خيلهم هم باستمرار وإلا فلا. (5)



جمل على ظهره قرد من مجموعة حكايات باللاتينية تعود إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر



«جمل» في مجموعة حكايات باللغة الإنجليزية تعود إلى أوائل القرن الثالث عشر







في عام 1133 أو 1134 صنع ثوب شعائري من الحرير الأحمر المطرز بالذهب لروجر الثاني ملك صقلية. وأظهر التصميم المتماثل أسدين ظهر أحدهما للآخر يقفزان بطريقة شرسة على ظهري جملين. وثمة من يرى أن هذه الصورة ترمز للانتصار في صقلية الذي تحقق للمسيحيين على حكام الجزيرة السابقين. وكان للجملين خطامان، مما يوحي بالاستئناس.[6]

وبالإضافة إلى ذلك، جرت العادة على أن يرمز الجمل في شعارات النبالة إلى الانقياد والصبر والمثابرة. (كما يصوَّر على أنه مؤيد لشعارات النبالة، كشعارات اللورد كتشنر Lord Kitchner). وفي كتاب بيريل رولاند Beryl Rowland بعنوان Animals with Human Faces: A Guide to Animal Symbolism (حيوانات ذات وجوه بشرية: دليل إلى الرمزية الحيوانية) الصادر في عام 1974، وبعد الاستشهاد بأمثلة من العصور الوسطى للجمل باعتباره صورة للانقياد أو الحكمة أو الغباء، ينتهي إلى ما يلي: «لكن أوضح أدوار الجمل هو الدور

الجنسي؛ فقد كان ذا علاقة بالشبق الجنسي النسوي في العصور الوسطى».[7] وربما يعكس ذلك إرميا 2: 23 إذ وبخ إسرائيل لارتكابه الزنا وراء آلهة زائفة كأنه ناقة شبقة: «يا ناقة خفيفة ضبعة في طرقها». واشتهر الجمل في العصور الوسطى قبل كل شيء بالشهية الجنسية على نحو نهم وبعنفه الشهواني. وفي Canterbury Tales (حكايات كانتربري)، في نهاية Tale of the Clerk of Oxenford (حكاية كاتب أوكسفورد)، حث تشوسر Chaucer النساء قائلاً «ما دمتن قويات قوة جمل كبير، فلا تسمحن للرجال بالإساءة إليكن»(*).[8]

في بريطانيا العصور الوسطى وعصر النهضة، كان سنام الجمل رمزاً لثروات الرجل الغني ومن المحتمل أنه بسبب هذا الارتباط جعل إدموند سبنسر Edmund Spencer في The Faerie Queene (ملكة الجن) الجمل صورة الجشع في موكب الخطايا السبع المميتة.[9] ومع ذلك، فمن الطبيعي أن قراءه كانوا سيفكرون كذلك في العهد الجديد: «ما أصعب دخول الأغنياء إلى ملكوت الله، فإن مرور جَمَل في ثقب إبرة أسهل من دخول غني إلى ملكوت الله».

هناك الكثير من التخمين في العالم المسيحي في العصور الوسطى بشأن الزرافة. فقد كان لهذا المخلوق المسخ جسم حمار ورأس جمل. وبديل ذلك هو أن الجمل المرقط نصف جمل ونصف فهد، أي نتاج تزاوج غير محتمل بين نوعين مختلفين. واستدعاء الجمل المرقط ربما قام على مشاهدات عن بعد للزرافة. وعلم الحيوان الخيالي الخاص بالعصور الوسطى به كذلك مكان

دروع تحمل شعارات النبالة التي تشمل جمالاً







(*) هذه ترجمة من: حكايات كانتربري، تأليف جيفري تشوسر، ترجمة وتقديم وتعليق د. مجدي وهبة ود. عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983. (المترجم)



رؤية أمامية لجمل،
من رسم پيسانيللو
في ثلاثينيات القرن
الخامس عشر



جيوتو، سجود المجوس وتشمل جملاً، 1304–1306، لوحة فريسكو في كنيسة سكروفيني في بادوا

بارز لحيوان يسمى allo camelus (جسم جمل ورأس حمار) و camelopardel (الشيء نفسه، لكن له قرنان منحنيان للخلف). وخمن كتَّاب العصور الوسطى بشأن camelion الذي كان نسلاً مزعوماً للجمل والأسد.



جيامباتيستا تيبولو، آسيا وقد رمز لها جمل في لوحة فريسكو للقارات الأربع في قصر الأسقف الأمير (Residenz)، ڤورتسبورج، النمسا

الفنانون العظـام والجمل

منذ أواخر العصور الوسطى، ظهر الجمل بانتظام في لوحات «سجود المجوس». ومن المحتمل أن المرة الأولى التي ظهرت فيها الجمال في هذا المشهد في نسخة جيوتو التي رسمها لكنيسة سكروڤيني بمدينة پادوا في الأعوام 1303–1305. والجمال التي في هذه اللوحة ليست رائعة جدّاً. فهي أشبه بحمير طويلة الرقبة ذات شوارب. وظهر الجمل كذلك في وقت مبكر في نسخة من «سجود المجوس» رُسِمَت من أجل Très Riches Heures du Duc du Berry حوالي عام 1410. وفي نسخة Gentile da Fabriano للمشهد نفسه، التي رسمت عام 1423، يبدو أن الساعات الأولى للطفل يسوع كانت في حديقة حيوان نظامية، ذلك أنه بالإضافة إلى الجمل تشمل اللوحة كذلك كلب صيد

ولبؤة وفهداً وقردين وثلاثة صقور وحمامة وثوراً وحماراً. وفي فن عصر النهضة كان الجمل يوظَّف في الوقت نفسه ليكون مؤشراً على ما هو غريب وعلى ما هو توراتي أصيل. وربما أمد تنظيم معارك الجمال، التي كانت تجري في فلورنسا أسرة ميديتشي Medici، بعض الفنانين بنماذجهم.

في كتب الرموز كان الجمل يمثل رمز آسيا. لكن عندما جاء جيوڤاني پاتيستا تيپولو Giovanni Battist Tiepolo (1696–1776) لعمل لوحات الفريسكو العظيمة الخاصة بالقارات الأربع في ڤورتسبورج، صوَّر الشخص الذين يمثل إفريقيا بالخطأ جالساً فوق جمل، في حين أظهر الذي يمثل آسيا راكباً فوق فيل.[10] ويبدو أن تيپولو كان مغرماً بتصوير الجمال. وتظهر الجمال التي تشبه الثعالب في لوحته «راحيل تخفي الأصنام عن والدها لبان»، وهناك كذلك رسم غريب لوصول پولتشينيللو Pulcinello إلى مصر على ظهر جمل. وكانت الجمال ضمن معدات عالم تيپولو الخيالي.

ومن الغريب أن غياب الجمال ظهر بشكل بارز كذلك في الفن الغربي. وبشكل خاص، لفت غياب الجمال في لوحة نيكولا پوسان Nicolas Poussin «أليعازر وربقة» Eliezer and Rebecca في عام 1648 الانتباه الأكاديمي. وفي القصة التوراتية (التكوين 24) أرسل إبراهيم الخادم أليعازر للعثور على الزوجة المناسبة لابنه إسحاق. وعندما اقترب أليعازر من مدينة ناحور قرر أن أول امرأة تعرض عليه السقيا هو وجماله العشرة ستكون المرأة المناسبة لإسحاق. «ولما فرغت من سقيه قالت: أستقي لجمالك أيضاً حتى تفرغ من الشرب». كانت تلك المرأة هي ربقة. إلا أنه في رسم پوسان للمشهد (الآن في متحف اللوڤر)، تبدو ربقة وهي تقدم لأليعازر الماء من البئر- لكن الجمال لا تظهر في

المشهد. فما الذي يجري؟ هل يمكن أن يكون السبب في عدم وجود الجمال هو أن پوسان لم يكن يجيد رسم الجمال؟ ليس هذا هو الحال في واقع الأمر، ذلك أنه رسم نسختين أخريين من «أليعازر وربقة عند البئر»، إحداهما قبل لوحة اللوفر والأخرى بعدها، وفي هاتين اللوحتين تظهر الجمال، وإن لم تكن العشرة كاملة. وكان پوسان قادراً على رسم جمال لا بأس بها.

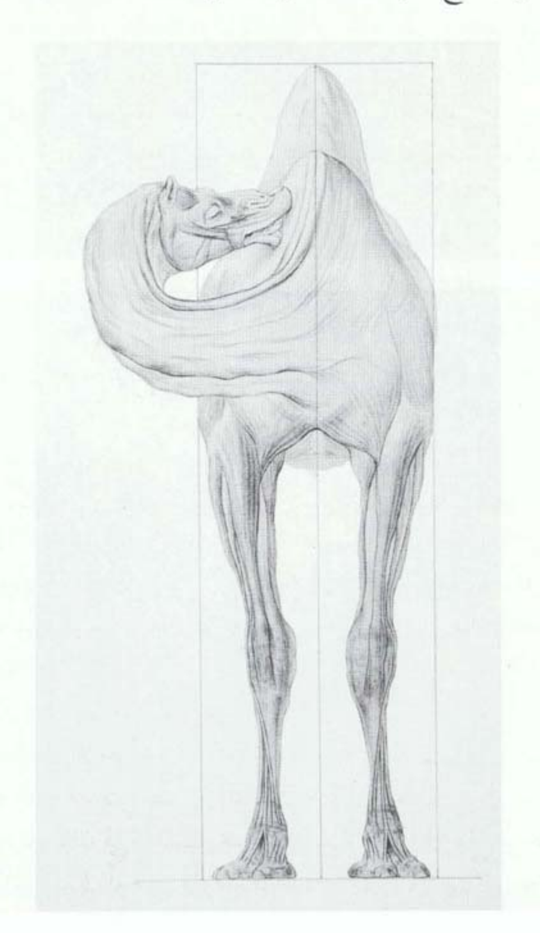
في عام 1668، في أثناء جلسة الأكاديمية الفرنسية للرسم والنحت، ناقش فيليپ دى شامپاني Philippe de Champaigne القضية مع شارل لو بران Charles Le Brun. وقد أصر شامپاني على أنه ينبغي تضمين الجِمال، إذ سيجعل تضمينها المشهد أكثر واقعية وأقل مثالية وسوف يبرز قبحها جَمال النساء. وبالإضافة إلى ذلك، فقد خان پوسان الكتاب المقدس، وزاد غياب الجِمال من صعوبة تحديد أي حدث من الكتاب المقدس يجري تصويره. ومع ذلك، فقد أكد لو بران أن الجِمال مخلوقات قبيحة وغريبة جداً حتى أنها تقضي على السكينة الكلاسيكية لصورة پوسان. فلا ينبغي ظهور الجِمال في التصوير الجاد. وأصر لو بران على أن الجِمال تفتقر إلى اللياقة. (من المؤلم أن المتنازعين كانا يسلمان بقبح الجمل). وكان لو بران يرى كذلك أن وجود الجِمال في اللوحة يمكن أن يؤدي إلى أن يخلط المشاهدون بين أليعاز والتاجر الذي يسافر مسافات طويلة. وقد قال باحثون في وقت لاحق إن اختيار أليعازر لربقة ربما ينظر إليه على أنه تصور سابق لبشارة جبريل للعذراء مريم ومن المؤكد أنه لا مكان للجِمال في مشهد البشارة المخفي برشاقة. ولابد أن نعي أن مهمة ربقة مهمة خفيفة وليست مجرد مسألة سطل ماء أو اثنين للحيوانات. وكان يمكن بسهولة لعشرة جِمال أن تشرب مائتي جالون. وربما كان پوسان واعياً بهذا ولم يرغب في رسم هذا المشهد الخاص بالعمل الشاق[11]

«أليعازر وربقة»، زيت على قماش ـ النسخة المتأخرة لا تظهر فيها الجمال

نيكولا پوسان، «ربقة تطفئ ظمأ أليعازر عند البئر»، 1627، زيت على قماش ـ النسخة المبكرة وتبدو فيها جمال أليعازر واضحة للعيان



خلال القرن التاسع عشر، انفتح الشرق الأوسط للاستعماريين والسائحين والفنانين الغربيين. وكان إليچا والتون (1832–1880) رساماً لمناظر جبال الألب في العصر الڤيكتوري قد حوَّل نفسه إلى خبير في الجِمال. وبعد وقت طويل في مخيم للبدو بالقرب من القاهرة، أنتج كتابه The Camel: Its Anatomy، Proportions



منظر جمل في كتاب
The Camel
(الجمل) لإليچا والتون
Elijah Walon
الصادر في عام 1865

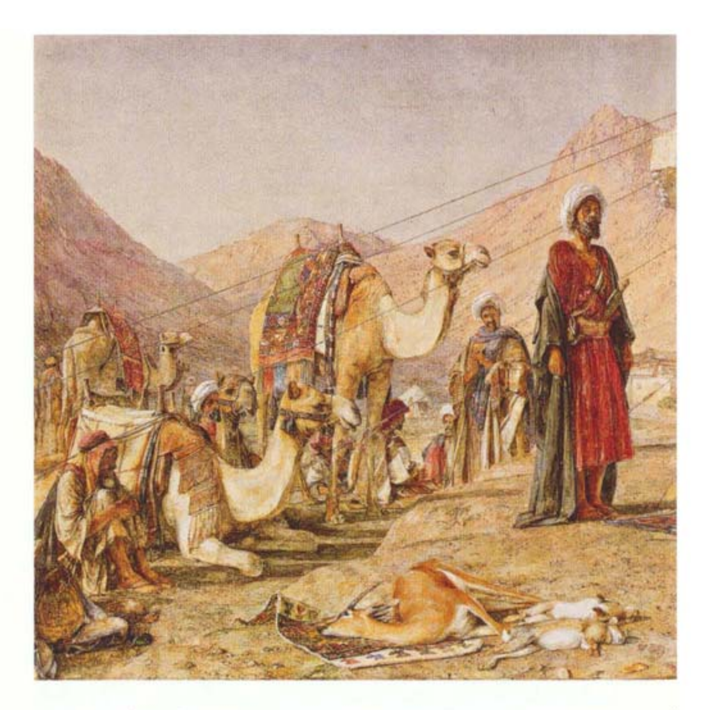
and Paces (الجمل: تشريحه ونِسَبُه وسرعات سيره) الصادر في لندن عام 1865 ويحتوي على أربع وتسعين لوحة مرسومة بدقة، كان بعضها بالألوان.[12] وبصورة أعم، ظهرت الجِمال بالطبع في لوحات المستشرقين في القرن التاسع عشر. فعلى سبيل المثال، عندما رسم هوارس ڤيرنت Horace Vernet، المتخصص في الموضوعات التوراتية، «يهوذا وتمار» في عام 1840، أظهر يهوذا متكئاً بشكل شهواني على تمار التي تغطي وجهها لكنها تكشف عن ساقها، وخلفهما جمل عربي عليه رحل أنيق يطل على الاثنين. والجمل هو الموضوع الرئيسي في لوحة توماس سيدون Thomas Seddon «جمل عربي وعرب في قرافة القاهرة وفي الخلفية مقبرة السلطان برقوق» التي رسمها عام 1856. ويظهر عدد كبير من الجِمال في لوحة ليون بيلي Léon Belly العظيمة «الحج إلى مكة» التي رسمها في عام 1861. وقد صوَّر بيلي الجِمال وراكبيها وهم يسيرون في مشهد صحراوي بهتت ألوانه بسبب كثافة الشمس. وفي كتاب The Orientalists: Western Artists in Arabia، Persia and India (المستشرقون: الفنانون الغربيون في بلاد العرب وفارس والهند) قال كريستيان ديڤيز Kristian Davies عن اللوحة: «يشعر المرء بهذا الإحساس في الحج، وبأن الحيوانات لا تسير بل تحوم فوق المشهد كالسراب، وأن القافلة في واقع الأمر سفينة كبيرة تطفو بطريقة ما فوق الرمال كأنها طوف في المحيط».[13]

وعلى الرغم من أنه يمكن العثور بسهولة على الكثير من نماذج الجمل الأخرى في لوحات المستشرقين، إلا أنها لا تظهر بالكثرة التي قد نتوقعها. وهذا لأن جمهور مشتري اللوحات الڤيكتوري كان في الغالب مجنوناً بالخيل. وقد قال بائع لوحات الرسام المستشرق أوجين فرومنتان Eugène Fromentin – بونييه

Beugniet – له إن الجمهور المشتري يفضل لوحات الخيل على لوحات الجمال. وإذا ما نظرنا إلى لوحات فرومنتان أو اللوحات المراكشية لأوجين ديلاكروا Eugene Delacroix، نجد أن الخيل تشغل أبرز مكان في تلك اللوحات. ويبدو أن پول جان باپتيست ديلاكروا لازيرج Paul Jean Baptiste Lazerges (1845–1902) كان متفرداً في تخصصه في تصوير الجِمال، لكن يبدو أن القليل أو حتى لا شيء معروف عن هذا الرسام المستشرق الغامض.

وعلى الرغم من أن رساماً أعظم بكثير هو الرسام الاستشراقي البريطاني جون فردريك لويس John Fredrick Lewis (1805–1876) لم يتخصص في رسم الجِمال، فقد ظهرت بشكل بارز في لوحاته الزيتية والمائية. وكان لويس قد أبدى منذ صباه موهبة في تصوير الحيوانات. وعلى الرغم من تحوله فيما بعد إلى مناظر القاهرة الداخلية وشوارعها، فقد ظلت الحيوانات والطيور تظهر بشكل بارز في لوحاته المائية والزيتية التي تشبه الجواهر.[14] وتظهر أربعة جمال في لوحته «مخيم الإفرنج في صحراء جبل سيناء عام 1842» التي رسمها عام 1856. وعندما عرضت هذه اللوحة في الأكاديمية الملكية، أعلن جون راسكن John Ruskin، ذلك المحكم العظيم ذو الذوق الفني، أنه ليس لديه «أي تردد في وضعها بين أروع الصور في العالم» وأضاف أن مشاهد هذه الصورة «ينبغي أن يفحص، بعدسة جيدة على سبيل المثال، أعين الجمال، وسوف يجد أن هناك من الرسم تحت أهدابها المتدلية ما كان ليكفي، لدى معظم الرسامين، الرأس كله».[15] لكن بحلول عام 1859 أخذ راسكن يمل الموضوع الشرقي، وفي إشارة إلى لوحة «في انتظار القارب ـ صعيد مصر»، التي عرضت في الأكاديمية الملكية، كتب راسكن: «ذهبنا إلى مصر الكآبة هذه وسط الوباء والبعوض والبؤس من كل الأنواع ـ وكل ما نراه على الرغم من

لوحة لجون فردريك ليويس بالألوان المائية لمخيم الإفرنج في صحراء جبل سيناء رسمها في عام 1842، وهي تبين العرب الزائرين وجِمالهم.



ألمنا هو جمل مزيَّن بسجادة فخمة على ظهره. ألا يمكننا رؤية ذلك في حدائق الحيوان؟» (16)

بعض المظاهر الأدبيـة

عندما بدأ روبرت برتون Robert Burton الكتابة عن كآبة الحب في كتابة Anatomy of Melancholy (تشريح الكآبة) الصادر في عام 1638، اختار الجمل باعتباره مثالاً للغيرة الجنسية: «وهؤلاء المصريون القدماء، كما يخبرنا پيريوس Pierius، يعبرون بلغتهم الهيروغليفية عن عاطفة الغيرة بالجمل؛ ذلك أنه يحب العزلة، ويخشى الأسوأ بشأن الجماع، لكي يستمتع بمتعته

منفرداً، et in quocunque obvios insurgit، zelotypiae stimulis agitatus، وسيتعارك مع كل من يقترب منه، إنساناً كان أو حيوانا، في نوبات غيرته. وقد قرأت الشيء نفسه عن التماسيح ..». (پيريوس الذي جاء ذكره هو كاهن من القرن الثالث في الإسكندرية. ولا داعي للقول إن الجمل لم يكن في واقع الأمر رمزاً هيروغليفيّاً للغيرة في مصر القديمة).(17)

على الرغم من أن الجمل أعجوبة بالنسبة للسير توماس براون، فقد كان أعجوبة مبتذلة إلى حد ما: «رؤوس أكثر بساطة تقف مشدوهة من مخلوقات الطبيعة الضخمة تلك من حيتان وفيلة وجمال عربية وجمال ذات سنامين؛ وأعترف بأن هذه هي مخلوقاتها العملاقة والمهيبة». لكن كتاب براون Religio Medici (ديانة طبيب) يصل إلى حد القول بأن العقل المميِّز يرى الحشرات نماذج أكثر إبهاراً من عجائب الطبيعة واعترف كذلك بأنه وجد أن الطريقة التي يعمل بها جسمه أكثر إمتاعاً في تأملها من عموم إفريقيا بكل ما فيها.(18)

الجمل في الأعمال الروائية

من غير المستغرب ظهور الجمال في أعظم روايات القرن التاسع عشر، وهي «مدام بوڤاري» Madame Bovary لجوستاف فلوبير Gustave Flaubert الصادرة في عام 1857. ونجد، في الفصل السادس، عند مناقشة صور قراءة إيما بوڤاري Emma Bovary الرومانسية بشكل رديء ما يلي:(*)

هذا فضلاً عن صور تبين سلاطين يدخنون الغلايين الطويلة، وقد استلقوا تحت الخمائل مخدورين بين أحضان

(*) من ترجمة الدكتور محمد مندور للرواية – مدام بوفاري، ترجمة الدكتور محمد مندور، دار الآداب، بيروت، 1966

الراقصات .. ثم السيوف والرماح التركية، والقلنسوات اليونانية .. وأخيراً تلك المناظر الباهتة التي تمثل بلاداً يسودها جو شاعري .. فتريك في وقت واحد النخيل وأشجار الصنوبر، ونمراً إلى اليمين، وأسداً إلى اليسار، ومآذن التتر حافة الأفق، وخرائب الرومان في المقدمة، وإبل «أنيخت» بين هذه وتلك، وقد أحاطت بالجميع غابة عذراء، أجهد الرسام نفسه في إبدائها نظيفة!.. وقد سقط شعاع عمودي من الشمس، وأخذ يترجرج على صفحة الماء التي صبغت بلون رمادي كلون الفولاذ، وقد غشيتها خدوش بيضاء على مسافات متباعدة، تمثل البجع العائم! [19]

في الفقرة السابقة كان فلوبير يصف على نحو مبالغ في تأنقه نوع الرواية التي ليست هي «مدام بوڤاري». فقد كان من الممكن أن يكتب بالفعل رواية تصور الكفار والسيوف والنخيل والجمال، ذلك أنه قبل بضع سنوات، من 1849 إلى 1851، قام بجولة في اليونان ومصر مع أحد الأصدقاء. ومن المؤكد أنه كان على معرفة بجِمال القاهرة وغيرها وقد كتب رِسالة إلى الوطن يقول فيها: «أحد أجمل الأشياء هو الجمل. إذ لم أمِلَّ قط مشاهدة هذا الحيوان الغريب الذي يتمايل كالديك الرومي ويؤرجح رقبته كالبجعة. وصرخته شيء أرهق نفسي وأنا أحاول تقليده - وآمل أن أعود به - لكن من الصعب تقليده - فهو صليل يصاحبه نوع من الغرغرة الهائلة».[20] كما أنه كان مفتوناً بالطريقة التي يحدث بها بول الجمل أثراً ممهداً لامعاً على الرمال.

وحتى قبل ذهابه إلى مصر، كان ركوب الجِمال صورة محورية

لأحلام اليقظة الشبابية الخاصة بالبلدان الغريبة. وكما قال في كتابه L'Education sentimentale (التربية العاطفية) (المنشور في عام 1896، إلا أنه كان قد انتهى منه في عام 1845): «ما أجملٍ أن تشعر بنفسك تتمايل على ظهر جمل!» وقد ارتبط ارتباطاً قويّاً جدّاً بهذا الحيوان. وبعد عام من عودته من مصر، أوضح في خطاب إلى عشيقته لويز كوليه Louise Colet أنه لا يمكنه تغيير طبعه. فجاذبية الأشياء تقيّده، «وهو ما يجعل الدب القطبي يسكن المناطق الثلجية والجمل يسيرِ فوق الرمال». وسأل جوليان بارنز Julian Barnes، الذي علّق على هذا المقطع في رواية «ببغاء فلوبير» الصادرة في عام 1984. ويشير بارنز إلى أنه ربما «لأنه مثال لا بأس به للغرابة الفلوبيرية؛ فهو لا يسعه إلا أن يكون جاداً وهزليّاً في وقت واحد». ولفت بارنز الاهتمام كذلك إلى التشابه الذي أوجده فلوبير بين نفسه والجمل العربي، وهو أنه من الصعب تحريكه، لكن ما إن ينخرط في نشاط ما حتى يكون من الصعب إيقافه.[21]

صور الجمل المتعددة في روايات القرن العشرين

«قالت عمتيٍ دوت وهي تترجل من فوق هذا الحيوان عند عودتها من القُدّاس العالي «خذ جملي يا عزيزي»». هكذا تبدأ رواية روز ماكولي Rose Mcaulay الجميلة والرقيقة The Towers of Trebizond (أبراج طرابزون) الصادرة في عام 1956. وهذا أحد أشهر السطور الافتتاحية في الرواية البريطانية. وتمضي ماكولي قائلة:

الجمل، وهو «ذلور» عربي من القطيع الشهير لقبيلة الرولة، كان هدية وداع، وقد حشي خرجا رحله بالذهب ذي العيار المنخفض والجواهر الشرقية البراقة،

من ثري صحراوي كان يمتلك فندقاً شامياً بالقرب من تدمر. وكنت أظن باستمرار أن الفضل يعود إلى عمتي، بناء على موطن الجمل، في أنه لم يُسمّ زنوبيا أو لونجينوس أو أوريان، كما تفعل النساء الأقل قدراً؛ لكنها كانت تناديه باستمرار، بصوت بعيد، جملي أو الجمل. لم أكن آبه بالجمل، ولم يكن الجمل يأبه بي.

طبقاً لما تقوله لوري، فإن العمة دوت «نظرت خلفها إلى الفضاءات المفتوحة في شبابها، عندما كان المرء يمتطي جمله في أنحاء الصحارى التي لا يرتادها إلا العرب والجمال وقطعان الماشية وجيرترود بيل(*) Gertude Bell».(22)

من الواضح أن روز ماكولي كانت تعرف الكثير جدّاً عن الجمال وغذائها وقدرتها القصوى على الحمل. ويساورني شك عميق أن تكون ماكولي قد تصفحت كتاب ألويس موزل The Manners and Customs of the Rwala Bedouins (أخلاق بدو الرولة وعاداتهم) المنشور في عام 1928، وأن «ذلور» هنا هي كتابة خاطئة لكلمة «ذلول» التي تستخدمها قبيلة الرولة بمعنى جمل الركوب بغض النظر عن جنسه؛ وكما سنرى، فإنه « بغض النظر عن جنسه» هي الأهم لأغراض ماكولي. كما أشار موزل إلى أن الجمال البيضاء الخالصة تحظى بأعلى تقدير بين أبناء الرولة.

(*) باحثة ومستكشفة بريطانية مشهورة عملت في العراق مستشارة للمندوب السامي البريطاني بيرسي كوكس في العشرينيات من القرن الماضي اسمها الكامل جيرترود بيل جاءت إلى العراق عام 1914 وكان لها دور بالغ الأهمية في ترتيب أوضاعه بعد الحرب العالمية الأولى. فقد كانت بسعة علاقاتها ومعارفها وخبراتها بالعراق أهم عون للمندوب السامي البريطاني في هندسة مستقبل العراق، يعرفها العراقيون القدماء بلقب الخاتون، ويعتبرها بعض المحدثين جاسوسة، وهي في الواقع موظفة بريطانية خدمت بلدها بريطانيا بكل جد وإخلاص. (المترجم)

وكانت ماكولي قد زارت المشرق وهي في السبعينيات من عمرها وهناك عناصر معينة من السيرة الذاتية في الرواية. وعلاوة على ذلك، فقد تكون شخصية ماكولي قائمة على الصديقة الأنجليكانية المتحمسة كاتبة الجريمة دوروثي سايرز Dorothy Sayers.

عندما نشرت «أبراج طرابزون»، كان عنوان أحد مراجعات الكتاب هو: «جمل مجنون يؤدي دوراً كبيراً في كتاب غير عادي». هذا صحيح، لكن الرواية في المقام الأول عن ضياع الإيمان المسيحي، وفقدان الشخص المحبوب، والخيانة الجنسية. إنها قصة كوميدية سوداوية خاصة ببعثة تبشيرية إلى تركيا للعمة دوت ولوري والقس، الأب هيو تشانتري بيج. وطرابزون ميناء حقيقي على البحر الأسود ونهاية رمز ضبابي متلألئ لرحمة الرب، تستبعد منها لوري بسبب ارتكابها الزنا. وتنبع الرواية بشكل مباشر من كتاب ماكولي اللاروائي The Pleasure of the Ruins (متعة الأطلال)، وترمز الأطلال للتغير والضياع، اللذين يظهران بوضوح في الرواية. لكن هناك حبكة فرعية عن علاقة الساردة المتطورة مع الجمل. إذ تتودد للحيوان وتجد من المتعة أن تركب على الجزء الواقع أمام السنام، . بل إن لوري تفكر في شراء جمل سباق أبيض. وما إن يصلوا إلى سوريا والأردن، «كنت أنا والجمل جزءاً من موكب الشرق الهائل». ويبدو أن ذلك يَعِدُ بقصة حب مع الجمل، أشبه بحب ت.هـ. وايت T.H. White لصقره أو حب جاڤين ماكسويل Gavin Maxwell لثعالب الماء. لكن يبدو أن القصة تبرد حين يبدي الجمل علامات من التشوش والجنون الشبقي.

وكما هو الحال بالنسبة للموضوع الذي يُطرح للنقاش كثيراً بخصوص عدد أطفال الليدي ماكبث Lady Macbeth، فإن جنس جمل العمة دوت أحد أكثر المسائل إثارة للحيرة في

الأدب الإنجليزي. فجنسه غير واضح بشكل تام. وتشير إمكانية أن يُسمى الجمل «زنوبيا» إلى أنه أنثى. ومن ناحية أخرى، يشير لونجينوس باعتباره اسماً محتملاً إلى أن الجمل ذكر، لكن في خلال الرواية يشار إلى الجمل بضمير الغائب it(هو أو هي لغير العاقل). وتعمل هذه الصعوبة في تحديد جنس جمل العمة دوت على أنه نوع خاص من التوقع الذي قد يقود القراء النابهين إلى التفكير في صعوبة تحديد جنس الراوي والبطل لوري. والواقع أن جنس لوري يظل غير محدد حتى نهاية الرواية تقريباً. وربما كان الهدف هو أن الهوية النوعية ليست مهمة على النحو الذي يفهمه معظم الروائيين. أو ربما رغب ماكولي في بيان أن احتمالات المغامرة نفسها قد تكون متاحة للنساء والرجال على السواء.

إن رواية Kicked to Death by a Camel (القتل برفسة جمل) من تأليف كلارنس ج. ل. جاكسون Clarence J.– L. Jackson الصادرة في نيويورك عام 1973 قصة بوليسية تدور أحداثها في تمانراست بجنوب الجزائر، حيث يبحث البطل روجر ألنبي Roger Allenby عن كتاب يتناول تاريخ الجمال. (والمدهش هو أن كلارنس جاكسون هو الاسم المستعار للبروفيسور ريتشارد بولييت Professor Richard Bulliet الذي كتب هذه الدراسة التاريخية الجميلة The Camel and the Wheel [الجمل والعجلة]). وفي الرواية يقول ألنبي عن نفسه: «أنا مؤرخ. أنا مهتم فقط بالدور الذي قامت به الجمال في التاريخ الاقتصادي. بل إني لا أحب الجمال كثيراً». (هل من المحتمل أن يكون المؤلف كذلك هو الذي يتحدث هنا؟») قبل أن يبتعد ألنبي كثيراً في بحثه، يُعثَر على جينو بانتشيرو Gino Banchero ميتاً في الصحراء. في الوهلة الأولى، يظنون أن جملاً قد رفسه. لكن أحد افتراضات الرواية هو أن قدم الجمل لينة جداً

إلى درجة أن رفستها لا تسبب الموت. والمدينة زاخرة بكل أنواع الأجانب غريبي الأطوار غير المتكيفين مع المجتمع ممن يشتبه فيهم (فيما يشبه فيلم «كازابلانكا» بعض الشيء)، الذين يبدو أن بينهم خبير جمال آخر هو كلود مونو Claude Monod، وهو طالب الطب البيطري الذي يكتب أطروحة عن أمراض الجمال. وقد عمل مشتبه فيه آخر، وهو هيلموت Helmut، على توطين البدو في النيجر.

الرواية ممتعة، لكن مع احتمال الإساءة إلى بولييت العلامة والنابه، أعتقد أنها قامت على افتراضات زائفة. فهناك الكثير من أمثلة الرجال الحقيقيين الذين يموتون برفسة جمل، أو على الأقل يصابون بشكل خطير جدّاً من جرائها. فعلى سبيل المثال، قدَّم جون ف. كين John F. Keane الرحالة الذي زار الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر، وصفاً متعاطفاً لما يشبه رفسة جمل:

> *فجأة تسمر الجمل في مكانه ورفع أقرب ساقيه الخلفيتين، وكأنه سيهرش ظهره، ثم هجم عليَّ وضربني على الجزء الأسفل من صدري. وقد رفعت من على الأرض ونزلت على وجهي على أرض حجرية. وكان الألم فظيعاً؛ إذ شعرت وكأن بطني قد بقرت؛ استدرت على ظهري، وأغمضت عيني، وطلبت من الناس ألا يلمسوني ... فقد رأيت رجلاً ثقيلاً يُدفَع به ياردات عديدة داخل حشد كثيف برفسة جمل ويُرفَع فاقداً وعيه.*[23]

يشير روبين ديفيدسون Robyn Davidson في كتابه Tracks (دروب) إلى أن الرفسة يمكن أن تكون مميتة إلى حد كبير: «يمكن أن يرفسك الجمل في أي اتجاه، في حدود نصف قطر قدره ستة أقدام. وهو يرفس بساقيه الأماميتين، ويرفس للأمام أو للجانب

أو للخلف بساقيه الخلفيتين. وإحدى تلك الرفسات يمكن أن تكسرك إلى نصفين كالعود الجاف».[24] وأليست الحجة هي المثل التركي الشهير القائل «رفسة الجمل ناعمة، لكنها تقضي على الحياة»؟

إذا ما اتجهنا الآن إلى موضوع مختلف إلى حد ما، فإنه كما تقول أسطورة كازاخية قديمة يمكن جعل الرجال عبيداً مسلوبي الإرادة يُعرَفون بالـ«ماركوت». تشمل العملية حلق رأس الأسير قبل تثبيت قلنسوة من جلد الجمل غير المدبوغ. وبعد ذلك يُترَك الأسير مقيداً على عمود في الصحراء لعدة أيام. وعندما يجف جلد الجمل يضغط بشكل مرعب على جمجمة الرجل. وعلاوة على ذلك، فإن شعر الرأس الذي لا يتمكن من النمو للخارج ينمو إلى داخل المخ محدثا ألماً شديداً. ويتم الضغط على سلامة عقل الرجل وذاكرته. وإذا نجا من هذه المحنة، يصبح عبداً لآسره.[25] وهناك مانكورت (ابن نايمان-أنا) في قصة الخيال العلمي «اليوم الذي The Day Lasts More Than a Hundred Years يستمر أكثر من مائة عام» لتشيجيز إيتاموف، التي يظهر فيها كذلك مجاز خاص بمحنة أولئك الذين نسوا وطنهم وثقافتهم.[26]

قبل أن يصبح إيتاموف كاتباً، درس في قسم تربية الحيوان في المعهد الزراعي القرغيزي في فرونز، وتظهر الحيوانات بوصفها الأبطال في كثير من قصصه. و«اليوم الذي يستمر أكثر من مائة عام» المنشورة في عام 1980 رواية مثيرة تدور أحداثها في المستقبل القريب حول تقابل سفينة فضاء من الأرض مع كائنات فضائية، وتقع بشكل أساسي في بلدة قرغيزية صغيرة بالقرب من قاعدة إطلاق صواريخ سوفْييتية. وتتشابك قصة الاتصال بين الكواكب بقصة تربية جمل ذي سنامين أصيل اسمه بوراني كارانار Burannyi Karanar بواسطة صاحبه بوراني يديجي Burannyi

Yedigei. وفي الكتاب، نتعلم الكثير عن مصاعب تربية الجمال في السهوب القرغيزية وشرب الشوبات (حليب الناقة المخمر الكحولي).[27] يحارب كارانار رئيس القطيع الأكبر سنّاً كي يستولي على القطيع ويَنْزُو.[28] وما إن يبدأ موسم الشبق، حتى يجد يديجي أنه من المستحيل السيطرة على جمله المستعر شبقاً. وفي منتصف الشتاء، يهرب كارانار، ويجري كأنه روح منتقمة أطلقت من عقالها في السهوب. ويجمِّع أربع إناث ويدافع عن حريمه من خلال التبول بغضب. ويضطر يديجي لمطاردته ويحاربه بسوط. وينجح في إخضاع جمله، لكن عندما يعود يكتشف أن المرأة التي كان يرغب فيها قد اختفت عندما كان يطارد جمله. ولذلك شفا غليله في كارانار بالسوط ثم طرده بعيداً. ويعود الجمل ممزق الجلد محطم العظم.[29] وكما في «أبراج طرابزون»، يكون التعاطف مع الجمل.

كيبلنج وآخرون

نشر روديارد كيبلنج Rudyard Kipling (1865–1936) قصيدة بعنوان Oonts في عام 1890. و«أونت» كلمة هندوستانية تعني «جمل». وفي القصيدة، يتوجع أتكينز Atkins المقيم في الهند بسبب العناء الذي يواجهه مع الجمال. وإليكم عينة من شكواه:

أيها الجمل، أيها الجمل، يا جمل الميرة!
في رقبته السخيفة بكرة كأنها سلة مليئة بالأفاعي؛
نحمّله كأنه صنم، ويمكن أن تسمعه ينخر،
وبعد أن نحمّله ينقطع حبل رحْله.

في هذه الرواية الشائعة الكوميدية السوداء للحيوان، جمل الميرة شيطان ونعامة ويتيم، الكل في واحد. ورائحته كريهة. وهو

أشد خطورة من أحد رجال قبيلة الباتان(*)، وهلم جرا.[30]

كانت الجمال كذلك تشكل خلفية قصيدة كيبلنج الشهيرة The Ballad of the King's Jest (أغنية مهرج الملك). والأبيات الأولى كما يلي:

عندما يطلق الربيع الأعشاب الصحراوية،
تمر قوافلنا عبر شعاب ممر خيبر(**).
ضامرة هي الجمال لكن السلال سمينة،
وخفيفة هي أكياس النقود، لكن البالات ثقيلة،
كأن تجارة الشمال التي تقيدها الثلوج قد هبطت
إلى ميدان السوق في بلدة بيشاور.

في غسق لازوردي، شديد البرودة،
خيمت القافلة عند سفح التل.
ثم ارتفع ضباب من دخان الطبخ الأزرق،
وردت أوتاد الخيام على أنف المطرقة،
الخيل المقيدة، شعثاء غبراء،
مربوطة في حبالها حيث تكون الطعام،
والجمال التي تزبد بجوار الأحمال
وقد أنخت للراحة أسفل الطريق
والقطط الإيرانية المدللة المشتراة لبيعها،

(*) الباتان: أحد الشعوب الآسيوية ويعيش أبناء شعب الباتان على الحدود الأفغانية الباكستانية. وهم عبارة عن قبائل أفغانية وباكستانية، تتعدد لغاتهم، إذ يتحدث الأفغان لغة البوشتو. أما الباكستانيون، فيتحدثون لغات الأوردو والبنجاب والسندي. (المترجم)

(**) ممر خيبر هو ممر جبلي حدودي في سلسلة جبال هندوكوش، يصل بين باكستان وأفغانستان بالقرب من مدينة بيشاور الباكستانية. ويبلغ طول الممر حوالي خمسة كيلومترات وعرضه حوالي 12 مترا. (المترجم)

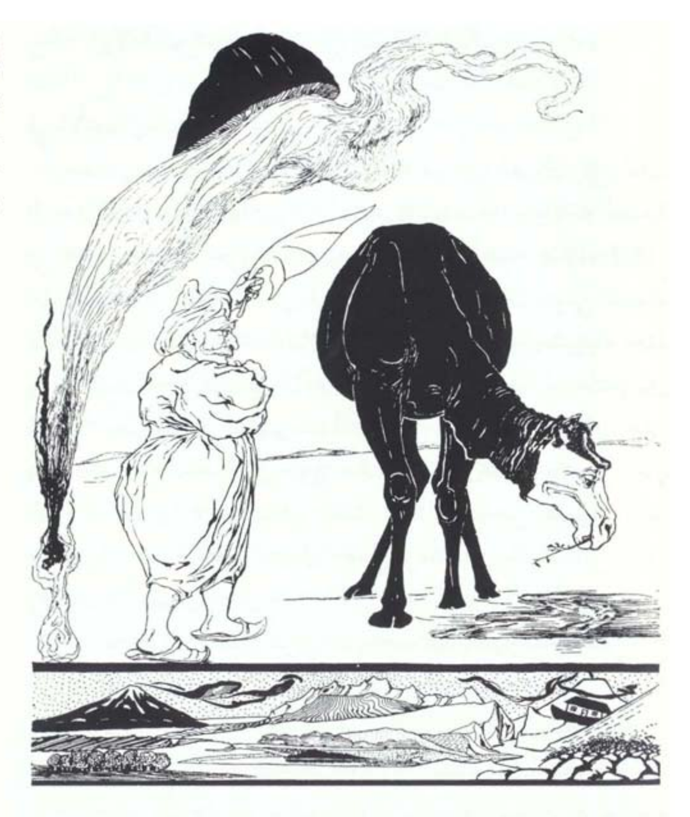
تزدري الكلاب من داخل خُرْج الجمل،
وتوهجت نار المخيم بجوار حصن جمرود،
وهناك فرت على جناحي الشفق المتجمع
رائحة الجمال والسجاد والمسك،
همهمة أصوات، ورائحة دخان،
لتخبرنا أن تجارة خيبر قد استيقظت. (31)

لكن كيپلنج معروف أكثر بالقصة القصيرة «How the Camel Got His Hump» (كيف حصل الجمل على سنامه) التي ظهرت في The Just So Stories عام 1902. وهي تقول باختصار إنه في بدايات العالم، كان هناك جمل يعيش بمفرده في الصحراء المقفرة في كسل تام وعندما يتحدث أي حيوان آخر إليه كان يرد بكلمة «همف» Humph (*) فحسب. غضب الحصان والثور والكلب، الذين كانوا جميعهم يعملون من أجل الإنسان، من عدم قيام الجمل بأي شيء. وحملوا شكواهم إلى الجني. وذهب الجني إلى الصحراء ليتجادل مع الجمل، لكنه لم يحصل منه سوى على «همف». وهكذا بدأ العمل لخلق سحر عظيم. وبعد ذلك عندما طلب من الجمل الذهاب للعمل وكان الرد الذي تلقاه هو «همف»، «رأى الجمل ظهره الذي طالما تفاخر به، ينتفخ وينتفخ ليصبح سناماً (humph) متراخياً». وبعد ذلك يخبره الجني إنه لابد أن يذهب للعمل، ذلك أن السنام (وهجاؤه بالإنجليزية الآن هو hump كي لا يهين الجمل) سيسمح له بالعمل ثلاثة أيام دون أن يأكل. ويعقب الحكاية نظم أخلاقي أبياته الأولى هي:

سنام الجمل كتلة قبيحة

(*) صيحة عدم رضا وتأفف تساوي «أُفٍّ» بالعربية. (المترجم)

«الجني يبدأ السحر الذي أوجد السنام للجمل» في قصة كيپلنج «كيف حصل الجمل على سنامه» من The Just So Stories



يمكن إلى حد بعيد أن تراه في حديقة الحيوان
لكن الأقبح هو السنام الذي يكون لنا
نتيجة لعدم قيامنا بعمل كثير.(32)

وهناك شيء عن الجمل يجعله ضحية للشعر الخفيف. وهذا ما قاله هيلير بيلوك Hilaire Belloc:

الجمل العربي طائر بهيج.

ولا يمكن أن أقول الشيء نفسه عن الكرد.

في الأعمال غير الروائية

وصف كتاب تشارلز دوتي الكلاسيكي الغريب في أدب الرحلات Arabia Deserta (الصحراء العربية)، رحلاته الصعبة في شمال غرب الجزيرة العربية ونجد في الأعوام 1876–1878. نشر الكتاب للمرة الأولى في عام 1888. وكان دوتي شغوفاً بالجيولوجيا، التي عدها دليلاً على صنيع الرب في تشكيله العالم ببطء. كما كان يرغب في أن يُعيِّر أهل الجزيرة العربية غير المتمدنين الجهلاء بأن يعرض عليهم سلوك الرجل المسيحي. وعلاوة على ذلك، فقد قام بمغامرته كي يوفر مادة لملحمة إنجليزية ستحيي أمجاد النثر الإنجليزي. ومع ذلك، ظلت الجمال تفرض نفسها. وهو هنا يصف كيفية تحميل جمال الحمل بواسطة رجال القبائل الذين رافقهم بالسفر:

> *يجعلون الجمال تنوخ تحت أحمالها بالصوت الحلقي «إخ خ خ»! الرقبة القاسية لأي حيوان متردد يجري إنزالها برفق بواسطة العصا، أو توضع يد على رقبته الثقيلة، والجمل الذي يظل على مقاومته يُشد من لحيته، وحينئذ يخر متأوها على ركبتيه دون تردد. ويتم إنزال أحمالها، وتُرفَع رحال الجمال بما عليها من أحمال. وبركلة من قدم صاحبها، تنهض جمال الحمل متثاقلة مرة أخرى وتُطلق في المرعى.*(33)

وروى دوتي قصة جمل شبح بنثره الملتوي والملغز على نحو مميز:

> *رأينا أن رجال المرتفعات هؤلاء قليلي العدد، الذين لم*

يتخلوا عن كرم الضيافة القديم، تمتدحهم القبائل؛ ومع ذلك فقد كانت هناك حكاية غريبة تروى في ذلك الوقت داخل خيامهم. «كان أحد أبناء قبيلة بلِي يسير في الحرة. وعند المغيب، إذ توقف لقضاء الليل، ظهر له جمل غريب يقف في مكان أعلى منه، وتكلم الجمل كما يتكلم البشر: «هذا الطاعون والجفاف الشديد سيحلان بكم مرات عديدة، والجراد لن يكون كما كان من قبل، بل سيكون العام تلو الآخر، ولا تعلمون السبب: لماذا يتخلى البدو عن عادات الآباء؟ ستعانون المسافرين المارين على بيوتكم، ويخرج الجائع من عندكم خالي الوفاض!» وتحدث العرب عن الأشباح مثنى وثلاث داخل خيامهم وفي مجالسهم، وهذه الآن حكاية شائعة في البلاد كلها وقد سألني أحدهم ـ باعتباري رجلاً متعلماً ـ «ما هو رأيي في الأمر؟» ذلك أن كل الأشخاص الذين عرفوا من شاهد الشبح يقولون إنه «رجل فَطن». (34)

ولا يروي دوتي ماذا كان رده.

نادراً ما توافق دوتي مع البدو وغالباً ما كانت الجمال هي المشكلة في هذا الأمر. «وهكذا اشتريت على مسؤوليتهم جملاً هزيلاً، وكان عجوزاً وتجاوز سن العمل تقريباً، وفقد أسنانه الأمامية، ولم تكن قيمته تزيد في نظر البدو عن قيمة جملي الجريح. وكنت جديداً في مهارتهم؛ فالجمال تُعرَف وتقيَّم بأسنانها وبالنظر إلى سنامها». وبالنسبة لهؤلاء الذين يعرفون الجمال ويهتمون بها، كتاب «الصحراء العربية» كتاب حزين، ذلك أن دوتي خُدِع مراراً وتكراراً ليشتري جمالاً هرمة بلا أسنان وذات مفاصل ملتهبة. وقد سخر منه البدو بقسوة لسذاجته.

كان ت.إ. لورانس أكثر ذكاء وكان يتيقَّن من ركوبه أفضل الجمال فحسب. ويُقرأ كتاب «أعمدة الحكمة السبعة» الصادر في عام 1926 على أنه تاريخ لحملة الحرب العالمية الأولى، أو على أنه حكاية ممتعة، أو دراما نفسية فردية، أو قطعة من الاعتذاريات الإمبريالية الخادعة. غير أن الطريقة الصحيحة الأخرى لقراءة كتاب لورانس هي على أنه موسوعة عن الجمل مرتبة ترتيباً غير رسمي ومكتوبة بأسلوب الشعر المنثور. يصف دور الجمال الحيوي في الاقتصاد البدوي. كما يستعين بطقس دقات الطبول إشارة إلى تحميل الجمال ودقات الطبول الثانية إشارة إلى انطلاق القافلة. ثم يعلق على طبيعة الجمل الجَماعية، ويقدم إرشاداً بشأن كيفية امتطاء الجمل، وبشأن كيفية إناخته بالتربيت على الرقبة. كما يقدم توجيهات لتخفيف حزن الناقة الأم بتقديم جلد حوارها، ولتخفيف حدة الجرب بالزبد، وكيفية طهو الحوار الرضيع. كما يصف علف الجمال المفضل والمصاعب التي تواجهها في السفر ليلاً وعلى الأراضي الثلجية. وكان لوارنس ملاحظاً دقيقاً وقد اقتبسنا وصفه لكيفية إناخة الجمال من قبل.

ليس واضحاً ما إذا كان قد ركب الجمال قبل دخوله الحجاز أم لا. (من المرجح إلى حد كبير أنه ركبها عندما قام برحلته الخاصة بإعداد رسالته الجامعية وزار قلاع الصليبيين، أو فيما بعد عندما عمل في التنقيب عن الآثار في قرقميش). وكانت قصة حب لها سعودها ونحوسها. وفي مارس من عام 1917، في وقت مبكر من الفترة التي أمضاها مع البدو، رقد لورانس الذي أصابته الحمى والإجهاد نتيجة السفر في أثناء النهار، كي يستريح. وقد أُطلقت الجمال أولاً لترعى في الحشائش القصيرة:

كانت الجمال تحب هذا العشب الذي ينمو بارتفاع ست عشرة بوصة تقريباً في حزم على سيقان خضراء داكنة؛

وكانت تزدرد كميات هائلة منه إلى أن يسوقها الرجال وينيخوها بجواري. في تلك اللحظة كنت أكره الجمال، ذلك أن الطعام الكثير كان يجعل نفسها كريهاً، وكانت تسترجع قدراً جديداً ملء فيها من معدتها في كل مرة تمضغ فيها ما سبق وتبتلعه، إلى أن يسيل لعابها الأخضر من بين مشافرها المتدلية على أسنانها الجانبية ويتساقط على ذقونها المرتخية.

في أثناء غضبي ومن المكان الذي أرقد فيه، ألقيت حجراً على أقربها الذي نهض وتمايل حول رأسي بالقرب مني لبعض الوقت؛ وأخيراً باعد بين ساقيه الخلفيتين وبال دفعات مُرة عريضة، وكنت حتى ذلك الحين على قدر شديد من الإعياء نتيجة للحرارة والضعف والألم، فظللت مستلقياً فحسب وصرخت شاكياً منه دون معين.[35]



جمل ذو سنامين
مقيداً على جانبه

لقد قدر له أن يصبح خبيراً في الجمال. وكان لدى أحد مرافقيه حيوان يُحسَد عليه: «غزالة ناقة بنيانها كأنه تحفة، وهي مهيبة وضخمة، ويزيد ارتفاعها بما هو أكثر من القدم على ما يليها في الحجم من حيواناتنا كافة؛ ومع ذلك فجسمها متناسب بشكل مثالي وخطوتها أشبه بخطوة النعامة. إنها حيوان شديد الحماس، وهي الأنبل والأفضل سلالة بين جمال الحويطات(*)، وأصلها معروف لتاسع جدة».[36] وقد صُوِّر لورانس سينمائيّاً وفوتوغرافيّاً على الجمال أو بجوارها على نحو يجعلنا نميل إلى نسيان أنه أمضى وقتاً طويلاً يجوب الصحراء في سيارة رولز رويس مصفحة، كما كشف س.ك. رولز S.C. Rolls في مذكراته Steel Chariots in the Desert (عربات فولاذية في الصحراء).[37]

الجمل السيلولوزي

لنتحول الآن إلى الأفلام. فقد ظهر الجمل في العديد من الوثائقيات السينمائية المبكرة. لكن من المحتمل أن ظهوره الأول في فيلم كامل كان عام 1924 عندما استُخدم في فيلم Entr'acte (استراحة) التجريبي لرينيه كلير René Clair (وهو فيلم كان

(*) قبيلة من قبائل العرب تنتشر على مساحة واسعة في شمال غرب المملكة العربية السعودية و الأردن و فلسطين و مصر، كان لها دور بارز في الثورة العربية بقيادة الشريف حسين بن علي ضد العثمانيين، وكان لها من قبل دور كبير في حرب محمد علي باشا الكبير ضد الدولة السعودية الأولى. (المترجم)

المقصود به أن يكون فترة فاصلة في باليه دادي(**)) وكان جملاً عربيّاً يجر عربة لنقل الموتى في شوارع باريس. وفي النهاية ينجح الجمل في قضم الحبل الذي يربطه بالعربة التي تندفع هابطة أحد التلال بسرعة ويندفع المعزون وراءها. ووضع ظهور الجمل في فيلم كلير نمطاً للمستقبل؛ ذلك أن الجمل ظهر كثيراً في الأفلام باعتباره أكسسواراً مثيراً للضحك. مثال ذلك فيلم The Road to Morocco (الطريق إلى مراكش) الذي عُرِض في عام 1942 وشارك فيه بوب هوپ Bob Hope وبينج كروسبي Bing Crosby ودوروثي لامور Dorothy Lamour وجملان متكلمان. (الأنثى اسمها مابل Mabel). ولندع جملاً متكلماً ينطق بأول كلمة عن هذا الفيلم: «هذا أغرب فيلم أظهر فيه حتى الآن». بعد أن تلقي الأمواج ببوب وبينج على شاطئ مهجور، يواجهان جملاً ذا سنامين متكلماً [هكذا]. وفي نقطة غير مكتوبة ضمن السيناريو، يقبِّل الجمل بوب على ظهره ثم يبصق في وجهه.

Hawmps! هو الفيلم الكوميدي الذي عُرِض في عام 1976 ويصوِّر فرقة راكبي الجمال الأمريكيين ووصف نفسه بأنه «من المحتمل إلى حد كبير أن يكون أظرف فيلم في هذا العقد»، وإن كان Halliwell's Film and Video Guide (دليل هاليويل للأفلام والڤيديو) قد وصفه بأنه «كوميديا تاريخية تتسم بقدر غير معقول من التطويل والملل». فقد وُعِد المركز المتقدم لسلاح الفرسان في الغرب الأمريكي بتسلم «عرب» جدد. وكانوا يتوقعون خيلاً، لكن ما حصلوا عليه هو الجمال. والقليل جدّاً

(**) الدادية موقف عدمي في فن يعتمد على المصادفة والعفوية والوهم في انتقاء عناصره. وتقول فلسفة الداديين إنه لابد من خلق فن يناقض الفن ذاته. وقد أطلقوا على فنهم هذا اسم «ضد الفن» وأصبح شعارهم: كل شي يساوي لا شيء؛ إذن، فلا شيء هو كل شيء .(المترجم)

من نكات الجمال التي في الفيلم عن علامة السجائر(*) وليس الحيوانات. وهناك فيلم Ishtar (عشتار) الذي عُرِض في عام 1987 بطولة داستن هوفمان Dustin Hoffman ووارين بيتي Warren Beatty، وهو فيلم (يزعم أنه) كوميدي عن كاتبي أغان غير موهوبين في جمهورية عشتار الصحراوية. وقد ظهر على عدة قوائم لأسوأ عشرة أفلام على الإطلاق - كما كان أحد أكثر الأفلام تكلفة. وفي نقد Daily Variety للفيلم، قالت: «لا يسع المرء إلا التساؤل عما إذا كان الجمل المخلوق الأعمى الوحيد الذي له علاقة بهذا الفيلم». وينتهي الحال بالثنائي غير الموهوب وهو يحاول الهروب في الصحراء بالجمل الأعمى المذكور، الذي كان لايل (بيتي) قد اشتراه من سوق جمال على أنه نوع من كلمات السر التجسسية. وخسر هذا الفيلم أموالاً كثيرة. ومن الواضح أن مبالغ كبيرة أنفقت في البحث عن جمل ذي عينين زرقاوين ليبدو أعمى في الفيلم.

ظهر الجمل في بضعة أفلام جادة أخرى. وجرى تصوير جزء كبير من فيلم لين «لورانس العرب» الذي عُرِض في عام 1962 في مكان ما بالصحراء الأردنية واستعانوا بالبدو المحليين ككمبارس. وأُعطيت للممثلين وعلى رأسهم پيتر أوتول Peter O’Toole دروس في ركوب الجمال. وبعد أن أصيب أوتول بالتهاب في المقعدة نتيجة لكثرة ركوب الجمل، اشترى طبقة من الإسفنج الاصطناعي كان يضعها فيما بعد تحت الرَّحْل، وهو ما جعل البدو يطلقون عليه «أبو اسفنج»؛ وقد حذا حذوه العديدون، وهو ما يمكن رؤيته في الفيلم. وقويت الصلة بين أوتول وناقته رقم 1 واسمها شقرم، وفي إحدى المرات أنقذت شقرم حياته.

(*) السجائر ماركة Camel المعروفة. (المترجم)

جمال دوريات الصحراء - التي كانت شقرم من بينها - مدربة على الوقوف فوق راكبيها وحمايتهم إذا أصيبوا. وفي أثناء تصوير أحد مشاهد الأردن الأخيرة، تعثرت شقرم في بعض الأحجار عند نزولها باندفاع من على التل، وألقي بيتر من فوقها واصطدم رأسه.

سقط في طريق خمسمائة فارس عربي متجهين نحوه مباشرة. وعلى الرغم من أن الفرسان العرب جميعهم جيء بهم من أفواج سلاح الفرسان، فقد كانوا متجمعين على نحو لا يمكنهم من تحاشي بيتر. ومع ذلك، وقفت شقرم ثابتة في مكانها وتجنب الممثل المزيد من الأذى عندما مرت الخيول العربية بسرعة البرق بجوارها.(38)

ت.إ.لورانس وجمل بعيد في فيلم ديفيد لين Lawrence of Arabia (لورانس العرب) الذي عُرض في عام 1962.

كان المتوقع هو عدم توقع ما تفعله الجمال. ففي أحد المشاهد، تجادل بدوي اسمه علي مع لورانس بشأن خطر عبور الصحراء التي لا ماء فيها إلى العقبة، وكان جمل علي يعبِّر عن موافقته الشديدة بسلسلة من الشخير الذي هو خليط من النعيب ومثال







لقطات ثابتة من فيلم بيامباسورين داڤا Davaa Byambasuren ولويجي فالورني Luigi Falorni «قصة الجمل الباكي» الذي عُرِض في عام 2003

سيئ جدّاً من السعال الديكي والتأوه.

قال علي: «إن مضينا في سيرنا، سيبدأ الرجال في الموت».

أطلق جمل علي انفجاراً مرعباً يبعث على الأسى إلى حد بعيد.

واستفسر لورانس بلطف: «وإذا واصلنا المسير على الرغم من ذلك؟»

فقال علي بحزم: «سوف تبدأ الجمال في الموت».

وهنا أطلق جمله الصوت الأعلى والأكثر تجميداً للدم في العروق الذي سمعته في حياتي.[39]

جرى تصوير مشاهد إضافية في وقت لاحق بالمغرب، لكن هذا تسبب في خلق مشكلات، إذ كان المغاربة يركبون الجمال بطريقة مختلفة عن الطريقة التي يركب بها الأردنيون، وقد امتطوا نوعاً مختلفاً من الرَّحْل. فكان لزاماً أن تصنع المئات من الرحال على النمط الأردني على وجه السرعة، وجرى تعليم المغاربة ركوب الجمال كالأردنيين. (عادة ما يجلس المغاربة أمام السنام، على كتفي الجمل).

يحكي الفيلم الوثائقي الإثنوجرافي المؤثر The Story of the Weeping Camel «قصة الجمل الباكي» (2004)، الذي صوَّره بيامباسورين داڤا ولويجي فالورني في منغوليا، كيف أن أمّاً بعد مخاض صعب رفضت صغيرها الأبيض وكيف حُثَّت بصعوبة بالغة على التعرف إليه والسماح له بالرضاعة. ويستخدم الرعاة موسيقى الكمان لعلاج الصدع الذي يقع بين الأم وحوارها. فيؤتى بعازف كمان خبير من قرية بعيدة يؤدي طقساً قديماً لتوثيق العلاقات، وتدفع ألحان كمانه الأم إلى البكاء وقبول الصغير. وإن وجوه الجمال نبيلة وغبية في الوقت ذاته. وتأوهاتها تبعث على الأسى. وتربي الأسرة التي تضم ثلاثة أجيال في بؤرة الفيلم 300 خروف وعنزة و60 جملاً. وتتجلى بقوة مشقة حياة الراعي المنغولي في صحراء جوبي المعرضة للرياح دون رفيق إلا زوابع الغبار. وكان الفيلم معرضاً للخطر، إذ كان لدى صانعيه رصيد محدود من الفيلم الخام. وقد قال فالورني: «وجدنا أنه من الصعب توجيه الجمل».

وأخيراً، يقال إن الأصوات التي يطلقها تشوباكا في أفلام «حرب النجوم» شكلت على غرار تأوه الجمل.

الفصل السادس

دور الجمل في التاريخ

«يمكن للإنسان تخيل نفسه بقوة سيد المخلوقات عندما يمتطي جملاً».

جيفري مورهاوس Geoffrey Moorhouse

الحيوان التوراتي

من المستحيل، بأي قدر من الثقة، تحديد تاريخ استئناس الجمل أو تقديم أية تفاصيل عن ذلك. فالأدلة غير موجودة. لكن بالمقارنة مع الغنم والكلاب، سوف يبدو أن الجمال استؤنست في وقت أقرب نسبيّاً. وعلى الرغم من أن هناك أدلة مبكرة خاصة باستعمال الشعوب القديمة وبر الجمل وروثه وعظامه، فإن هذا لا يثبت أن الحيوانات التي وفرت تلك المواد كانت مستأنسة. وقد اعتمد سكان فلسطين الأوائل على الحمير وليس الجمال.[1] وعلى الرغم من عدم وجود أدلة واضحة على استئناس الجمل في فلسطين في القرن الحادي عشر ق.م، فالإشارات الواضحة الأقدم إلى الجمل في سفري التكوين والخروجِ ربما تنطوي على مفارقة تاريخية. لكن النقاش بشأن مدى قِدَم استئناس الجمل في الشرق الأوسط نقاش لا ينقطع، إذ يكافح المؤيدون لحقيقة الكتاب المقدس الحرفية (ببعض الأدلة الموحية) لتقديم أدلة على أن إبراهيم ربما امتلك جمالاً. (طبقاً لما جاء في سفر التكوين 12: 16، فقد أعطى أبرام (إبراهيم) جمالاً).

ذُكِرَ الجمل 62 مرة في الكتاب المقدس وهو التاسع في الترتيب

بين أكثر الحيوانات التي أشير إليها (56 من تلك الإشارات موجودة في العهد القديم). ولما جاءت ملكة سبأ لزيارة سليمان، كان متاعها محمولاً على الجمال (سفر الملوك الأول 10: 2). وفي سفر إرميا 2: 23 يوصف إسرائيل وهو يرتكب الزنا وراء آلهة زائفة بأنه ناقة شبقة. وفي العهد الجديد نجد: «إنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إبْرَةٍ أيْسَرُ مِنْ أنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إلَى مَلَكُوتِ اللهِ». (إنجيل متى 19: 24). ومع العلم أنه قيل إن هذا التشبيه المذهل ناشئ عن القراءة الخاطئة للكلمة العبرية التي تعني الخيط الخشن التي تشبه كلمة جمل، غير أن الأرجح، كما يبدو، هو أن قراءة الجمل صحيحة، ذلك أنه عندما سمع الحواريون كلمات المسيح «بُهِتوا جدّاً».

انتشار الاستئناس

كانت هناك جمال برية في شمال إفريقيا، إلا أن تلك الجمال انقرضت كلها تقريباً في الألفية الثالثة ق.م. ولم تكن الجمال مستخدمة في مصر القديمة وقرطاج. ومن الصعب العثور على



حفر آشوري بارز على الحجر لامرأة مع جمل من نمرود ببلاد ما بين الرافدين، حوالي 850 ق.م

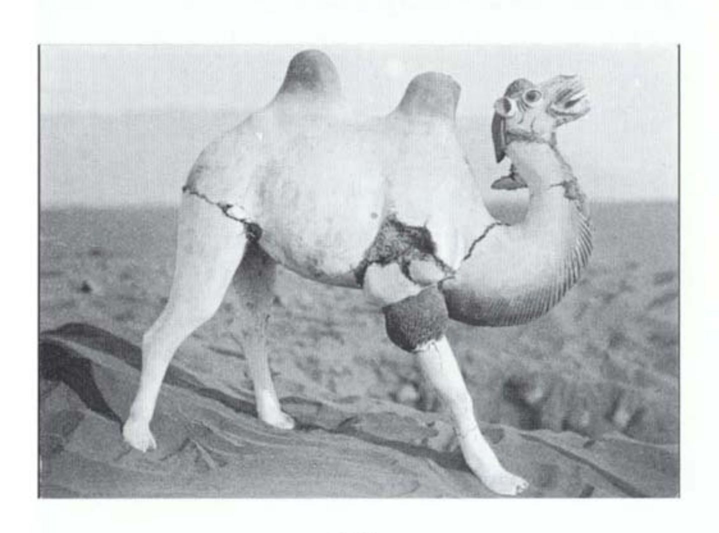
أدلة حاسمة، لكن تريفور ويلسون Trevor Wilson، عالم الحيوان المتخصص في المناطق القاحلة، يعتقد أن الجمل استؤنس لأول مرة في جنوب الجزيرة العربية قبل حوالي 4 آلاف عام.[2] وينبغي أن ندرك أن هناك استئناساً واستئناساً. إذ ربما تمَّ رعي الجمال، على مستوى بسيط، لأول مرة من أجل لحومها وحليبها فحسب، وجرى في وقت لاحق ركوبها واستخدامها لنقل التوابل وغيرها من الأشياء في الجزيرة العربية.[3]

ربما استؤنس الجمل ذو السنامين في حوالي الربع الأول من الألفية الأولى ق.م في تركستان. ولم يحل الجمل ذو السنامين محل النقل على عجلات كوسيلة لنقل السلع، بل تعايش معه. ويبدو كذلك أنه لم يستخدم للحمل أو للركوب، بل استخدم لجر العربات. واستخدم الأويغور(*) الجمال ذات السنامين كحيوانات مزرعة. وفي الصين في عصر أسرة تانغ، كثر الطلب على الجمال بوصفها حيوانات حمل ومصدراً للحم والوبر. وجعل الاستعمال الأخير للجمال بوصفها حيوانات حمل طريق الحرير من الصين إلى روما ممكناً. وامتد الطريق مسافة 5 آلاف ميل تقريباً من لويانغ إلى سمرقند إلى طشقند إلى أنطاكيا. وكان قد افتتح في القرن الثاني ق.م، لكنه أصبح مهمّاً بالفعل بدءاً من القرن الأول الميلادي. في البداية، كانت الجمال ذات السنامين هي وحدها المستخدمة، لكن في وقت لاحق استخدمت كذلك الجمال العربية، بعد تكيفها مع الجو البارد، للنقل ولأشكال أخرى من العمل، ولم تكن القبائل التي ترعاها تميل إلى الاعتماد

(*) شعوب تركية تشكل واحدة من 56 عرقية في جمهورية الصين الشعبية. وهم يتركزون بصورة عامة في منطقة تركستان الشرقية ذاتية الحكم (التي تعرف باسم شينجيانغ) على مساحة تعادل 6/1 من مساحة الصين ويتواجدون في بعض مناطق جنوب وسط الصين. وهم يدينون بالإسلام. (المترجم)

عليها بوصفها مصدراً للقوت، بالطريقة التي اعتمد عليها بعض العرب وسكان شمال إفريقيا. شاعت في العصور الوسطى الجمال ذات السنامين في إيران والعراق والأناضول ووسط آسيا، لكنها في الوقت الراهن مقصورة بشكل أو بآخر على شمال شرق أفغانستان والصين ومنغوليا.[4]

أصبح البدو رعاة الجمال عاملاً مهمّاً في تاريخ الشرق الأوسط حوالي عام 1000 ق.م.[5] فقد بدأ الناس استخدام الجمال العربية في الحروب. واعتمد قورش الكبير ملك الإخمينيين (559–530 ق.م) اعتماداً كبيراً على الجمال في جلب العتاد. كما استخدمها في المعركة. وطبقاً لما قاله هيرودوت Herodotus (حوالي 484–530 ق.م)، فإنه عندما واجه قورش كريسوس Croesus في شرق تركيا، أنزل متاعه من على جماله وأركب جنوده فوقها وأرسلهم لمواجهة فرسان العدو، لأنه كان يعلم أن الخيل ستخاف منها. وفي موضع آخر من كتابه «التواريخ»، عند وصف الهنود ساكني



نموذج صيني لجمل عثر عليه في طريق الحرير

الصحراء، يحكي هيرودوت لليونانيين أنه من الواضح أنهم كانوا يعرفون الجمال بالفعل:

الرمال بها محتوى ثمين من الذهب، وهذا هو ما يجري وراءه الهنود عندما يقومون بحملاتهم في الصحراء. ويقوم كل رجل بسرج ثلاثة جمال تسير بجوار بعضها؛ حيث تكون الأنثى التي يركبها في الوسط وذكر على كل جانب ويربطها جميعاً رسن رئيسي، ويحرص على أن تكون الأنثى قد وضعت وليدها مؤخراً. وجمالهم سريعة كالخيل، وهي دواب حمل أقوى بكثير. وليس هناك ما يدعوني لوصف الجمال، ذلك أن اليونانيين يألفون شكلها؛ ومع ذلك فإن الشيء الذي سأذكره، وسيكون أمراً جديداً عليهم، هو أن لدى الجمل في ساقيه الخلفيتين أربع ركب، وتتجه أعضاؤه التناسلية للخلف نحو ذيله. [6]

هُزِم القنصل والقائد الروماني الطموح كراسوس Crassus في حران الواقعة في شرقي تركيا عام 53 ق.م لأن البارثيين (الفُرْس) كان لديهم جمال وهو لم يكن لديه أي منها. فقد التف الرماة الفرس الذي يركبون الجمال والخيل حول جناحي جيش كراسوس. وقامت الجمال كذلك بدور مهم في جلب المزيد من السهام للرماة الراكبين الذين يطلقونها بسرعة. (كان كراسوس يأمل أن تنفد السهام من الرماة بسرعة). وأسس الإمبراطور تراجان Trajan (98–117)، الذي أمضى قسطاً كبيراً من حياته في محاربة البارثيين في بلاد فارس، فيلقاً للجمال، Milliaria Ala I Ulpia Dromedariorum، تمركز في تدمر.[7] وبصورة غير منتظمة، استخدم الرومان الجمال على نطاق واسع. فعلى سبيل



رجل يقود جملاً، أو ربما زرافة، من أرضية فسيفساء رومانية تعود إلى القرن الخامس الميلادي

المثال، عثر على عظام جمال في موقع ڤيلا رومانية في سواسون بشمال فرنسا.[8]

امتد استخدام الجمال إلى شمال جزيرة العرب وفلسطين وسوريا قبل عام 3000 ق.م. وسيزيد اتساع الصحراء الكبرى الطلب على الجمال، ومن المحتمل أن يكون الجمل قد أعيد إدخاله في إفريقيا في العصور الرومانية. إذ كانت أول إشارة مكتوبة إلى الجمال في شمال إفريقيا في عام 46 ق.م عندما هزم قيصر جوبا Juba وهو أحد حلفاء پومپي Pompey في شمال إفريقيا، وأسر 22 جملاً عربيّاً. وبعد سقوط روما وتدهور الزراعة المستقرة في شمال إفريقيا، تحول الكثير من البربر إلى البداوة، ومن المفترض أن أعداد الجمال زادت. ويبدو من المرجح أن الغارات التي كان يشنها البدو على المزارعين المستقرين أسهمت في تصحر شمال إفريقيا. وقد شجع الإمبراطور الإفريقي سپتيموس سيڤيروس Septimus Severus (193–211) تربية الجمال في شمال إفريقيا. وبدءاً من تلك الفترة، أصبحت الجمال شائعة في المنطقة.[9]

مدن القوافـل

تولى العرب، بدءاً من القرن الثاني ق.م، أمر تجارة القوافل الخاصة بسوريا والعراق، وكان جزء كبير من هذه التجارة عبارة عن التوابل المربحة. وكان ذلك جزءاً من خلفية ظهور مدينة البتراء النبطية في ما يعرف حالياً بالأردن. وظهر الأنباط، الذين قد يكونون منحدرين وقد لا يكونون كذلك، في التاريخ في القرن الرابع ق.م وسيطروا على مجموعة من الواحات في جنوب الأردن وشمال غربي جزيرة العرب وأصبحوا سادة تجارة القوافل المحمولة على الجمال. وأسماهم الجغرافي اليوناني سترابو Strabo «الباعة الجائلون والتجار». ومنذ القرن الأول ق.م، أصبحت مدينة القوافل البتراء عاصمة لهم. وفي إشارة خارجية نادرة إلى سكان البتراء، كتب ديودور الصقلي Diodorus Siculus في القرن الأول ق.م أن «بعضهم يربي الجمال وبعضهم الآخر الغنم، ويرعونها في الصحراء». وطبقاً لما قاله سترابو، فقد كانت لديهم قوافل ضخمة تتاجر في البخور والمر. وهو ما كانوا يشترونه من جنوب الجزيرة العربية. لكن بما أن النقل بالسفن كان أرخص من



فسيفساء تعود إلى منتصف القرن يصور سيلينوس على جمل من الجِم بتونس

الجمال، فقد كانت السفن تحمل التوابل بعد ذلك حتى خليج العقبة حيث المد والجز غير مواتيين. وهناك كانت التوابل تفرَّغ على الجمال التي تحملها إلى الإسكندرية وغزة ودمشق.(10) واتخذ الأنباط رَحْلَ شمال الجزيرة العربية لجمالهم. ويعود أول تصوير لهذا الرَّحْل على عملة رومانية إلى عام 50 ق.م وعليها يظهر استسلام ملك نبطي.(11) وفي عام 106 ميلادية هزم تراجان الأنباط وضُمَّت البتراء إلى الإمبراطورية الرومانية.

بحلول عام 100 تقريباً أصبحت تدمر الموجودة في الصحراء السورية محطة مهمة للقوافل التي تمر بين بلاد فارس وموانئ البحر المتوسط، لكنها لم تصبح ثرية بالفعل إلا في القرن التالي. وبوصفها دولة مدينة تقع بين الإمبراطوريتين الرومانية والپارثية، فقد ازدهرت نتيجة لقوافل الجمال. وعادة ما يصوَّر أرصو، إله نجم المساء والقوافل التي كانت يرشدها ذلك النجم في الليل، راكباً جملاً مع توأمه عزيزو إله نجم الصباح. واستخدم فيلق الجمال التدمري كذلك رَحْل شمال الجزيرة العربية. وكانت تدمر تفضل الجمل وفرضت ضرائب تأديبية على حمولات العربات التي تدخل ـ أربعة أضعاف ما يُدفَع على حمولات الجمال. وأصبحت تدمر جزءاً من ولاية رومانية يحكمها تيبرياس Tiberias (14–37 ميلادية)، لكنها ظلت مزدهرة كمدينة تجارية حتى حوالي عام 270 ميلادية.(12)

الرَّحَال والسلع الجلدية في الإســلام

هناك من يرى أنه عندما بدأ رعاة الجمال ركوب جمالهم لأول مرة ركبوا على نوع من رَحْلِ الجمل الخاص بجنوب الجزيرة العربية. هنا يقدم ثيسيجر وصفاً دقيقاً متميزاً لهذا الرحل:

يركب البدو الجنوبيون على الرَّحْل العُماني الصغير

بدلاً من رَحْل شمال الجزيرة العربية ذي القطبين الذي تعودته أنا. التقط سلطان رَحْلي، الذي كان على شكل ملزمة خشبية صغيرة، وثبته على وسائد من ليف النخيل، وربطه بإحكام على حاركي الجمل أمام السنام مباشرة. وكانت تلك الملزمة الخشبية في واقع الأمر هي إطار الرَّحْل الذي بنى عليه الرَّحْل. وبعد ذلك أخذ وسادة من الليف على شكل هلال كانت مرتفعة في الجزء الخلفي منها، وبعد تثبيتها حول ظهر سنام الجمل وجانبيه، ثبتها بعروة من الحبل في هذا الإطار. وبعد ذلك، وضع بطانية على الوسادة ولف سجادتي على هذا، ووضع خرجي رَحْلي على السجادة، وأخيراً وضع فروة خروف سوداء فوق خرجي الرَّحْل. وكان قد ثبت حبلاً من الصوف بعروة تحت بطن الجمل كي يمر فوق الوسادة الخلفية، وبعد ذلك، أخذ أحد طرفي هذا الحبل ومرره على الإطار وعاد به إلى الجانب الآخر من الرَّحْل إلى العروة الأولى. وعندما سحب الحبل بإحكام، ثُبت كل شيء في مكانه. لقد أقام منصة على سنام الجمل ووسادة الليف التي كانت خلفه. وعند جلوس الراكب على هذا، كان أبعد بكثير للخلف على الجمل مما لو كان على راكباً على الرحل الشمالي المثبت على حاركي الجمل.(13)

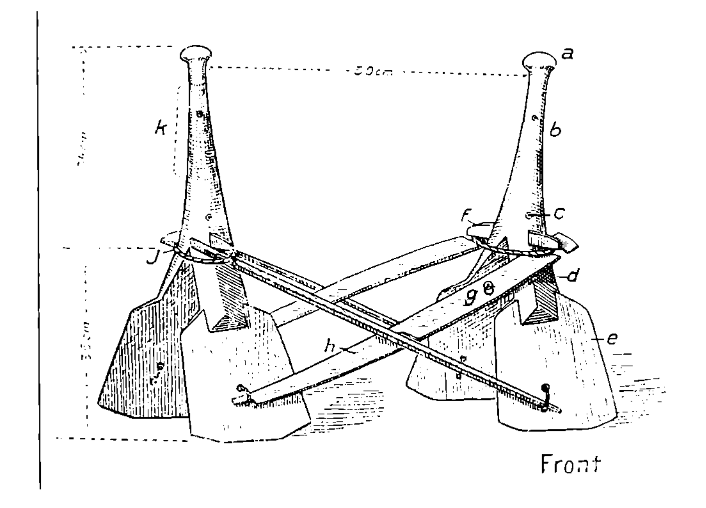
في حالة رحل جنوب الجزيرة العربية، يجلس الراكب خلف السنام ويقود الجمل ويوجهه بعصاة.

أُدْخِل رَحْل (شداد) شمال الجزيرة العربية في الفترة من 500 إلى 100 ق.م وحينها فقط كان الجمل حيوان حمل قادراً على منافسة النقل بالعربات. ويتكون رَحْل شمال الجزيرة



رحل شمال
الجزيرة العربية
مزدوج القرون

العربية من حرفي V خشبيين مقلوبين موضوعين على جانبي السنام وتربطهما ببعضها أربع قطع من الخشب وتعلوه وسادة. ويحيط هذا الرَّحْل بالسنام ويرتكز على القفص الصدري. ومع أن الراكب يجلس فوق السنام، إلا أن ثقله يقع على القفص الصدري للجمل. وعندما توضع الأحمال فوق الجمل، فإنها تكون موزعة على جانبي سرج شمال الجزيرة العربية. وبذلك تُزاد قدرة الجمل التحميلية. وقد جعل رَحْل شمال الجزيرة العربية القتال باستعمال السيف أو الرمح من فوق ظهر الجمل أسهل وأعطى المحارب ميزة الارتفاع الأكبر. ويعد كتاب The Camel and Wheel (الجمل والعجلة) الصادر في عام 1976 لمؤلفه ريتشارد بولييت Richard Bulliet دراسة تاريخية مبتكرة عن كيفية حلول الجمل محل العربة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وكيف منح اختراع رَحْل شمال الجزيرة العربية البدو المربين للجمال ميزة مهمة في التجارة والحروب. فقد



رَحْل شمال الجزيرة العربية، من كتاب ألويس موزل «أخلاق بدو الرولة وعاداتهم» الصادر في عام 1928

زاد رحل شمال الجزيرة العربية قدرة الجمل التحميلية، وبدأت الجمال بوصفها دواب حمل تنافس النقل بالعربات وتحل محله في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. كما يمكن للجمل حمل ضعف ما يمكن للحمار حمله. ومن قبل، كان الرومان في الشرق يعتمدون العجلات لنقل السلع، وعندما استخدموا الجمال استخدموها لجر العربات أو المحاريث. ويبدو أن التحول من النقل المحمول على عجلات إلى دواب الحمل حدث في وقت ما بين القرنين الثالث والسابع الميلاديين. وكان تدهور منظومة الطرق الرومانية سبباً ونتيجة لهذا التحول. ومع تغير حيوانات الحمل ظهرت حاجة أقل إلى الشوارع العريضة داخل المدن، وبذلك رأينا ظهور مدن، كالقاهرة وحلب، ذات شوارع متلوية تشبه المتاهة. ولم تعد الطرق تعبَّد، لأن ذلك كان أكثر راحة للحيوانات. وكانت الجمال أسعد بكثير وهي تسير على التراب أو الرمال. واختفت العربات التي شاعت في الشرق

الأوسط في العصور الرومانية. وكان الغياب التام تقريباً للنقل على عجلات في العالم العربي ما قبل الحديث ملحوظاً منذ فترة طويلة.[14] وطبقاً لما قاله الفيلسوف والرحالة الذي عاش في القرن الثامن عشر ڤولني Volney، فإنه «من الجدير بالذكر أن سوريا بكاملها لا تُرى فيها عربة واحدة».

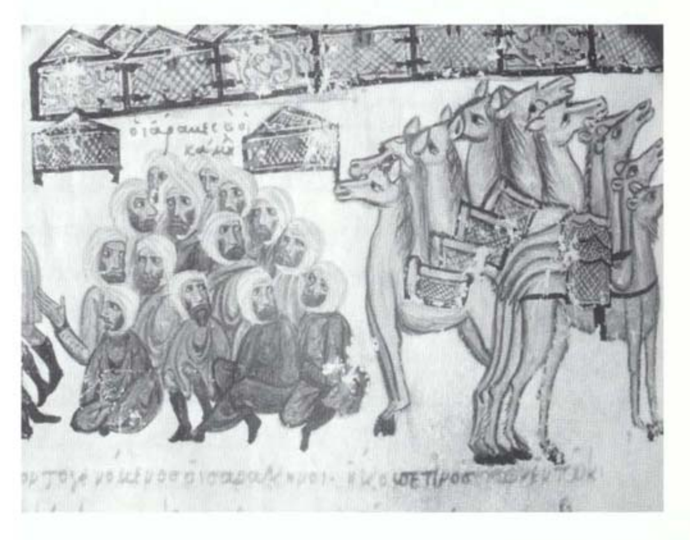
زادت أهمية البدو على أطراف الإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية، إذ كانوا المورِّدين الأساسيين للحيوانات من أجل تجارة المسافات الطويلة والنقل الحربي. وانخرط بعض العرب أنفسهم في تجارة القوافل. وكان من السهل سرقة الجمال التي ترعى، وأصبح الدفاع عنها صعباً. وعزز ذلك ثقافة الغارات التي تشنها القبائل على بعضها في شبه الجزيرة العربية. وكانت القبائل الأكثر أرستقراطية هي هؤلاء البدو الذين يرعون الجمال في أعماق الصحارى العربية، البعيدة عن أية سيطرة سياسية خارجية من البيزنطيين أو الساسانيين أو دولهم العميلة. ويمكن النظر إلى ظهور الإسلام على أن تجل للأهمية السياسية العسكرية المتنامية للبدو الذين يركبون الجمال. وكان يعتقد أن مكة، التي كانت مهد الإسلام، قد أصبحت غنية من قبلِ لكونها محطة مهمة على طريق قوافل الجمال المتجهة شمالاً حاملة التوابل من اليمن في اتجاه البحر المتوسط. ومع ذلك، فقد أوضحت پاتريشا كرون Patricia Crone في كتابها Meccan Trade and the Rise of Islam (التجارة المكية وظهور الإسلام) الصادر في عام 1987 أن مكة لم تكن بالفعل على الطريق وهناك أدلة قليلة، أو لا توجد أدلة، على أية تجارة توابل تنقل بالطريق البري في شبه الجزيرة العربية في القرون السابقة لظهور الإسلام مباشرة. وعلاوة على ذلك، فقد حسب بولييت أن تقدم قافلة الجمال على امتداد

الجانب الغربي من شبه الجزيرة العربية كان سيتوقف 65 مرة قبل الوصول إلى البحر المتوسط. وحتى إذا كانت مكة على الطريق الساحلي، وهي لم تكن كذلك، فلم يكن هناك سبب لأن تصبح محطة مميزة. وعلى أية حال، فالواقع أنه كان المناسب بشكل أكبر لأية قافلة أن تذهب عبر الطائف. إذ كانت مكة تبعد حوالي مائة ميل عن الطريق.

أظهرت باتريشا كرون أنه ليست هناك أدلة على انتعاش تجارة التوابل في الحجاز في القرن السابع. بل إن التراث اللاحق يشير إلى أنه كانت هناك تجارة محلية في الجمال والحمير والجلد ومنتجات وبر الجمال. ومؤخراً نشرت مقالاً تحاول فيه إثبات الأهمية العسكرية للماشية التي تربى في المنطقة. وفي القرنين السادس والسابع، كان الجيش الروماني يوسِّع عملياته في الشام والعراق، إذ كان يشن حملات ضد الفرس الساسانيين. وكان مستهلكاً ضخماً للسلع الجلدية: «الخيام وأغماد الخناجر والسيوف وأغطية الدروع وأغطية الأمتعة وحقائب العدد وأكياس النقود ودروع الخيل والألجمة وغيرها من عدة الخيل والنعال والأحذية والأحزمة وقِرَب النبيذ وقِرَب الماء، وكذلك المقاليع المختلفة والخيوط والأربطة والسيور المستخدمة في الأسلحة والملابس».(15) وكما كتب مؤرخ آخر من مؤرخي الشرق الأوسط، وهو لورانس كونراد Lawrence Conrad، «كان الجلد هو بلاستيك العصر». وقد ازدهرت قريش، التي كانت القبيلة المهيمنة في مكة، ورجال القبائل العربية الآخرون من خلال إمداد الجيش الروماني بالجلد، الذي صنع جزء كبير منه من جلود الجمال الخام. وأصبح اشتداد القتال بين الرومان والفرس فرصة اقتصادية للعرب. كما أصبحوا على دراية بمواطن قوة الجيش الروماني وضعفه.

الفتوح الإسلامية

استخدمت الجيوش العربية الجمل لحمل الأمتعة والذهاب بها إلى المعارك، لكنها كانت تحارب بصورة عامة على الأقدام أو على ظهور الخيل. (بل إن هناك فعلاً عربيًا لممارسة الترجل من على الجمل ثم ركوب الفرس، وهو «تنزَّل»). ومن الصعوبة إلى حد كبير توجيه الجمل في أثناء عَدْوِّه المتواصل. ويفتقر هجوم الجمل إلى قوة الدفع التي يوفرها الفرسان الذين يمتطون الخيل. وبذلك قامت الجمال بدور ثانوي، وإن ظل دوراً مهماً، في الفتوح الإسلامية.(16) وقد شجع الفتح العربي الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وجزءاً من وسط آسيا في القرنين السابع والثامن على زيادة استخدام الجمال في هذه المناطق كلها، وفي المقابل هناك إشارات أقل إلى الحمير. ومع أن العرب حاولوا مراراً فتح القسطنطينية، فقد فشلوا في ذلك،، وفشلوا كذلك في احتلال الأناضول بشكل دائم.



رسم توضيحي في كتاب تاريخ بيزنطي من القرن الثاني عشر يوضح مخيما عربيًا

ويرجع الفشل الأخير بكل تأكيد إلى أن الجيوش العربية كانت تعتمد على الجمل العربي، الذي لم يتكيف بشكل جيد مع المناخ البارد، على عكس الجمل ذي السنامين. وفي العصر العباسي، بدءاً من أواخر القرن التاسع، كانت هناك إشارات أقل إلى البغال وأكثر إلى الجمال. واستخدمت شبكة البريد التابعة للدولة جمالاً سريعة تسمى جَمَّازات. وقد أقيمت شبكة من محطات الجمال في عهد العباسيين وظلت إلى عهود حكم البويهيين والسامانيين اللاحقة. وتحتاج الجمال إلى عدد أقل من الاستراحات لأنها أكثر قدرة على التحمل، في حين تحتاج البغال إلى التغيير أكثر من ذلك بكثير.[17]

ربما لم تكن أقدم قوات الفرسان المسلمة، سواء أكانت تمتطي الخيل أم الجمال، تعرف الرِّكَاب، لكن ربما بدأ تبني الرِّكَاب في نهاية القرن السابع. وقد وفر للرماة الراكبين المزيد من الدعم، بالإضافة إلى أمور أخرى.

منذ بداية القرن الحادي عشر، انتقلت القبائل التركية غرباً وبدأت باحتلال هضبتي إيران والأناضول. وقد مال هؤلاء الأتراك إلى استخدام الجمال ذات السنامين وليس الجمال العربية. ومن ثَمَّ كانوا أكثر نجاحاً مما كان عليه العرب في الاستيطان في الأناضول. وتتميز القبائل الرُّحَّل التركية المربية للجمال بأنها تتنقل وراء الكلأ والماء بقطعانها من مراعي الصيف في المرتفعات إلى مراعي الشتاء في المنخفضات. وكانوا يُعرفون باليوروك Yürük (ومعناها الحرفي «المشاءون»). ومنذ القرن السادس عشر، تأسست السلطنة التركية العثمانية، وكانت في كثير من الأحيان في صراع مع الرُّحَّل الذين حاولت توطينهم أو طردهم إلى أماكن مثل قبرص. وقد دُفع بالرُّحَّل إلى مناطق هامشية في المرتفعات أو الصحارى أو المستنقعات.



إيرهارد شون
Erhard Schoen،
طباعة ملونة باليد
تصور مملوكاً يركب
جملاً عربيّاً، 1530

الجمال المملوكية والعثمانية

حكم المماليك مصر وسوريا بدءاً من خمسينيات القرن الثالث عشر وحتى الفتح العثماني للبلدين في عام 1517. وكان المملوك جنديّاً أبيض عبداً من أصول تركية في العادة. وقد استخدم الجيش التركي الجمال من أجل الأحمال اللوجستية. وتسلم كل مملوك يشارك في الحملة العسكرية جملاً واحداً على الأقل، وفي بعض الأحيان جملين. وكانت «الحلقة»(*)، وهي قوة مملوكية من غير النخبة، يتسلم فيها كل رجلين ثلاثة جمال. وقد

(*) كان عدد أجناد الحلقة ضخماً، و كانوا بوجه عام مصريين وعناصر أخرى من غير المماليك، يخدمون في مختلف الفروع ويعتبرون قلب الجيش المصري وعموده الفقري وليس المماليك. وذكر المقريزي أن عددهم في أيام الناصر محمد بن قلاوون كان أربعة وعشرين ألف فارس.(المترجم)

حفظت الجمال في المناخ الملحق باسطبلات الهجن والنياق. وفي سنوات السلطنة المملوكية الأخيرة، صار ثمن الجمل سبعة دنانير.[18] وفي عصر المماليك، استخدمت خمسة جمال للحمل وجمل للقيادة بانتظام لجلب الثلج من دمشق إلى القاهرة لتبريد مشروبات السلطان. وكل يومين، في الفترة الواقعة بين أول يونيو وآخر سبتمبر، كانت مفرزة الثلج تغادر دمشق. ومع العلم أن الجمال ليست في سرعة الخيل، غير أن خدمة البريد وخدمة الاستخبارات التابعة للدولة استخدمتا الجمال كذلك. وقد وفرت الاسطبلات الملكية الجمال للاستراحات على الطريق.[19]

في أوائل ثلاثينيات القرن الخامس عشر، قام فرنسي يدعى برتراندون دي لا بروكيير البورجوندي Bertrandon de la Brocquière برحلة إلى سوريا المملوكية:

التقيت بالقرب من دمشق بمغربي شديد السواد جاء من القاهرة على جمل في ثمانية أيام، وإن كانت تلك رحلة تستغرق ستة عشر يوماً في العادة. لقد شرد جمله منه، لكننا استعدناه بمساعدة من ترجماني. ولهؤلاء الرُسُل رحل مفرد يجلسون عليه واضعين ساقاً على ساق، لكن سرعة الجمل كانت شديدة إلى درجة أن الرؤوس والأجسام تُلَّف بإحكام منعاً لأي أثر سيئ للرياح.

حمل الرسول الأوامر من السلطان في مصر بالقبض على كل القطالونيين والجنويين الذي يمكن أن يكونوا موجودين في دمشق وسوريا. وبعد يوم فقط، دخل برتراندون Bertrandon دمشق وحضر في الوقت المناسب ليشهد عودة قافلة الحج من مكة. وقد استغرقت القافلة التي كانت تتكون من ثلاثة آلاف جمل يومين وليلتين كي تدخل المدينة.[20] وشملت تلك القوافل الكبيرة إلى

مكة، التي استمرت حتى القرن العشرين، تجاراً دوليين إلى جانب الحجيج. ومنذ القرن السادس عشر، غدت الحاجة إلى حماية القوافل من القاهرة إلى دمشق من الهجمات وأعمال النهب من جانب البدو هي الشغل الشاغل للحكومة العثمانية. وجرت العادة أن يتم توفير فرقة مصاحبة تضم عدة مئات من الجنود، إلى جانب أنواع عديدة من اختصاصيي القوافل. ولتحاشي حرارة الشمس، يقطع جزء كبير من الرحلة على ضوء المشاعل.

ذكر سيجولي Sigoli، الحاج الإيطالي الذي زار مصر في عام 1384، أن لحم الجمال كان يُباع في الإسكندرية.[21] وضمَّن فيلكس فابري Felix Fabri، الحاج الذي زار مصر في عام 1483، روايته عن رحلاته وصفاً طويلاً إلى حد ما للجمل اختلطت فيه الملاحظات المفصلة والدقيقة بالمعلومات الخاطئة المأخوذة من المصادر الأدبية. وهي تبدأ ببيان أنه «فيما بيننا تعتبر الجمال وحوشاً..».. وفرّق فابري بين الجمل ذي السنامين والجمل العربي، لكنه خلط بينها بادعائه أن الجمل العربي هو الذي له سنامان. ومضى ليقدم سلسلة من الإشارات إلى الكتاب المقدس وحياة القديس هيلاريون St Hilarion وكتاب ڤنسنت البوڤيزي Speculum Naturale Vincent of Beauvais (مرآة الطبيعة). وقد اعتبر فابري أن الجمل حيوان مشوَّه. ذلك أن للجمل عينين مخيفتين كبيرتين، إلا أن له باستمرار تعبيراً حزيناً وقلقاً. وتكبِّر عينا الجمل كل شيء يراه؛ ولهذا يبدو قلقاً باستمرار. ويبدو الرجل الذي يتقدم نحو الجمل أربعة أضعاف حجمه الفعلي. ويمكن للجمل أن يعيش إلى أن يصير عمره مائة عام. وتحترم الجمال العلاقات الأسرية والتابوهات، وكان فابري قد سمع عن جمل خُدِع ليمارس الجنس مع أمه بعد أن غطي رأسها. وبعدما رُفِع الغطاء عن رأسها، صُدِم ابنها مما فعله على نحو جعله ينتحر بعض



رسم جمل من كتاب أرنولد فون هارف Arnold von Harff الذي نُشِر في تسعينيات القرن الخامس عشر «رحلة حج في ربوع سوريا ومصر وبلاد العرب واثيوبيا والنوبة وفلسطين وتركيا»

نفسه حتى الموت. وتكره الجمال الخيل والحمير. وليس للجمَّالة حاجة إلى استخدام سوط أو عصا، إذ يقودون جمالهم بالغناء. «هان ناي أو آن هو هو أويو أو هو، الخ». وقد فحص فابري قدم الجمل وشبهها بقدم الإوزة المشبكة. وكان الجمالة المستخدَمون في رحلته قد استأجرهم الترجمان من قرى صغيرة في فلسطين، لكن هؤلاء القرويين الفلسطينيين لم يكن يعتبرهم العربُ الرُّحَّلُ عرباً بحق.[22] وكان فابري واحداً من كتَّاب العصور الوسطى القليلين الذين أعطوا القراء الغربيين فكرة حقيقية عن الصحراء؛ ذلك أن كثيرين من مسيحيي العصور الوسطى تخيلوا أن العرب Saracens يسكنون وسط غابات وحقول مترفة.

ضمَّن الحاج أرنولد فون هارف Arnold Von Harff، الذي قام برحلة حج من القاهرة إلى دير جبل سيناء في تسعينيات القرن الخامس عشر، كتابه عن الرحلة نسخة من

العقد الذي أبرمه مع جَمَّاله:

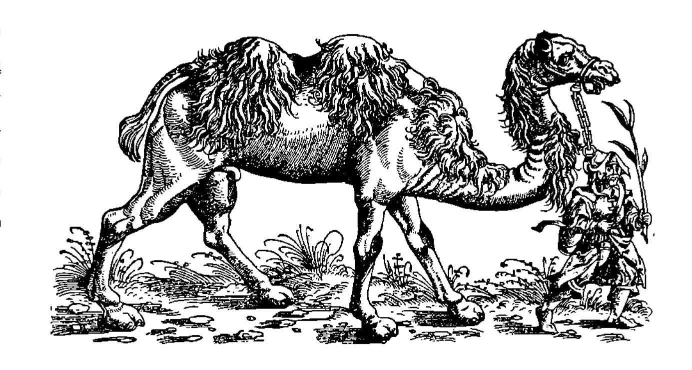
سوف يحمل إ.ن. مُخارِج هذا الإفرنجي (هكذا يسمون من يأتون من بلادنا) من القاهرة إلى الدير الواقع عند سفح جبل سيناء على جمل جيد، سيجلس فوقه على أحد الجانبين في صندوق خشبي مغطى بفرو سميك ويحمل على الجانب الآخر مؤنه وطعام الجمل. وسأحمل من أجله كذلك قربتين، أي جلدي ماعز، مليئتين بالماء له ولي وللجمل. وإضافة إلى ذلك، سأساعده في ركوب الجمل ونزوله من عليه، وسأبقى معه بالليل والنهار وأعمل على راحته. وعلى هذا الإفرنجي ن. أن يعطيني ملاكين، أي دوكاتين، أحدهما في القاهرة والآخر عند وصولنا إلى الدير الذي عند سفح جبل سيناء.

في واقع الأمر، وجد فون هارف أن الهدايا الإضافية أو الرشاوى كانت ضرورية.[23]

أوروبـــا

لم يكن دور الجمل التاريخي مقصوراً على آسيا وشمال إفريقيا. فهناك إشارات قليلة إلى الجمال في عصور أوروبا الوسطى المبكرة. وربما جلبها القوط الغربيون وغيرهم من القبائل إلى غرب أوروبا. وفي فرنسا، طاف الملك الميروڤينجي(*) كلوتير الثاني Clotaire II (توفي في عام 629) بزوجته الملكة برونهوت

(*) الميرُوفنْجيّ هو الاسم الذي تحمله سلسلة ملوك الفرانكيين (الفرنجة) الأوائل الذين حكموا بلاد الغال. وقد أسس هؤلاء الملوك الدولة الفرنسية. وكان كلوفيس الأول، أول ملك ميروفنجي، قويا. وعند موته عام 511م، كانت المملكة الميروفنجية تضم شمال بلاد الغال، وأكيتيّن، وبعض الأقاليم شرق نهر الراين. (المترجم)



«الجمل» في كتاب إدوارد توبسل The Historie of Foore-Footed Beastes «تاريخ الحيوانات ذوات الأربع» الصادر في عام 1607

Brunehaut على جمل قبل أن يأمر بإعدامها.[24] وجاء العرب والبربر الذين غزوا إسبانيا وجنوب فرنسا واحتلوهما في أوائل القرن الثامن بالجمال معهم، لكن تربية الجمال لم تزدهر قط في تلك المناطق.[25] واستخدم عاهل هوهينزتاوفن Hohenstaufen الملك فردريك الثاني الجمال في صقلية وجنوب إيطاليا.

كان هناك العديد من محاولات إدخال الجمال في أوروبا في بداية العصر الحديث. ففي حوالي عام 1623 كان قطيع جمال مملوك للملك جيمس الأول James I يرعي يوميّاً في منتزه القديس جيمس.[26] وكان فيليب الثاني Philip II ملك إسبانيا (1527–1590) يحتفظ بحديقة حيوان صغيرة في حدائق قصره في أرانخويس بها أربعة جمال كان قد جلبها في سبعينيات القرن السادس عشر من إفريقيا. وقد ثبتت فائدتها في أعمال البناء، ولذلك جرى تربية المزيد منها حتى بلغ عددها نحو أربعين.(27) وأدخل فرديناند ميديتشي الثاني Ferdinand II de Medici دوق توسكاني الأكبر جمالاً مستوردة في عام 1622 لتكون دواب حمل. وبقي آخر هذا القطيع في محيط بيزا حتى الحرب العالمية الثانية حين قتل الجنود ما تبقى منه للحصول على لحمه.[28] وفي

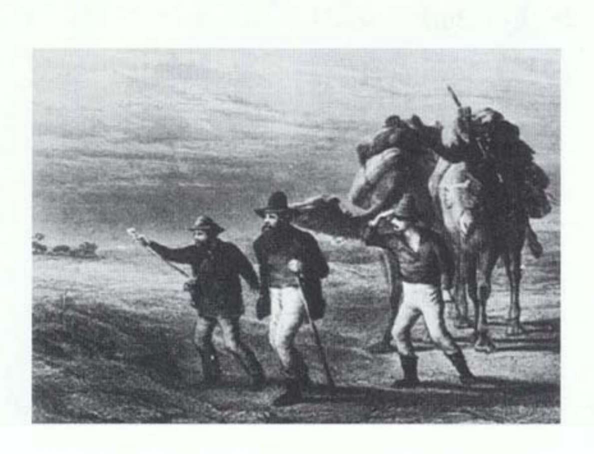
إسبانيا القرن التاسع عشر، كانت هناك جمال برية في مستنقعات دلتا نهر جواداكويڤير. ويقال إن الجيش البريطاني الذي شارك في حرب شبه الجزيرة تركها هناك. وعلى نحو بديل لذلك، وبشكل أقل رومانسية، فقد جرى استيرادها في الأصل إلى إقليم كاديث في عام 1829 للعمل في شق الطرق وغيرها من المشروعات. وكانت هناك محاولات لم تدم طويلاً لإدخال الجمال إلى إسبانيا وبولندا وأماكن أخرى.

أســـتراليا

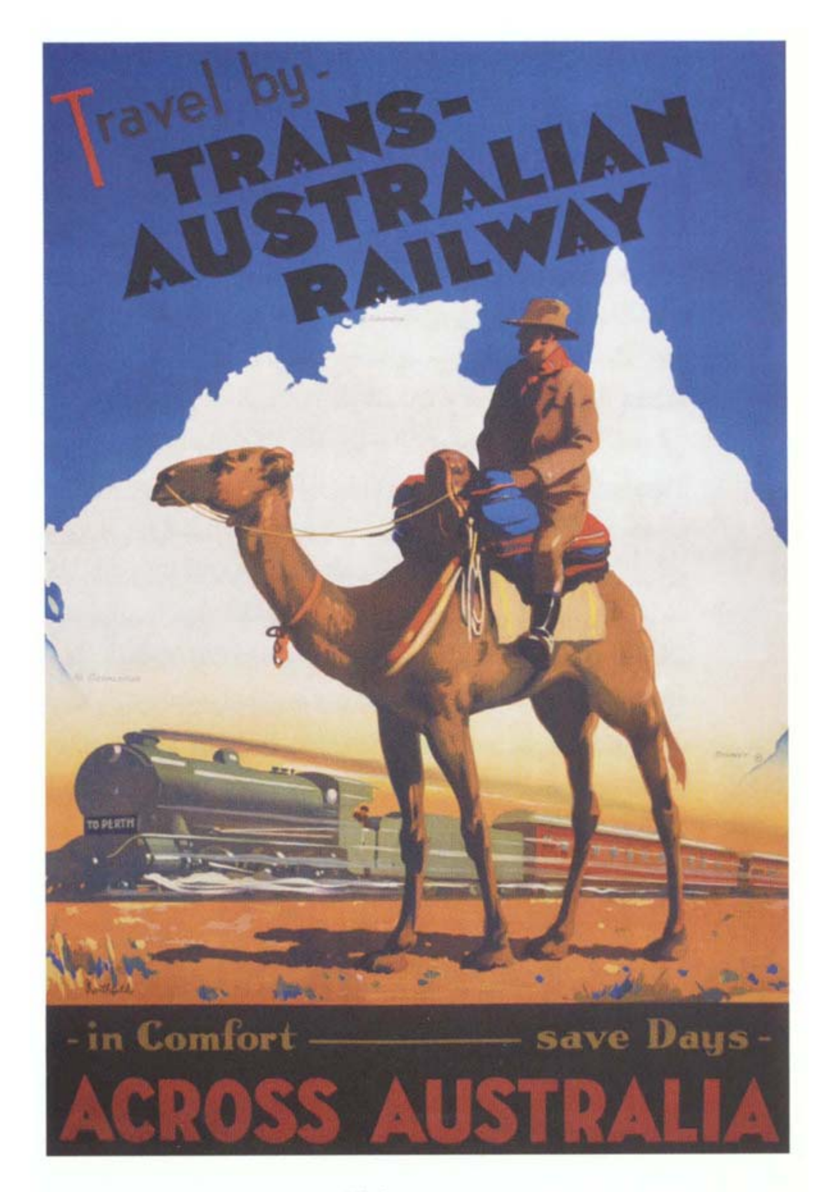
يعد كتاب هـ. م. باركر H. M. Barker بعنوان The Camels and the Outback (الجمال والمناطق النائية) الصادر في عام 1964 نصاً أساسياً عن إدخال الجمال في أستراليا. والمؤلف «رأى أن كتاباً عن الجمال يمكن أن يكون مفيدا إذا انفجرت القنبلة الهيدروجينية وهذا هو ما كتبه».[29] وقد وصل أول جمل إلى أستراليا في عام 1840. واستورِد المزيد إلى ڤيكتوريا في عام 1860. وفي عام 1865 كان هناك استيراد على نطاق واسع من كراتشي. واستخدم المستكشفان بيرك Burk وويلز Wills الجمال في حملتهما المشؤومة في 1860–1861، التي حاولت عبور أستراليا من ملبورن في الجنوب إلى خليج كاربنتريا في الشمال. ومن أجل هذه الحملة، كان لديهما ثلاثة جمَّالين من الجنود الهنود و26 جملاً. وفي وقت مبكر من الحملة تخلصوا من مدير الجمال الخبير الحقيقي الوحيد، وهو ما يمكن أن يكون قد حكم بالفشل على الحملة. وقد شاعت حكايات عن الداخل الذي تتوافر فيها النباتات، بل وعن بحر داخلي، يقع في مكان ما في الصحراء، وهو ما اتضح أنه محض خيال. وعلى الرغم من اقتراب بيرك وويلز لمسافة أميال قليلة من خليج كاربنتريا، فقد

أُسيئت إدارة رحلة العودة، وعندما نفق آخر جمل، لم يكن ثمة أمل أمام الرجال. فمات بيرك وويلز وخمسة رجال.

في وقت لاحق، أصبح للجمال والجمَّالة دور مهم في استكشاف أستراليا وفتحها. إذ استخدمت الجمال كحيوانات جر من أجل بناء خط التلغراف البري، الذي يعبر القارة من أديليد إلى داروِن، والسكك الحديدية العابرة للقارة. وكانت أليس سبرنجز في الأصل مفرق طرق الجمال. ولم يكن من يُسمون «الأفغان» أو «الغان»، المستورَدون لرعاية الجمال، من أفغانستان، ذلك أنهم كانوا يأتون في الغالب من بلوشستان وكراتشي. لكن Ghan town (مدينة الغان) كان المصطلح الذي يعني حي الجمَّالة. وفي البداية أرعبت الحيوانات الغريبة الأبورجين (السكان الأصليين)، لكن في وقت لاحق أصبح كثيرون منهم سائسي جمال كذلك. وربما كان هناك 20 ألف جمل عربي مستأنس في أوائل عشرينيات القرن العشرين. ولكن مجيء السيارات والشاحنات جعل القطعان بلا قيمة والغان عاطلين تقريباً. فأطلقت الجمال في البراري لتتحول إلى حيوانات برية وتكاثرت أعدادها. وفي



استُخدِمت الجمال في محاولة روبرت بيرك وويليام ويلز المشؤومة في 1860–1861 لعبور قارة أستراليا من الجنوب إلى الشمال.


Travel by-
TRANS-AUSTRALIAN RAILWAY
TO PERTH
-in Comfort
save Days-
ACROSS AUSTRALIA

عام 1925 صدر قانون القضاء على الجمال.

الطرق المنافسة لعبور أستراليا في ثلاثينيات القرن العشرين: ملصق السكك الحديدية العابرة لأستراليا

العودة إلى أمريكا

كان الجنوب الغربي من الولايات المتحدة يفتقر إلى الأنهار التي تسمح بنقل السلع الثقيلة بواسطة البواخر، التي كانت ناقلاً أساسيّاً للسلع الثقيلة في القرن التاسع عشر. وعلاوة على ذلك، واجه الجيش الأمريكي صعوبة تسيير دوريات في الأراضي الصحراوية على حدود البلاد الجنوبية الغربية. ولهذا السبب، أوصى الميجور هنري وين Major Henry Wayne بشراء الجمال لوزارة الحربية. وفي مجلس الشيوخ، ناقش جيفرسون ديڤيز Jefferson Davis، الذي سيصبح رئيس الولايات الكونفدرالية في المستقبل، الفكرة بوصفها طريقة لتعزيز الوجود العسكري في المنطقة. ورأى سناتور آخر أن إدخال الجمل سوف يمدن الهنود: «من المؤكد أن امتلاك هذا الحيوان ربما يزيد قوى الأذى لديهم بعض الوقت، لكنه يمكن أن يصبح على المدى الطويل وسيلة لرفع مستوى الهنود إلى حالة الحياة شبه المتمدنة. وسوف يثبت أن منتجات الجمال (الوبر والجلد واللحم) ذات قيمة كبيرة للقبائل الهندية، المقدر لها لولا ذلك أن تهلك مع الجاموس البري». وفي عام 1855 خصص الكونجرس الأمريكي 30 ألف دولار للجيش من أجل شراء الجمال. وكانت هناك حملتان كبيرتان لشراء الجمال. وجدت الحملة الأولى في 1850 المصريين مترددين في البيع، لكن الجيش نجح في النهاية في الحصول على 33 جملاً، اثنان منها ذوا سنامين. أنزلت الجمال في إنديانولا بولاية تكساس، واستورد الرعاة العرب لرعايتها. وفشلت المحاولة الأولى لإبقاء الحيوانات داخل سياج من الصبار، حيث أكلت الجمال السياج بحماس. وجرت الحملة الثانية لشراء الجمال من الشرق الأوسط

في عام 1857. لكن ما يؤسف له أن الجيش كان يفتقر إلى مديري الجمال ذوي الخبرة وأسيئت معاملة الجمال من جانب سادتها الجهلة. وبالإضافة إلى استخدام الجمال للحمل، أمل الجيش في استخدامها لترهيب سكان أمريكا الأصليين، وربما من أجل شن حرب في المستقبل مع المورمون(*) في ولاية يوتا.

وضعت الحرب الأهلية الأمريكية التي بدأت في عام 1861 حدّاً لتجربة الجمال. فلم تعد تلقى ذلك القدر الكبير من التأييد. وادعى الناس أن الجمال تؤذي الخيل والبغال، التي كانت تجفل من رائحتها. وكانت الجمال تخترق السياجات أو تشرد في المناطق الزراعية. وكان تجار الخيل معادين للمنافسة المحتملة. وجعلت حقيقة أن جيفرسون ديڤيز، الذي أصبح رئيس الكونفدرالية، هو الذي رعى في الأصل مشروع الجمال، الاتحاديين يتحيزون ضد هذه الحيوانات. وأخيراً كان امتداد شبكة السكك الحديدية إلى الجنوب الغربي يعني أن الجمال أصبحت غير مناسبة لمقتضى الحال. ومع إنهاء التجربة، تحولت الجمال التي هربت أو أطلقت إلى حيوانات برية. وبعد ذلك، شاعت العديد من القصص الغريبة عن تلك الجمال. وطبقاً لقصة «الشبح الأحمر»، كان أحد المجندين الشباب بالجيش قلقاً من ركوب الجمل إلى حد أنهم ربطوه على ظهر جمل أحمر كبير وضربوه على كفله. وأسرع الجمل بالعدو ولم ير أحد المجند مرة أخرى. وفي وقت لاحق داس الشبح الأحمر على امرأة وقتلها. وبعد فترة قصيرة شوهد

(*) أتباع كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة، وهي كنيسة لها أكثر من 12 مليون عضو في العالم. وقد تأسست هذه العقيدة الدينية في عام 1830 على يد جوزيف سميث المعروف عند أتباع الكنيسة بالنبي. وكان الأعضاء المنتمون إلى هذه الطائفة الدينية يعدون على أصابع اليد في بداية الأمر، ثم انتشرت وتوسعت هذه الحركة الدينية ووصل عدد أتباعها إلى حوالي 5 ملايين شخص في الولايات المتحدة. (المترجم)

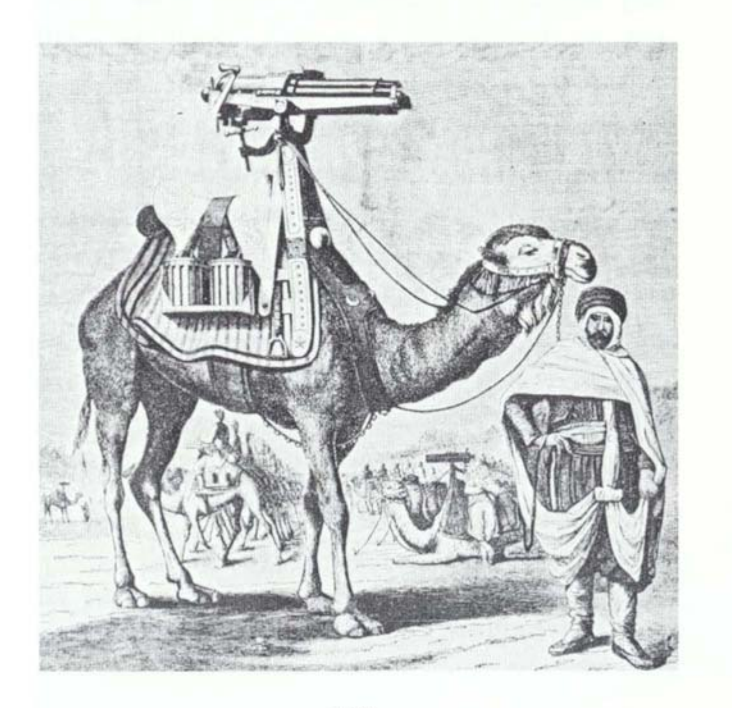
يحمل راكباً بلا رأس على ظهره. وعندما نجح مزارع من أريزونا في إطلاق النار عليه وقتله في عام 1893، كانت الجثة قد اختفت من على ظهره. وعلى الرغم من اصطياد مزارعي تكساس الجمال البرية، فقد زعموا أنها شوهدت في عام 1931، وحتى بعد ذلك التاريخ كانت هناك روايات عن رؤية الشبح الأحمر وجمال أشباح أخرى.(30)

الحـــروب

بدأ الغزو الفرنسي للجزائر في عام 1830، غير أن الفرنسيين لم يسعوا إلى بسط نفوذهم على جنوب الصحراء إلا مع بداية القرن العشرين. ففي عام 1900 احتل الفرنسيون واحات توات. وكان ذلك مدخلاً إلى الصحراء الغربية، حيث استخدم آلاف الحيوانات لإمداد الجنود الذين تمركزوا هناك بالمؤن والعتاد. وبعد عام أنشأ الفرنسيون Compagnies Sahariennes (الفرق الصحراوية) بقيادة الكابتن ماري جوزيف فرانسوا أونري لابيرين Marie–Joseph–François–Henri Laperrine. وقد اشتهر بتقشفه وقوة تحمله، وسيتعين عليه قضاء أربعين عاماً في الصحراء الكبرى. وتولى مسؤولية الواحات في عام 1901. وسميت النخبة بـالمهاريين méharistes بسبب نوع الجمل الذي يركبونه. (الجمل المهاري جمل ركوب اختير لسرعته). وكان المجندون هم البدو الرّحّل من البربر مربي الجمال Chaambas (الشامبا) مع قليل من الضباط الفرنسيين. ولم يكن هناك زي عسكري ولا اسطبلات ولا ثكنات، بل مجرد بدو رُحّل يحصلون على أجرهم من الجيش الفرنسي ويتحركون في مجموعات صغيرة تغطي مساحات كبيرة. لكل جندي عدة جمال. والمهاريون، وليس الفيلق الأجنبي، هم الذين يتعاملون مع رجال القبائل من الطوارق في جنوب

الصحراء الكبرى، وكانت المراقبة الفرنسية للصحراء هي التي جعلت قوافل الجمال المحملة بالملح الآتية من واحة بيلما جنوب تمبكتو ممكنة. وبما أن الشامبا والطوارق أعداء منذ زمن بعيد، فقد كان الواجب العسكري للشامبا متعة كذلك. وغدا من الممكن كذلك عبور الصحراء الكبرى من الجزائر الفرنسية أو السنغال الفرنسية. وبصورة عامة، حرص الجيش الفرنسي على الحفاظ على أسلوب حياة الطوارق البدوي التقليدي من زحف الحداثة. وكان من بين وظائف المهاريين الأخرى مطاردة المراكشيين الذين شنوا غارات للحصول على العبيد. وفي ستينيات القرن العشرين، جرى توظيف المهاريين ضد حركة الاستقلال الجزائرية.(31)

جان ليون جيروم Jean-Léon Gérôme، «نابُليون وأركانه العامة في مصر»، 1867، زيت على قماش



مدفع جاتلنج معدل لاستخدامه في حرب الجمال في سبعينيات القرن التاسع عشر في مصر؛ تفاصيل من طباعة معاصرة

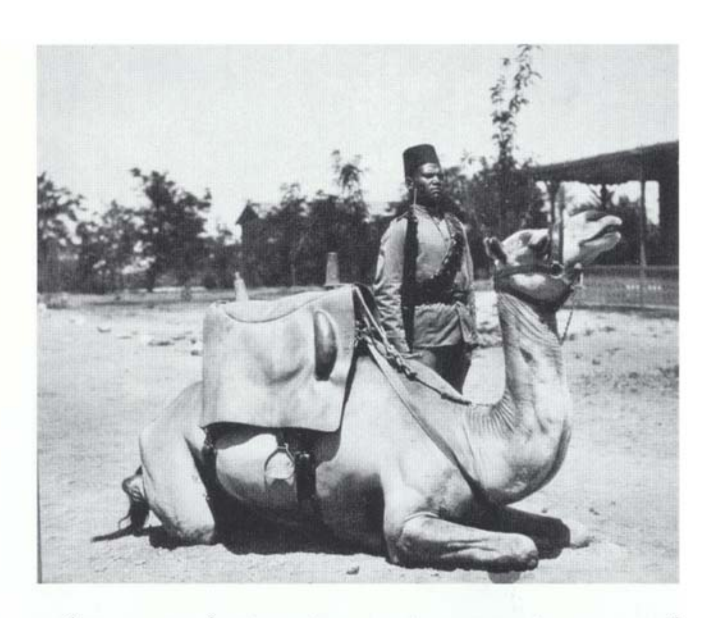


في مصر عام 1884، تأسس سلاح الهجانة، الذي استعين فيه بحراس الحياة البريطانيين، لإغاثة الجنرال جوردون General Gordonفي الخرطوم، لكنه حُلَّ في العام التالي. وعلى الرغم من أنه لم يكن هناك سلاح هجانة مؤسس على نحو سليم فيما بعد حتى عام 1916، فقد طبع مكتب قرطاسية جلالة الملك في عام 1913 دليل «تدريب سلاح الهجانة». وقدم هذا الدليل الصغير جدول مواعيد الصباح المخيف التالي: 3 صباحاً استيقاظ، 3،30 سرج الجمال، 4 مسير، 7 توقف، 8 إطعام. وينبغي أن تكون هناك وقفات صغيرة كل ساعة كي تتبول الجمال. وأخيراً لابد من التوقف عن السير في النهار لاختيار أرض جيدة لإناخة الجمال.

تأسس سلاح الهجانة الإمبراطوري في عام 1916. وفي البداية كان عمله هو حماية حدود مصر الغربية، لكن على المدى الطويل كان المتوقع هو أن تظهر الحاجة إلى الجمال لحماية جناح الجيش الأيمن في تقدمه النهائي عند خروجه من مصر إلى فلسطين العثمانية. ذلك أن قوته البشرية اعتمدت في الغالب على الجنود الأستراليين والنيوزلنديين والبريطانيين الذين خدموا في غاليبولي.(*) وتمركز السلاح في العباسية بالقرب من القاهرة. واستخدموا الجمال الذكور لأنها كانت أرخص وأكثر تحملا (في حين فضل لورانس والمغيرون البدو الإناث الأسرع والأسلس قيادة). وقد استخدم في البداية بنجاح كبير ضد رجال القبائل السنوسية في صحراء مصر الغربية. وحينما غدا ذلك ممكناً، أخذ

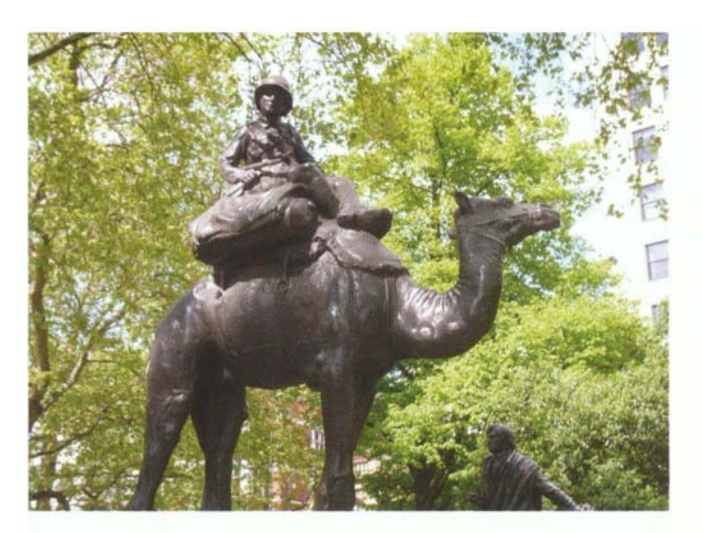
(*) وقعت فصول تلك الحملة في شبه جزيرة غاليبولي العثمانية في الفترة الواقعة بين 25أبريل من عام 1915 و 9 يناير من عام 1916، إذ قامت قوات مشتركة من البريطانيين والفرنسيين بمحاولة الاستيلاء علي عاصمة العثمانيين إسطنبول ومحاولة تأمين ممر بحري للروس. وفشلت الحملة في تحقيق أي من أهدافها وتكبدت أطرافها خسائر فادحة .(المترجم)

جندي هجانة
سوداني فيما بين
1900 و1920



أفراد سلاح الهجانة يترجلون ويقاتلون على أبعد مسافة ممكنة من جمالهم، حيث كانت الحيوانات تمثل أهدافاً كبيرة وصارت عرضة للخطر. وحارب سلاح الهجانة في غزة وبئر السبع في أكتوبر من عام 1917 ثم مني بخسائر كبيرة عند التقدم إلى القدس.[32] وطبقاً لما قاله هـ. م. باركر H. M. Barker، فإن «بعض أفراد سلاح الهجانة اشتكوا من اضطرارهم لخوض حربين في وقت واحد؛ واحدة مع الأتراك وأخرى مع جمالهم».[33]

تولى أرنولد سبنسر ليز Arnold Spencer Leese مسؤولية العمل بعد شراء عدد كبير من الجمال الردئية. وكان ذا خبرة كبيرة، ذلك أنه سبق له إجراء أبحاث مكثفة على داء المثقبيات (داء النوم) trypanosomiasis في الهند. (كانت أعمال التشريح التي يقوم بها في الجو الحار المفسد تحيط بها حلقة من النسور).

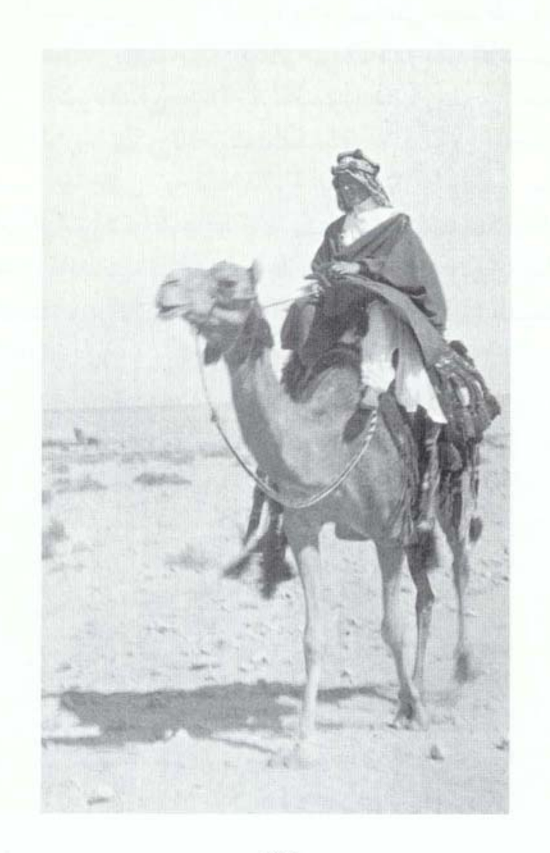


تمثال في لندن إحياء لذكرى جنود سلاح الهجانة الإمبراطوري الذين قتلوا في مصر وسيناء وفلسطين في الحرب العالمية الأولى

وفي كتابه Treatise on the One-Humped Camel (رسالة عن الجمل العربي) قال: أولاً، اهتم برقم واحد، ثم ارتد أقدم ملابسك. وكان يشتري جمالاً من أرض الصومال، وعندما واجهته زمرة أحد التجار أصدر عبر مترجمه تهديداً يكاد يكون صريحاً بالنيابة عن الملك البريطاني: «قل لهم إني أدرب الكثير من الجنود الشباب في الوطن كي يتعوّدوا رؤية الدم».[34] وأفلحت الحيلة. وبعد هجوم غير ناجح على عمّان، أخذ سلاح الهجانة الإمبراطوري في التلاشي، ذلك أن المنطقة التي كان البريطانيون يقاتلون فيها حينذاك لم تعد مناسبة للجمال. وفي النهاية حُلَّ السلاح في عام 1919. وحارب سلاح هجانة بيكانر، وهو قوة نخبة تركب جمالاً كبيرة بشكل استثنائي أرسلت من راجستان، جنباً إلى جنب مع سلاح الهجانة الإمبراطوري. ويقدَّر أنه إبان الحرب العالمية الأولى قتل 22812 جملاً في أثناء الخدمة الفعلية. ويخلد نصب تذكاري، نحته سيسي براون Cecil Brown

ووضع على كورنيش ڤيكتوريا بلندن في عام 1921، ذكرى أعضاء سلاح الهجانة من البشر الذين لقوا حتفهم في الحرب العالمية الأولى.

امتدح ت. إ. لورانس جنود «إحداث الصدمة» في سلاح الهجانة الإمبراطوري بوصفهم «وحدة رائعة من الحراس والأستراليين المنتقين»، لكنه انتقد مبالغتهم في تحميل الجمال وسوء إدارتها من الناحية التكتيكية. ومع أن لورانس أعير في

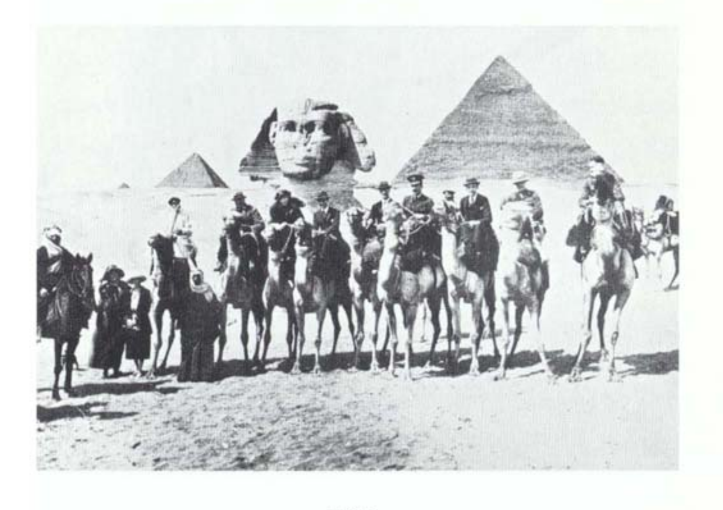


ت. إ. لورانس على جمله في العقبة بالأردن عام 1917، في أثناء «الثورة العربية»

مراحل الحرب المتأخرة جمالاً ورجالاً من سلاح الهجانة، فقد عمل في الغالب مع البدو الأخف والأكثر حركة. وعرض لورانس رأيه في الحرب الصحراوية فيما يلي:

اتساقاً مع ذلك، فإن عملياتنا ... ينبغي أن تكون كالحرب البحرية، في حركتها، وانتشارها، واستقلالها عن القواعد، وعدم وجود اتصالات ... وفرق الهجانة المغيرة، المستقلة بذاتها كالسفن، يمكن أن تجوب تخوم العدو الزراعية بلا خطر، وتتغلب على خطوطه أو تغير عليها، حيثما يبدو ذلك هو الأسهل أو الأنسب أو الأكثر فائدة، مع تراجع أكيد وراءها إلى عنصر الصحراء الذي لا يمكن للأتراك استكشافه.

أضاف لورانس أنه «إذا كان علينا شن الحرب بهذه الطريقة البعيدة، فإنه يتم بلوغ السرعة والمدى الضروريين لتوجيه الضربات من خلال الإدارة عالية الجودة لرجال الصحراء،



ونستون تشرشل وجيرترود بيل وت. إ. لورانس وآخرون على الجمال أمام الأهرام في أثناء مؤتمر القاهرة في عام 1921 الذي خلق إلى حد كبير خريطة الشرق الأوسط الذي نعرفه الآن

والكفاءة العالية عندما يمتطون نياقهم المغيرة ... وقد وجدنا أننا ونحن فوق الجمال نكون مستقلين عن الإمدادات لمدة ستة أسابيع ... وقد منحنا طعام الستة أسابيع قدرة لرحلة ذهاب وإياب طولها ألف ميل».[35] حرص البدو على مساعدة لورانس في تفجير خط سكة حديد الحجاز، ذلك أنه على المدى الطويل سوف يحرمهم الخط من الدخول التي يحصلون عليها من المطالبة بأموال الحماية من قوافل الصحراء ومن توفير الجمال للنقل. لكن على الجانب الآخر من شبه الجزيرة العربية، كان سعود، المقدر له تأسيس مملكة على معظم أراضي بلاد العرب في عشرينيات القرن العشرين، غاضباً من قطع طريق الحج ووقف تجارة الجمال من الخليج إلى سوريا في أثناء الحرب. وفي عام 1921 عُقِد في القاهرة مؤتمر لتحديد السياسة البريطانية المستقبلية في الشرق الأوسط. ونظمت زيارة إلى أبي الهول والأهرام لكبار أعضاء الوفود، وكان من بينهم ونستون تشرشل Winston Churchill وكليمنتين تشرشل Clementine Churchill ، ومخبرة تشرشل الخاصة جيرترود بيل Gertrude Bell، وت. إ. لورانس، وقد التقطت لهم صورة وهم فوق الجمال. إلا أنه بعد ذلك بقليل وقع تشرشل من فوق جمله وأصيبت يده. وركب الجمل مرة أخرى مع لورانس.[36]

واستكمالاً لهذا الوصف الخاص بدور الجمل في الحرب العالمية الأولى، فقد كانت حياة أرنولد ليز المهنية، كما رواها هو في كتابية My Irrelevant Defence، Being Meditations Inside Gaol and Out on Jweish Ritual Murder (دفاعي غير المناسب لمقتضى الحال، كونه تأملات داخل السجن وخارجه في القتل الشعائري اليهودي) الصادر في عام 1938 وOut of Step: Events in the Two Lives of an Anti-

جمل على نصب ألبرت التذكاري 1862–1872 لجلبرت سكوت. يفترض أنه رمز لاتساع الإمبراطورية

Jewish Camel Doctor (مخالفة في الرأي: أحداث في حياتين لطبيب جمال معاد لليهود) الصادر في عام 1951، أغرب ما يكون. ففي أثناء الحرب نفسها أصبح يشك في انتشار الماسونية في الثكنات. لكن كان لديه ما يصفه بأنه «يقظة سياسية» في عام 1926. إذ بدا واضحاً له أن اليهود كانوا وراء كل الشرور في العالم. «أرى أن التاريخ يسجل أن إنجلترا كانت في أحسن حالاتها عندما لم تكن تعرف شيئاً عن التبغ ... ولم يكن بها يهود». وقرأ «بروتوكولات حكماء صهيون» وصدق كل كلمة في هذا الخليط المشوَّش. فاليهود سمٌ في مجرى دم بريطانيا، أشبه بداء المثقبيات (داء النوم) trypanosomiasis. وفي عام 1928 أصدر رسالته القيمة The One–Humped Camel in Health and Disease (الجمل العربي في الصحة والمرض). وفي وقت ما نشر كذلك The Legalised Cruelty of Schechita: The Jewish Method of Cattle Slaughter (قسوة الشيشيتاه:

الطريقة اليهودية في ذبح المواشي(*)) (ليس له تاريخ نشر). وقد تقاعد بوصفه طبيباً بيطرياً وشارك في تأسيس الرابطة الفاشية الإمبراطورية. وكان حتى ذلك الحين يمينيّاً، حتى أنه كان يحتقر أوزوالد موزلي Oswald Mosley و«فاشية الكوشير»(**) الخاصة به. وكان يعتقد أن جرائم جاك السفاح(***) Jack the Ripper وخطف طفل لندبرج Lindbergh هي حالات قتل شعائرية

(*) يُحرّم التلمود تحريماً باتاً أكل الدم و بناء على ذلك، فإن كل ذبيحة تؤكل يجب أن يصفّى دمها جيداً على الأرض : «كل نفس تأكل شيئاً من الدم تقطع تلك النفس من شعبها، لأن نفس كل جسد هي دمه». الذي يقوم بالذبح هو جزار طقسي مدرب يُسمى shochet يقوم بالذبح على الطريقة الشرعية schechita.

طريقة الذبح الشرعية :

- قطع الوريد العنقي بسكين حاد جداً يصفى دمها كلية وعلى الحال في الأرض وذلك برفعها إلى الأعلى من الرجلين الخلفيتين وجعل الرأس إلى أسفل.
- تغسل الذبيحة جيداً بعد نزع الجلد بماء جار ثم توضع في حوض كبير مملوء بالماء وتنقع فيه لمدة نصف ساعة بشرط أن يغطي الماء كل الذبيحة.
- توضع على جسم مسطح به فجوات مائلة تسمح بنزول السوائل من اللحم.
- يملح اللحم من جميع الجهات بملح شرعي وتترك لمدة نصف ساعة ثم يشطف اللحم بالماء مرتين.
- إذا لم ينقع اللحم و لم يملح لمدة 3 أيام بعد الذبح فإنه يعتبر غير شرعي. (المترجم)

(**) الكوشير هو الأكل الحلال عند اليهود. (المترجم)

(***) جاك السفاح أسم أطلق على قاتل ظهر في لندن في عام 1888 حيث قتل ما لا يقل عن 11 امرأة و قطع أجزاء من أجسامهن، وقد اتخذ هذا الاسم من شخص أرسل رسالة لجريدة Central News Agency وادعى أنه هو «جاك السفاح» وأن أمه عاهرة أو ما شابه. وعلى الرغم من وجود العديد من النظريات بهذا الشأن، إلا أن شخصية جاك السفاح لم تعرف بعد وهناك الكثير من الغموض والأساطير التي أحاطت بشخصيته، كما أن هناك عدة نظريات منها أن جاك السفاح هو أحد أفراد الأسرة الحاكمة البريطانية وأنه كان على وشك أن يصبح وليا للعهد وأنه أصيب بمرض جنسي (الزهري) من إحدى العاهرات، فقرر الانتقام وقتل خمسة منهن. وهناك نظرية أخرى ترجعه إلى طبيب ذلك الأمير استناداً إلى أداة الجريمة التي يعتقد أنها مبضع جراحي وأنه كان ماسونياً ارتكب الجرائم استناداً إلى معتقداته. (المترجم)

يهودية. وقد سجن لفترة قصيرة بتهمة السب والقذف. وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية اختفى لتحاشي السجن بموجب القسم 186. لكنهم تمكنوا منه وألقي القبض عليه في عام 1940. وأفرج عنه في عام 1942 لاعتلال صحته. ومع ذلك، أعيد سجنه في عام 1947 لمساعدته أعضاء النخبة المسلحة الألمانية Waffen ss. وأطلق اسمه على أحد طفيليات الجمال Thelagia Leesei. ومن المؤكد أن هذا تذكار مناسب.[37]

اصبح دور الجمل ضعيفاً في الحرب العالمية الثانية. فقد عاد سلاح هجانة بيكانر للخدمة، وكان هذه المرة في محمية عدن. لكن بما أنه كان يتم استيراد علف الوحدة، فقد كان الإبقاء عليها باهظ التكلفة. وربما كان الأمر الأهم هو أن الجيش الألماني استخدم قوافل الجمال لجلب الوقود لدباباته في جنوب روسيا، عندما واصلوا محاولتهم المحكوم عليها بالفشل لاحتلال القوقاز.

الفصل السابع

جمل الحداثة

في بداية القرن الحادي والعشرين تقريباً، قدرت منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (الفاو) أن هناك حوالي 19 مليون جمل في العالم، من بينها 15 مليوناً في إفريقيا و4 ملايين في آسيا.[1] وتتركز الجمال الإفريقية في شمال شرق إفريقيا. ويزيد عدد الجمال العربية بمقدار خمسة أضعاف على الجمال ذات السنامين. والجمال ذات السنامين التي كانت في يوم من الأيام أكثر انتشاراً موجودة الآن بشكل أساسي في الصين ومنغوليا، وإن كان بعضها في أفغانستان وأجزاء من إيران والهند.

الشـــرق الأوســـط

على الرغم من وجود معظم الجمال العربية الآن في شرق إفريقيا، فقد أصبح الجمل العربي أحد رموز الشرق الأوسط (تماماً كما يعد الكنغر رمز أستراليا والطاحونة رمز هولندا). والمفارقة هي أن معظم العرب المحدثين يعتبرون الجمل رمز التخلف، وتحاول معظم الحكومات العربية، وليس كلها، توطين البدو الذين يربون الجمال. كما هدد قدوم السيارة والضغوط الاقتصادية الأخرى أسلوب الحياة البدوي في العقود الأخيرة. فقد ظهرت السيارات في الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الأولى، في أوائل ستينيات القرن العشرين بدأت الشاحنات تشيع في سوريا ولبنان. وقد عانى مربو الجمال السوريون في ثلاثينيات القرن العشرين من التحول المصري عن شراء الجمال السورية لمصلحة شراء الجمال

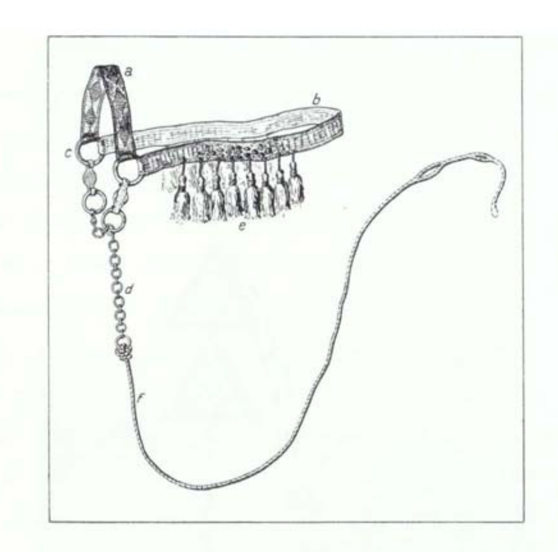
السودانية التي كانت أرخص ثمناً.

أثّر القحط الذي استمر من عام 1958 إلى عام 1962 على الشرق الأوسط بكامله. وحتى قبل القحط، تفشي الإفراط في الرعي في الصحراء السورية. وقد استمر القحط، طبقاً لحسابات السعوديين، من عام 1656 إلى عام 1972. فانتقل الكثيرون من رجال القبائل إلى العمل في مجال النفط والجيش. ويعني أثر القحط، وكذلك التوسع في الزراعة المستقرة، أن رجال القبائل أصبحوا أكثر اعتماداً على الآبار الدائمة، في حين تتبعت القطعان فيما مضى الأمطار. لكن الاعتماد على مصدر الماء الثابت غالباً ما يؤدي إلى الرعي المفرط في المناطق المجاورة. ويمكن لتربية الجمال البطيئة، بالإضافة إلى معدل النفوق المرتفع بين الحوران، أن تهبط بالقطعان إلى ما دون

رجال من الجيش العربي يستعرضون عند تتويج الملك حسين عاهل الأردن في عام 1953



خطام جمل من كتاب ألويس موزل «أخلاق بدو الرولة وعاداتهم» الصادر في عام 1828



مستوى الكفاف.

أدى اجتماع القحط المتكرر وانتشار وسائط النقل الحديثة إلى كارثة بالنسبة لأسلوب الحياة التقليدي الخاصة بقبيلة الرولة في الصحراء السورية. فقد كانت الأسرة تعيش بشكل مريح إلى حد ما على قطيع من خمسة عشر إلى عشرين جملاً. وطالما نقلت الرولة السلع عبر الصحراء. لكن مجيء النقل ذي المحركات هبط بها إلى اقتصاد الكفاف. وفي أثناء القحط الكبير، فقدوا حوالي أربعة أخماس قطيعهم. ولم يحدث أن نفقت معظم الجمال فحسب، بل إن ما بقي منها كان يعطي حليباً أقل. وكشأن معظم البدو الرُّحَّل مربي الجمال، كانوا يتنقلون بحثاً عن أماكن في الصحراء سقطت بها أمطار مؤخراً. غير أن تربية قطعان الجمال في سوريا تفتقر إلى الاستقرار بشكل خطير، إذ يمكن أن تصبح مواسم الشتاء قاسية ويزداد معدل النفوق بين الحوران التي تولد في ذلك الحين. وسواء أكان هناك جفاف أم لا، تظل تربية الأغنام

زينة جمل منسوجة من الأردن تعود إلى السبعينيات





علامتا طريق في دبي، إحداهما تدل على وجود مرتفع والأخرى على وجود جمال

أكثر أماناً بسبب معدل تربيتها الأسرع. ولحم الضأن يحقق سعراً أفضل من لحم الجمل. كما أنه يمكن نقل الأغنام في شاحنات. ويمكن للراعي الواحد الاهتمام بأربعمائة إلى خمسمائة رأس، إلا أن رعي الجمال يتطلب جهداً شاقاً، حيث يحتاج رعي أربعين أو خمسين جملاً يحتاج إلى رجلين وربما إلى ثلاثة رجال للاهتمام بها (وسقي الجمال كثيف العمالة بشكل كبير). وعلى الرغم من الضغوط الاقتصادية والاجتماعية، يتردد رجال القبائل العربية بعض الشيء في التخلي عن تربية الجمال، لأن هذه الحيوانات محبوبة وتمنح الاستقلال السياسي. وعلاوة على ذلك، فإنه طبقاً

للتقاليد يمنح امتلاك الجمال الهيبة والاحترام.[2]

في لبنان، شاعت مشكلات تتعلق بالجمال الشاردة في البساتين التي كانت تنتشر في المنطقة. فللجمال ميل واضح إلى الشرود في أثناء الرعي وهذا يجعلها أكثر تعدياً من الأغنام والماعز. وأضف إلى ذلك أن الطرق الممهدة الجديدة مثلت، بالنسبة للجمال، ممشى يفتقر إلى الأمان. وقد أخرجت الشاحنات قبيلتي الفضل والحسانة على الحدود السورية اللبنانية من هذا العمل في بداية ستينيات القرن العشرين. وباع الرعاة جمالهم واختفوا عملياً من وادي البقاع اللبناني. وذهب الكثير من الرجال للعمل في مصانع سكر البنجر الجديدة. واختفت معهم الطقوس المجهدة، ذات الطابع الاجتماعي، الخاصة بطي الخيام وفردها. واتسعت أوقات الفراغ لدى النساء، لكنهن افتقدن تضامن العمل الجماعي والثرثرة. كما أدى نقص وبر الجمال إلى التخلي عن صنع السجاد.[3]

كانت غارات الجمال حتى العصور الحديثة جزءاً من أسلوب حياة البدو المربين للجمال في شبه جزيرة العرب. ويوضح ذلك أحد أقوال قبيلة شمَّر، وهو «الغارات زراعتنا». وفي بحث مهم بعنوان Camel Raiding of the North Arabian Bedouins: A Mechanism of Ecological Adaption (إغارة الجمال عند بدو شمال بلاد العرب: آلية التكيف البيئي)، تقول الأنثروبولوجية لويز إ. سويت Louise E. Sweet كان لإغارة الجمال أثر حميد خاص في توزيع الجمال وإعادة توزيعها في أنحاء معظم شبه الجزيرة. إذ كانت الغارات الناجحة تعوِّض فقدان الجمال نتيجة القحط أو فقر المرعى أو الأمراض. كما كانت الإغارة الناجحة مصدراً مهمّاً للهيبة والاحترام.[4]

علاوة على ذلك، كانت الغارات تحكمها الاتفاقيات. إذ كانت الإغارة مقصورة على القبائل العريقة. ولم يقتصر الأمر على

عدم تعرض النساء والأطفال للأذى، بل يكن من الشرف، أن تنهب كل جمال القبيلة. كما أنه لم يكن يُنظَر إلى إغارة الجمال على أنها سرقة، كما لوحظ في أماكن أخرى. لكن المملكة العربية السعودية حظرت الغارات فيما بين القبائل في عام 1932، وكان لحيازة البدو للبنادق أثر في جعل تلك الغارات أكثر قتلاً وأقل فروسية.

تكيفت قبيلة المُرَّة، وهي أكثر قبائل المملكة العربية السعودية بداوة، مع الحداثة بسعادة.وهم ليسوا قوماً بدائيين على نحو يمكن معه حفظهم فيما يشبه حديقة حيوان آدمية. وقد وجد رجالها راحة في السفر إلى مسافات بعيدة بالشاحنة ويمكن حمل الماء على الشاحنات في براميل النفط المستعملة. وفي شبه الجزيرة العربية زادت تربية الجمال العربية التي تتطلب بعض الجهد، وغالباً ما يؤتى بالماء إلى القطعان بشاحنات الصهاريج. لكن كان هناك كذلك تحول من تربية الجمال ذات التوجه الإعاشي إلى تربية الأغنام والماعز ذات التوجه السوقي. ويجعل التحسن في وسائل الري التربية التي لا تقوم على الترحال أسهل، وتعني التربية السهلة أن يكون لدى النساء وقت أكثر للنسج، بدلاً من نصب الخيام وفكها.[5]

بصورة عامة، لم تفلح محاولات تشجيع تربية الجمال من أجل لحومها وحليبها. فقد سعت منظمة الزراعة والأغذية إلى تشجيع حليب النوق بوصفه مصدر دخل لدول الخليج. وفي المملكة العربية السعودية، يعد لحم الجمل طعام فقراء الحضر، ولحم الضأن هو اللحم المفضل. ومعظم لحم الجمل المعروض قاس، لأنه لجمال كبيرة في السن جرى ذبحها. وفي عام 1978 حصل القصر الملكي في الرياض على مصنع لحلب الجمال آلياً. وهناك على وجه التقريب 600 ألف جمل في المملكة العربية السعودية الآن.

سـباق الهجن

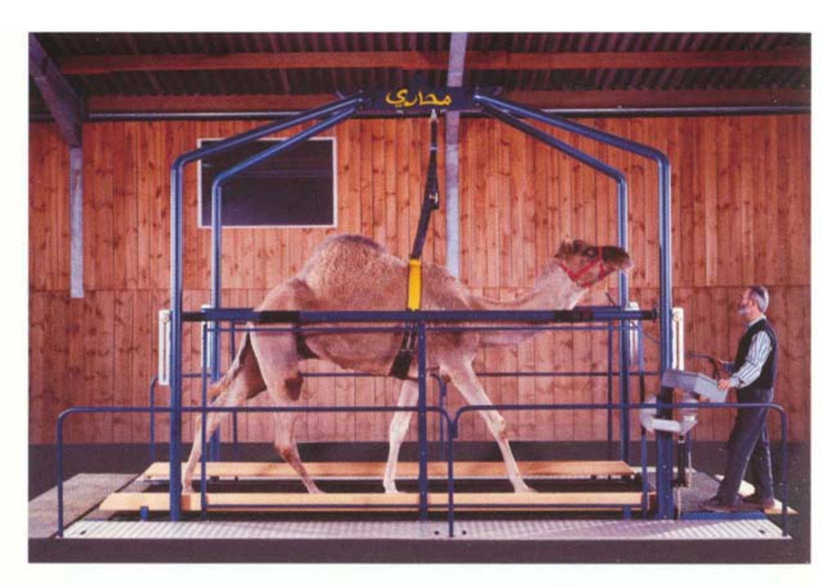
في شبه الجزيرة العربية يحتفظ العرب الأثرياء بقطعان ذات سمعة طيبة لإنجاب هجن السباق ولتكون تذكاراً لأسلوب الحياة التقليدية في المنطقة. والآن تحل تربية الجمال من أجل الرياضة والسياحة محل تربية البدو الجمال من أجل الإعاشة. وعلى الرغم من تقديم سباق الهجن باعتباره تراثاً عربياً، فهو تراث مخترَع؛ ذلك أن الملك فهد عاهل المملكة العربية السعودية الراحل بدأ تلك السباقات في عام 1975.[6] وفي المملكة العربية السعودية، يُقام سباق الملك في الربيع في مضمار سباق الجنادرية بالقرب من مطار الرياض. وجرى توسيع لقاء شهر فبراير من أجل سباق الهجن في الجنادرية ليصبح مهرجاناً ثقافياً يستمر أسبوعين. وهناك حوالي خمسة عشر سباق هجن في الإمارات العربية المتحدة. وقد أنشأ الشيخ محمد بن راشد المكتوم (كان وقتها ولي عهد دبي، وهو الآن رئيس وزراء الإمارات العربية المتحدة) مضمار ند الشبا لسباق الهجن في دبي. ومؤخراً افتُتح مضمار ثان لسباق الهجن في الليسيلي على الطريق إلى العين. وفي العين، الواقعة على الحدود مع عُمان، أكبر سوق للجمال في الإمارات العربية المتحدة. كما أن بها مضمار سباق، لكن الجمال التي يتم التعامل فيها في السوق الذي يستمر طوال العام تُربى من أجل لحومها وحليبها. والعين (مثلها مثل بيكانر بالهند) تصنع آيسكريم حليب الجمال وتسوِّقه.

وحسب تقديرات عام 1992، هناك حوالي 14 ألفاً من هجن السباق و40 ألفاً من جمال التربية في الإمارات العربية المتحدة. ويبدأ موسم السباق الرئيسي في الإمارات في نهاية أغسطس ويمتد إلى منتصف أبريل، لكن هناك سباقات طوال العام. والهجن القيِّمة يجري إطعامها حليب البقر وعسل النحل. وفي نهاية

الموسم يكون طعامها البرسيم الحجازي والشعير والتمر. ويدرب مالكو الهجن الأثرياء هجنهم على سيور المشي الكهربائية وفي حمامات السباحة. (يسمح السير الكهربائي للجمل بالتدريب في الجو السيئ. وهو يسمح بمعايرة بروتوكولات التدريب، ويسمح بقياس نبض الجمل، وهلم جرا. ويقال إن الجمل يستمتع به). وفي الإمارات، تقتصر سباقات الصباح على الشيوخ والبدو، أما سباقات فترة بعد الظهر فتقتصر على البدو وحدهم. وبالإضافة إلى ذلك، غالباً ما تُقام السباقات احتفالاً بالزواج.

يمكن أن يصل طول المضمار في الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية إلى عشرة كيلومترات. وتكون منصة النظارة عند بداية مضمار السباق، الذي هو كذلك نهايته. وتُشاهَد معظم السباقات على شاشات الدوائر التليفزيونية المغلقة. ومن الصعب تنظيم الهجن عند خط البداية. ويمكن لأسرعها أن يقطع مسافة العشرة كيلومترات في 17،5 أو 18 دقيقة. وعادة ما يكون





سير كهربائي لجمل مهاري من صنع شركة جرابر Graber AG في سويسرا

هناك نحو خمسين جملاً في السباق. وبينما يكون من المعتاد أن تبدأ الهجن بالعدو السريع قبل أن تستقر على الخبب، تستطيع أفضل الهجن إكمال السباق كله عدواً. وغالباً ما تكون الإناث هي التي تشارك في السباقات. ويُستخدم الخطام المفرد والضرب بالعصا على الجانب والرقبة لتوجيه هجن السباق. ويتبع المدربون الهجن في شاحنات ويتصلون براكبيها بواسطة جهاز لاسلكي. والرهان محظور، لكن هناك جوائز مجزية. إذ يمكن أن تزيد الجائزة الكبرى على المليون دولار وجمل السباق الفائز يمكن أن يتعدى ثمنه المليون دولار.

في دول عربية كثيرة، حُظِرَ تصوير السباقات. وقد أرجعوا ذلك إلى الحرج بشأن الاستخدام المشين لراكبي الجمال الأطفال. فقد كان راكبو الهجن الأطفال يُستَخدَمون في عُمان والبحرين والكويت وقطر واليمن السودان والمملكة العربية السعودية.

وكان الأطفال الصغار يُخطَفون أو يُشترون من آبائهم في باكستان والهند وبنجلادش وأصبحت الأوردو لغة سباق الهجن. وقدَّر تقرير المنظمة السويدية لرعاية الأطفال أن 15 ألف طفل من راكبي الهجن اختُطِفوا أو اشتُرِوا من منطقة البنجاب وحدها. وأصبح أطفال في الثالثة من عمرهم راكبي هجن. وكان راكبو الهجن يُربَطون في السروج المصنوعة من البطاطين بواسطة سيور الڤيلكرو(*)، لكنهم تخلوا عن استخدام الڤيلكرو بعد أن أدى وقوع الهجن إلى وفاة راكبيها الأطفال، ولذلك فهم الآن يربطون أرجلهم بالحبال. ومع ذلك، كانت لا تزال هناك إصابات خطيرة تحدث لهم. من الناحية المثالية، ينبغي أن يكون وزن الراكب 25 كيلوجراماً، ولذلك كان الأولاد يُجوَّعون ليظل وزنهم خفيفاً. وبينما كانت الهجن تحصل على طعام عالي السعرات، كان الراكبون يُعْطَون طعاماً منخفض السعرات. وبالإضافة إلى السباق، كان على الأطفال رعاية الهجن وتنظيف الروث. وكان ذلك في واقع الأمر عبودية أطفال.(7)

في عام 2002 أصدرت باكستان تشريعاً ضد تهريب الأطفال وجرى إنقاذ بضعة أطفال من أصول باكستانية وأُعيدوا إلى لاهور لإعادة تأهيلهم.

وفي يوليو من عام 2005، وتحت ضغط من اليونيسيف، وافقت الإمارات العربية المتحدة على حظر استخدام الأولاد الصغار. وطبقاً للمرسوم، لابد أن يكون راكبو الهجن في الخامسة عشرة أو أكبر من ذلك وألا يقل وزنهم عن 45 كيلوجراماً. وعلى الرغم من أنه لايزال هناك راكبو هجن صغار، فلم يعد تصوير سباقات

(*) الفيلكرو Velcro هو المثبت الصناعي الشهير الذي يستخدم بكثرة في حياتنا اليومية ، حيث يدخل في صناعة الملابس والأحذية والحقائب وغيرها الكثير ، ويعود اختراعه إلى المهندس السويسري جورج دي مسترال. (المترجم)

الهجن ممنوعاً، وفي الإمارات وقطر والكويت يُستعاض في الغالب عن الراكبين البشر بالروبوتات. ففي عام 2005 صنعت شركة الروبوتات السويسرية كيه تيم K–Team الراكب الروبوت «كامل» الذي يجري تشغيله بالريموت كونترول، وتمت تجربته لأول مرة في قطر. وهو عبارة عن صندوق على جانبه ذراع يمسك بسوط دوَّار. وعادة ما يُلَّف الروبوت، الذي يبلغ ارتفاعه نصف متر ويزن كيلو جرامين ونصف، بألوان صاحب الجمل ويُشغَّل من شاشة كمبيوتر في السيارة التي تسرع بجانب الجمل على المضمار. ويقول الشيخ عبد الله بن سعود المسؤول القطري عن مشروع روبوت الهجن: «لا يمكننا وقف هذه السباقات. فهي جزء من تاريخنا وتراثنا، ولذلك حاولنا العثور على بدائل». ومع ذلك هناك شك كبير فيما إذا كان هناك قدر كبير من تاريخ سباق الهجن في الخليج. بل يبدو أنه تقليد مختَرَع وشيء جرى استحضاره لربط دول الخليج بالغة الثراء والمتقدمة تكنولوجيًّا



روبوت سباق هجن في مستراد دبي

بالماضي الرومانسي غير الحقيقي إلى حد ما.[8]

كان للاهتمام المتزايد بسباق الهجن ورعايته السخية من جانب الأمراء في شبه الجزيرة آثار ثانوية غير مقصودة في رعاية تكثيف البحث العلمي ـ كما يُرَى في إصدار «وقائع المؤتمر الدولي الأول للجمال» (1992) الذي يضم أبحاثاً عن أمور مثل أمراض الجمال والدورة الإنجابية وهجن السباق وإيكولوجيا الجمل البري في أستراليا.[9] ويرعى حاكم دبي الشيخ محمد بن راشد المكتوم مركز إنجاب الجمال، وهو مؤسسة أبحاث علمية هدفها تحسين سلالة هجن السباق. ويجري في هذا المكان استمناء أفضل هجن السباق اصطناعيّاً ثم تُستخرج الأجنة في مرحلة مبكرة وتُزرع في أم بديلة من غير نوق السباق. ويسمح هذا للأم الحقيقية بمواصلة السباق بدلاً من التقاعد لمدة ثلاثة عشر شهراً. وفي دبي مستشفى للجمال فيه أحواض للعلاج بالماء وأطباء بيطريون خبراء.

تركيـــا

تقلصت بداوة الجمال في تركيا خلال القرن العشرين. ويأسف كتاب عرفان أورجا الجميل والمؤثر «القوافل تسير» الصادر في عام 1958، بالإضافة إلى أمور أخرى، على اختفاء حياة اليوروك قاطني الجبال:

لابد لي من الاعتراف بأن قوافل الجمال حركت مشاعري ... ذلك أنه ليس هناك تركي فقد غرائزه البدوية. إذ تشير إلى البقاء الرومانسي الأخير في العالم ذي الصبغة التجارية من الضجيج ودخان البنزين. صحيح أن الجمال بصورة عامة حيوانات قبيحة بجلود ذات لون أشهب داكن وأسنان صفراء. وأظن



جملان يتعاركان على ورقة شجر من ألبوم مغولي يعود إلى القرن الثامن عشر

أن رموشها غير المعقولة هي التي منحتها تلك السمة المؤثرة في العواطف. فقد كانت تتألم وتتأوه وتسحب مشافرها المطاطية في غضب لا طائل من ورائه، إلا أنها عندما كانت ترفع رؤوسها الفخورة وتحملق في المرء بحزن، كانت الرموش الطفولية ونظرة الحزن التي في عيونها تجرحه على الفور. وقال حكمت بك إن هذا هو ضوء القمر. فهي لا تعرف الحزن ولا الفرح. ومع ذلك فقد تشبثت باعتقادي، وعندما أراني أحد الرجال جملاً صغيراً وأمسكت وجهه الناعم في يدي، اعتصرت قلبي نظرة صبر في عينيه المخمليتين.(10)

أمضى أورجا ثلاث سنوات مع اليوروك وأذهله استقلال

القبيلة التام ولامبالاتها بما يجري في سائر أنحاء تركيا. لقد كانوا أحراراً بحق.

لكن هذه الأيام، حتى اليوروك ينتقلون من الجمال إلى الشاحنات. وتكمن أهمية الجمل الاقتصادية في المجالين المتداخلين الخاصين بمصارعة الجمال والسياحة. فمصارعة الجمال شائعة بشكل خاص في منطقة البحيرة الهلالية حيث يلتقي البحر المتوسط وبحر إيجة. وهناك مهرجان كبير لمصارعة الجمال في مدينة سلجوق بتركيا سنويّاً في نهاية الأسبوع الثالث من شهر يناير. وفي مكان آخر من غرب تركيا، تُعقد دورات مصارعة الجمال في تواريخ مختلفة، لكنها باستمرار في شهور الشتاء، ذلك أن هذا هو ذروة موسم الشبق. وتُربَّى ذكور الجمال وتُغذَّى بشكل خاص من أجل المصارعة. وتسمى جمال المصارعة tülus - أي أنها نتيجة تهجين الجمال ذات السنامين والجمال العربية. وهذه الجمال أكبر حجماً وأثقل وزناً من أي من أبويها. وفي بداية المسابقة تقدَّم أنثى شبقة لحث الذكرين قبل سحبها بسرعة إلى مكان بعيد. وهناك أربعة أساليب هي «أياك» و«باسالتي» و«أورتا» و«باس». ويحب مديرو القتال الجمع بين الجمال بتكنيكات قتال مختلفة. وتستخدم الجمال رقابها وتتناكب. وهي تناطح وتميل على بعضها، فيما تعتقد أنه معركة من أجل السيادة الجنسية. وغالباً ما تكون المعركة مجرد مسألة مناكبة فاترة، لكن في بعض الأحيان يستخدم أحدهما ساقيه الخلفيتين في إيقاع خصمه. وتكمم أفواه الجملين قبل المباراة، وإلا فقد يقضم كل منهما صفن الآخر. لكن مع ذلك يتم إخراج الكثير من اللعاب. وعادة ما تستمر الجولات من عشر دقائق إلى خمس عشرة دقيقة وكثيراً ما تنتهي بالتعادل بسبب مخاوف حدوث إصابات لجمال القتال غالية الثمن. ويسحب

الأورجانجي، أو رجال الحبال، الجملين بعيداً عن بعضهما عندما تنتهي الجولة. وتُزيَّن جمال القتال كالعرائس ويُطاف بها في موكب في الشوارع في اليوم السابق للقتال. ويقدَّر عدد جمال القتال في تركيا بـ1200 جمل. وفي الوقت الحالي، اتخذت هذه الرياضة صبغة تجارية وهناك الكثير من المراهنات، لكن من الواضح أن الرياضة تتدهور، لأن الاحتفاظ بجمل للقتال فحسب أمر باهظ التكلفة.(11) وتنظَّم معارك الجمال في أفغانستان كذلك.

إفريقيـــا

يوجد 60 بالمائة من عدد الجمال في العالم في شرق إفريقيا. وتحرص منظمة الأغذية والزراعة وغيرها من الجهات على ضرورة تشجيع تربية الجمال ورعيها في هذه المنطقة، إذ يمكن أن تغدو الجمال مصدراً مهمّاً للحليب، الذي تحتاج إليه أعداد السكان المتزايدة في المدن. وحتى بداية فترات القحط المتكررة كانت قطعان الجمال تتزايد في الصومال.

حتى قبل أن تبدأ حرب دارفور، تناقصت أعداد القطعان السودانية بسبب القحط المتكرر.(12) وفي شمال دارفور، الجمال يرعاها العرب، لكن في الجنوب الماشية هي المفضلة ويمارس غير العرب الزراعة المستقرة. وقد عانى الأبَّالة الرُّحَّل رعاة الجمال في شمال دارفور من إغلاق طرق هجرتهم التقليدية بواسطة القبائل المستقرة ومن التنافس المتزايد على مصادر المياه. وحرب دارفور، التي بدأت في عام 2003، هي في مجملها حرب تتعلق بالتنافس على الموارد المتدنية. وقد انضم العرب من أماكن أخرى في السودان إلى العرب الرُّحَّل في الهجوم على المزارعين الأفارقة المستقرين وحظي ذلك بدعم

خفي من الحكومة السودانية. وأطلقت الميليشيات التي تركب الجمال النار على المستوطنات القروية. وانضم بعض الأبّالة إلى الجنجويد، وهي مجموعة يعني اسمها «الخارجين على القانون المسلحين الذين يمتطون الخيل». ولم يسر القتال في اتجاه واحد وغالباً ما كانت القرى الجنوبية تنجح في الاستيلاء على الجمال. وكان هناك اعتماد متبادل بين القبائل المستقرة والقبائل الرُّحَّل، لكن ذلك انقطع وكان من الطبيعي أن تغلق الحرب طرق الهجرة التقليدية. ولا يستقر الرُّحَّل بشكل جيد، أو بالأحرى لا يستقرون أبداً، مما يحول دون حصولهم على المساعدة من وكالات العون؛ ذلك أنهم على عكس المزارعين لن يستقروا في مخيمات النازحين.[13]

رعي الجمال في كينيا ذو توجه إعاشي. فهنا، مثلما هو الحال في أماكن أخرى في إفريقيا، يقتل القحط المديد الجمال. وهناك خدمة مكتبات الجمال المتنقلة من أجل الرُّحَّل في شمال شرق كينيا.[14] وعادة يصل الجمل حاملا حوالي 400 كتاب. ويميل الرعاة إلى شرب حليب الجمال في حالة مخمرة، ذلك أن تلك هي أفضل طريقة لحفظه. وفي جنوب كينيا، لرحلات السفاري بالجمال دور مهم في صناعة السياحة.

موريتانيا أحد البلدان التي بذلت جهوداً حازمة لتوطين الرُّحَّل فيها، ذلك أنها تعتبر رعاة الجمال الرُّحَّل تهديداً للاستقرار الاجتماعي. لكن هناك فرصاً قليلة لمن يستقرون في مدن الصفيح المتزايدة على نحو سريع. وعلاوة على ذلك، فإن الموارد المحتملة للصحراء، التي هي مأوى مئات الآلاف من الرُّحَّل، تضيع.[15] وكانت موريتانيا في المقام الأول بلداً لتربية الماشية، لكن الجفاف قضى على قطعان كثيرة. وعلى الرغم من أن الجمال تأثرت هي الأخرى بالجفاف، فقد نقصت أعدادها

على نحو أقل، وفي بعض أنحاء البلاد حلت تربية الجمال محل تربية الماشية. وعلى الرغم من ذلك، فإن قطعان الجمال آخذة في الانكماش، وكذلك المسافات التي يغطيها البدو الرُّحَّل. وكانت العادة أن تتحرك القطعان على محور شمالي جنوبي وراء الأمطار الموسمية. وقد أُقيمت صناعات منتجات الألبان من حليب النوق في العاصمة نواكشوط التي تقوم ببسترة الحليب الذي يجلبه البدو الرُّحَّل. وهناك تجارب على fromage de chameau (جبن الجمال) وتساعد منظمة الزراعة والأغذية هذا المشروع. ومع ذلك فقد ثبت استحالة تصدير هذا الجبن إلى أوروبا، ذلك أن الاتحاد الأوروبي لا يعترف بالجمل حيواناً منتجاً للحليب.[16]

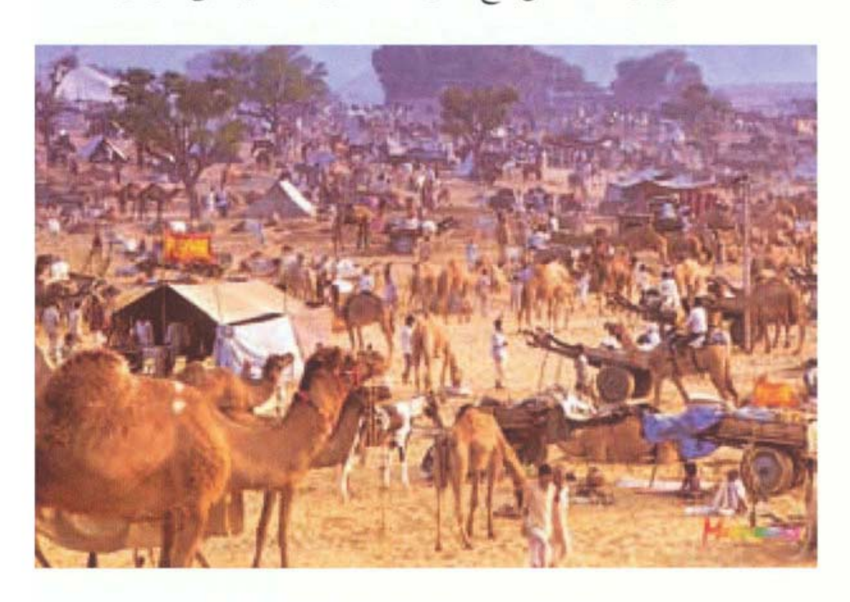
الهنـــد

يُستخدَم الجمل على نطاق واسع في الهند لجر العربات، وكذلك لحمل البالات. وفي الهند ما بين 300 و450 ألف جمل على وجه التقريب. وهي واضحة بشكل جلي في ولاية راجستان، حيث يوجد نوعان رئيسيان من الجمال - جيسلميري صغير الحجم، وهو في المقام الأول جمل ركوب، وبيكانيري الأثقل وزناً، ويُستخدَم في الغالب لحمل الأحمال الثقيلة. وجمال راجستان غالباً ما تُزيَّن بعقد يُعرَف بـ«جورباند». ومعرض الجمال الكبير، وهو سوق زراعي جاد ومزار سياحي، حدث سنوي في بوشكار في شهر نوفمبر. فبوشكار مركز للحج ويتزامن معرض الجمال مع مهرجان البدر في كارڤيك. كما أن بوشكار سوق من أكبر أسواق الماشية في العالم، حيث يتاجر فيها بالآلاف من الجمال وهناك أحداث أخرى مثل مسابقة تحميل الجمال لرؤية كم عدد الركاب الذين يمكنهم التكوُّم على جمل

محمَّل.[17] ومنذ سنوات يتدنى استخدام الجمل للنقل والزراعة، لكن يبدو أن هذا الاتجاه ينعكس مع ارتفاع أسعار الوقود الذي أدى بالكثير من سكان راجستان إلى العودة لاستخدام الجمل، مما أدى إلى رفع سعره. ويمكن أن يسهم التسويق الصحيح لحليب الجمال كذلك في زيادة أعدادها.

قدمت بيكانر في راجستان فيلق الهجانة الشهير الذي حارب في الشرق الأوسط في الحرب العالمية الأولى. ومازال قائماً باعتباره قوة محاربة واحتفالية معروفة باسم «كتيبة الرماة الثالثة عشرة»، يستمتع ضباطها ببولو الجمال. وفي شهر يناير من كل عام، هناك مهرجان للجمال في بيكانر تقدَّم فيه جوائز لأفضل الأنواع. وقد أقيمت مزرعة لتربية الجمال هناك في عام 1960. وكان أحد أهدافها تربية جمال ذات رموش أكثر كثافة وطولاً للتعامل مع العواصف الرملية. وأنشئ مركز أبحاث

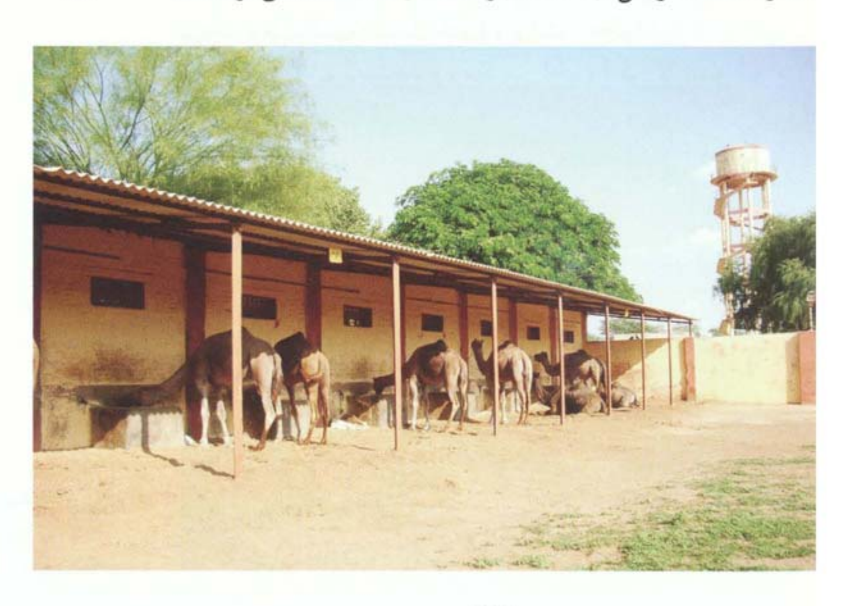
سوق للجمال في بوشكار بالهند



مديرية مشروع الجمال في بيكانر في عام 1984.[18] وتوجد الجمال العربية في راجستان، وتستخدم في معظم أنحاء الهند. ومع ذلك تُرعى الجمال ذات السنامين في صحراء لدخ، ولذلك يدرسٍ مركز الأبحاث النوعين. ويُربَّى قطيع نخبوي يضم 270 جملاً. وآيسكريم الجمال متوافر في محلب الألبان الخاص به (ويوصى بتناوله).

أبناء قبيلة الريكا في راجستان وقبيلة الربري في كوتش هم رعاة الجمال التقليديون في الهند، لكن الكثيرين منهم يتحولون إلى الأغنام.[19] وكما هو الحال في سوريا، يحمل رعي الأغنام قدراً أقل من الهيبة والاحترام، غير أنه أكثر ربحية. ويجري تسوير طرق الهجرة التقليدية أو حمايتها لأغراض عسكرية. وللجفاف أيضاً أثره السلبي على القطعان. وكان انهيار هند الأمراء أحد العوامل، إذ كان المهراجات رعاة قطعان من نوعيات

جمال في مركز الأبحاث الوطني للجمال في بيكانر بالهند



فاخرة. والجمال يمكنها السباحة، وفي كوتش يسبح أبناء قبيلة الربري بجمالهم من جزيرة إلى أخرى. وفي أوتار پرادش يُذبَح آلاف الجمال كل عام ويصدَّر اللحم إلى بنجلادش.

أستراليا

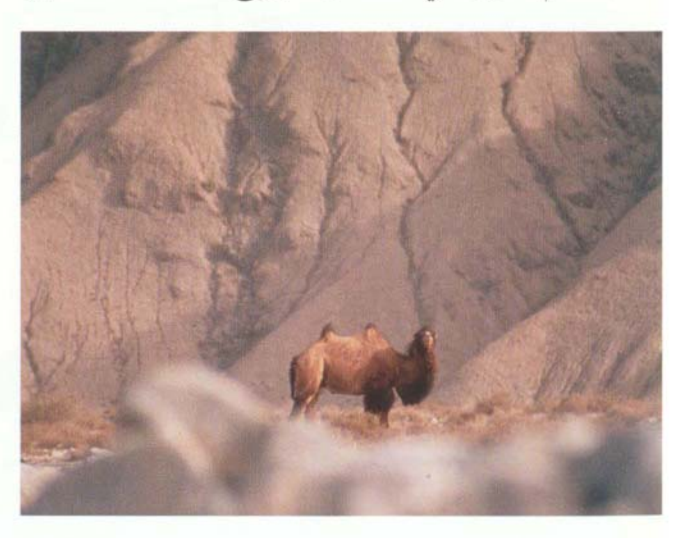
في عشرينيات القرن العشرين، ومع تزايد النقل بالشاحنات في أستراليا، أصبحت قطعان الجمال التي تساوي آلاف الجنيهات فجأة بلا قيمة وانتهى الحال بالكثير منها أن صار بريّاً. وفي عام 1925 وافقت ولاية أستراليا الجنوبية على قانون القضاء على الجمال الذي أجاز للشركة إطلاق النار على أي جمل يتعدى على الأراضي أو بلا قرص تسجيل. وفي عام 1949 وافقت ولاية غرب أستراليا (حيث توجد معظم الجمال البرية) على قانون الحيوانات الضارة الذي أجاز دفع مكافأة لمن يقتلون الجمال البرية. وفي السنوات الأخيرة عزلت حكومة ولاية جنوب أستراليا القطعان باستخدام رماة من الجو، لكن لا يبدو أنه كان للعزل أثر كبير. و تُجَمَّع بعض الجمال الأخرى وتصدَّر إلى جنوب شرق آسيا، حيث تُذبَح من أجل لحومها. وتصل كمية صغيرة من هذه اللحوم إلى المملكة المتحدة، وإن كان معظمها يُباع في المملكة العربية السعودية.

هناك حوالي مليون جمل بري في أستراليا في الوقت الراهن، وتتضاعف أعدادها تقريباً كل ثماني سنوات. ويقدر أن تدعم أستراليا في يوم من الأيام 60 مليون جمل. وقاد الجفاف الذي شهدته أستراليا مؤخرا الجمال إلى اليأس العميق، فأخذت تميل إلى هدم السياجات وغزو المزارع ودخول المنازل وتحطيم أجهزة التكييف والمواسير والحمامات في محاولات للعثور على الماء. وهناك في الصحراء تهلك الآلاف من الجمال عطشاً.[20]

منغوليـا والصين

هناك كذلك الكثير من الجمال ذات السنامين المستأنسة. وهي تُربى لصوفها وحليبها. وفي منغوليا والصين، حيث يجري رعيها، ينقل الرعاة المخيم ثلاث أو أربع مرات في العام بحثاً عن المزيد من المراعي. ويجري رعي حوالي 600 ألف جمل ذي سنامين مستأنس في منطقة صحراء جوبي. لكن الجمال البرية ذات السنامين، وهي الجمال البرية الوحيدة في العالم، مهددة بالانقراض. فالواقع أنها أقرب إلى الانقراض من الباندا. ويعتقد جون هير المؤلف المشارك لكتاب The Lost Camels of Tartary (جمال تتاريا المفقودة)، أنه ربما يكون هناك 650 في الصين و450 في منغوليا. وقد أنشأ مؤسسة حماية الجمال البرية في بريطانيا.[21]

ووضع الجمل البري ذو السنامين محل اهتمام «المميزة تطوريّاً والمعرضة للخطر عالميّاً» EDGE وهي حملة أطلقتها جمعية علم الحيوان في لندن. وقد وُضِع كتاب أنساب دولي

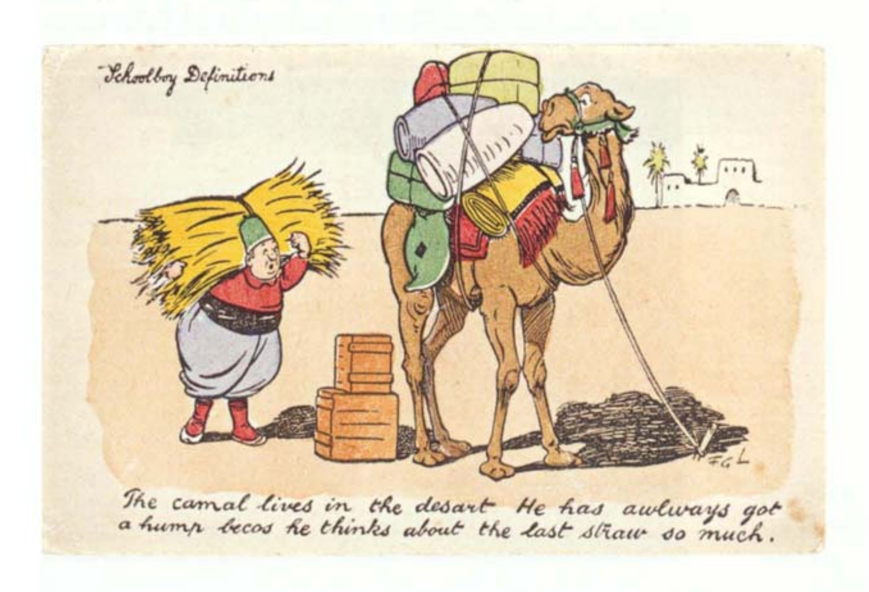


صورة التقطتها جون هير لجمل ذي سنامين بري

للجمال البرية ذات السنامين.

في الصين، كانت منطقة لوپ نور، حيث كانت تتجول الجمال ذات السنامين البرية، موقعاً للتجارب النووية في الفترة من 1955 إلى 1996، وربما كانت في تلك السنوات محمية بشكل أفضل من المفترسين الآدميين. ومنذ ذلك الحين، يذبح عمال مناجم الذهب غير المشروعة في المنطقة مختلف أنواع الحيوانات المهددة بالانقراض للحصول على الطعام. وبالإضافة إلى ذلك، يترك عمال المناجم الكيماويات الخطيرة في أنحاء المنطقة ويسممون مصادر المياه في بعض الأحيان. وتُقتَل بعض الجمال لأنها تنافس المزارعين على المرعى. وكما هو الحال في أي مكان آخر في العالم، هناك جفاف خطير في المنطقة. والجفاف خطير، ليس فقط لأن المراعي المتاحة تتقلص، بل بسبب تزايد احتمال تعرض الجمال للضواري، إذ يقل عدد الأماكن التي يتجمع فيها الماء - في حالة

رسم كاريكاتير لجمل على بطاقة بريدية قديمة



الجمل ذي السنامين البري يأتي الخطر من الذئاب. لكن الجمال ذات السنامين في منطقة لوپ نور ذات المستنقعات الملحية الموسمية في الصين آمنة إلى حد ما من الذئاب، لأن الجمال ذات السنامين وحدها هي التي تشرب الماء المالح هناك. وتلد الجمال ذات السنامين البرية في الشتاء، وهو بالطبع موسم كئيب بشكل استثنائي في منغوليا.

أقيمت المحمية الطبيعية الوطنية للجمال البرية في لوپ نور، التي تمتد لمساحة تزيد على 155 ألف كيلومتر متربع. ويجري كذلك تنفيذ برنامج تربية في الأسر في الصين ومنغوليا. وتقع مؤسسة حماية الجمال البرية WCPF في زاخين أوس بمنغوليا بمنطقة جوبي وتدعمها وزارة الطبيعة والبيئة المنغولية. وبدأت المؤسسة بخمسة عشر جملاً بريّا والآن بها واحد وعشرون. وحُدِّدت منطقة على حافة الصحراء مكاناً يمكن أن يُطلق فيها الجمال البرية في الصحراء. (يوجد حالياً بحديقة حيوان لندن ناقتان بسنامين تسميان نادية ونعومي، وحتى وقت قريب كان يرعاهما أوليڤر ديري Oliver Duprey الذي زار زاخين أوس وانضم إلى أسرة راع منغولي كي يعرف المزيد عن مهارات تربية الجمال). وهناك كذلك برنامج لوضع أجهزة لاسلكي في رقاب الجمال لتتبع تحركاتها. ومع ذلك، فالمشكلة هي ما الذي يمكن عمله بالذكور الزائدة التي ينتجها برنامج التربية في الأسر. إذ كيف يمكن إطلاقها في البرية؟.

المستقبل

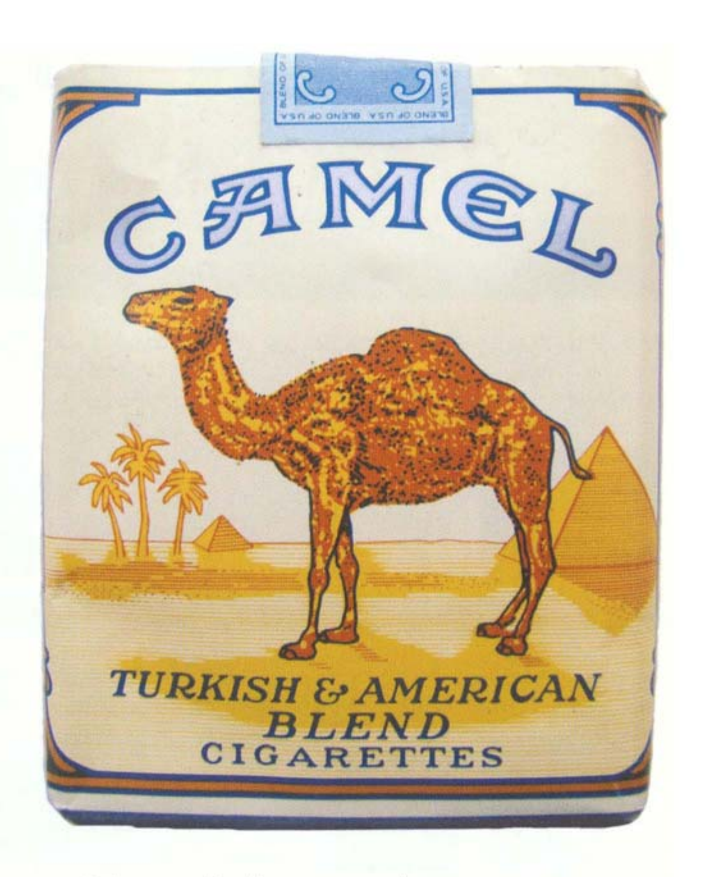
من الصعب إصدار تعميمات بشأن مستقبل الجمل. ففي منغوليا، الجمل البري ذو السنامين مهدد بالانقراض، لكن في أستراليا مازالت أعداد الجمال البرية تزداد بمعدل مخيف. ومع

تزايد ارتفاع حرارة الأرض، ربما تزدهر الجمال. فاستخدام الجمال للحمل في التجارة والحرب انخفض بصورة واضحة، وفي شمال إفريقيا وشرق إفريقيا تُربى الجمال في الغالب من أجل ذبحها، في حين يرعى الأمراء الأثرياء في شبه الجزيرة العربية ثقافة سباق الهجن الجديدة.

لقد زاد حجم الجمال بصورة عامة في أثناء تقدمها عبر آلاف السنين على أخفافها اللينة من سهول أمريكا الشمالية إلى الصحارى مترامية الأطراف والمستنقعات ذات الماء المالح في العصر الحديث، فقد زاد حجم الجمال بصورة عامة. وعلى الرغم من نفوق العملاقة منها في عصور ما قبل التاريخ. وشكل معظمها شراكة مع البشر اتسمت بالتذمر والصخب. وفي العصور التاريخية عانت الجمال تدنياً في في مستوى المهابة والكرامة. وفي البلاد العربية في الجاهلية، تمتعت بمكانة شبه مقدسة وكانت موضوعاً لقدر غير عادي ومتسع من الشعر. وفي القرن التاسع عشر، استهان المستكشفون الغربيون أمثال دوتي وپالجريف وولزلي وكيپلنج، بهذا الحيوان. وكان مواطنو بريطانيا الڤيكتورية وفرنسا الإمبراطورية الثانية شديدي الإعجاب بالحصان ولم يكن لديهم وقت كثير للجمل. وبينما تدنت كرامة الجمل، فقد كان يُعامَل باستمرار معاملة غير حسنة في الروايات. وهو اليوم موضوع الأغنيات الفاسقة والنكات القذرة. وقد رسم فنانون مشهورون، مثل جنتيلي دا فابريانو Gentile da Fabriano وتيپولو Tiepolo وپوسان Poussin، الجمال، إلا أنه الآن على الأرجح موضع سخرية رسامي الكاريكاتير. (ما يسعد هو أن الجمل لا يعي فقدان الكرامة هذا ولا يبالي به).

في العصور الوسطى، كانت الجمال رمزاً لأشياء كثيرة، من بينها المهانة والجشع والشبق العناد. وفي الوقت الراهن، تُستخدَم صورتها

علبة سجائر
CAMEL
الشهيرة



للترويج لماركة سجائر. كما أنها تصور على أنها أيقونة مختزلة للشرق الأوسط العربي، مع أنه ليس كل العرب سعداء بتصويرهم بهذه الصورة، إذ يرى بعضهم أنها توحي بالتخلف الثقافي. وفي مكتبات بيع الكتب، تزدحم حالياً الأرفف المخصصة للتاريخ الطبيعي بكتب عن القطط والكلاب والخيل والنمور والحيتان وليس عن الجمال.

ومن هنا، جاء هذا الكتاب.

الجدول الزمني للجمل

حوالي 40 مليون ق.م

ظهور أول الجمليات في أمريكا الشمالية

حوالي 2500000 ق.م

هجرة الجمليات إلى أمريكا الجنوبية ووصولها إلى آسيا عن طريق جسر بري عبر مضيق بيرنغ

حوالي 500000 ق.م

ظهور حيوان كالزرافة، هو سلف الجمل، في أمريكا الشمالية

حوالي 10000 ق.م

انقراض الجمل في أمريكا الشمالية

حوالي 550

معلقة امرؤ القيس التي تصور رحلته الشهيرة على الجمل

بدءاً من 630

الفتوح العربية في شمال إفريقيا في أعقاب هزيمة الجيشين البيزنطي والساساني

656

موقعة الجمل

1303 – 1305

ظهور الجمال في لوحات الفريسكو بكنيسة سكروفيني في پادوا

ستينيات القرن 19

بدء استيراد أستراليا الجمال على نطاق واسع من شبه القارة الهندية

1913

طرح سجائر الجمل

1916

إنشاء سلاح الهجانة البريطاني في مصر

1942

استخدام الجمال لإمداد الجيش الألماني في القوقاز السوفييتي



حوالي 4000 ق.م

استئناس الجمل العربي لأول مرة في جنوب الجزيرة العربية

حوالي 1000 ق.م

استئناس الجمل ذي السنامين لأول مرة في تركستان

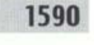
حوالي 210 ق.م

بدء ظهور تماثيل الجمال الخزفية الجنزية الصغيرة في المقابر الصينية

حوالي 150 ق.م

افتتاح طريق الحرير





1590

ظهور الجمل كصورة للجشع في كتاب سبنسر «ملكة الجن»



حوالي 1623

استخدام منتزه القديس جيمس في لندن مرعى لقطيع الجمال الملكي

1821

مشاهدة الجمال لأول مرة في اليابان

خمسينيات القرن 19

استيراد الجيش الأمريكي الجمال على أساس تجريبي

1956

نشر رواية روز ماكولي «أبراج طرابزون» التي يحتل الجمل فيها دوراً رئيسياً

1958 – 1962

القحط في الشرق الأوسط وما أعقب ذلك من انخفاض أعداد قطعان الجمال

2002

إقامة أول مسابقة لجَمال الإبل في أبو ظبي

2005

راكب جمل روبوت تمت تجربته في قطر



المراجـــع

المقدمـــة

1 William Gifford Palgrave, A Year's Journey through Central and Eastern Arabia (1862–63) (London, 1883), p. 195.
2 Cf. Thomas Nagel, 'What Is It Like to Be a Bat?', Philosophical Review, lxxxiii (1974), pp. 435–50.
3 Ludwig Wittgenstein, Philosophical Investigations, trans. G.E.M. Anscombe (Oxford, 1953), p. 223.

الفصل الأول: الفسيولوجيا والسيكولوجيا

1 For comprehensive accounts of the anatomy and biology of the camel, see Hilde Gauthier-Pilters and Anne Innis Dagg, The Camel: Its Evolution, Ecology, Behavior, and Relationship to Man (Chicago, il, 1981); R. T. Wilson, The Camel (London, 1984); Reuven Yagil, The Desert Camel: Comparative Physiological Adaptation (Basle, 1985); Andrew Higgins, The Camel in Health and Disease (Eastbourne, 1986).
2 William Gifford Palgrave, A Year's Journey through Central and Eastern Arabia (1862–63) (London, 1883), pp. 25, 26.
3 Garnet Wolseley, The Soldier's Pocket Book, 4th edn (London, 1882), p. 70.
4 Georg Gerster, Sahara (London, 1960), p. 3.

5 H. M. Barker, Camels and the Outback (London, 1964), p. 175.
6 Robyn Davidson, Tracks (London, 1980), pp. 28–9.
7 Wilfred Thesiger, Arabian Sands (London, 1959), p. 84.
8 A. M. Hassanein Bey, The Lost Oases (London, 1925), pp. 131, 134.
9 John Hare, Shadows Across the Sahara: Travels with Camels from Lake Chad to Tripoli (London, 2003), p. 38.
10 Richard Burton, Personal Narrative of a Pilgrimage to Al-Madinah and Meccah, 2 vols, 1st edn (London, 1855, Memorial edn, London 1893), vol. i, p. 234.
11 Thesiger, Arabian Sands, p. 83.
12 Davidson, Tracks, p. 196.
13 Yagil, The Desert Camel, pp. 45–6.
14 Gerster, Sahara, p. 3.
15 Tom L. Knight, The Camel in Australia (Melbourne, 1969), p. 109.
16 H.R.P. Dickson, The Arab of the Desert (London, 1949), p. 414.
17 Charles Doughty, Arabia Deserta [1888], 3rd edn (London, 1936), vol. ii, p. 290.
18 Alexander Kinglake, Eothen [1844], chap. 17.
19 T. E. Lawrence, The Seven Pillars of Wisdom: The Complete 1922 'Oxford' Text (Fordingbridge, 2004), p. 193. (This is a fuller version of Lawrence's text than that originally made available to the general public and, in the republished form, it has an excellent index).
20 Bertram Thomas, Arabia Felix: Across the Empty Quarter of Arabia (London, 1932) p. 214n.
21 F. Amin, 'The Dromedary of the Sudan', in W. Ross Cockrill, The Camelid, An All-Purpose

Animal: Proceedings of the Khartoum Workshop on Camels, December, 1971, 2 vols (Uppsala, 1984) (twenty minute copulation), vol. i, p. 40.

22 Richard Bulliet, 'Camel', in Encyclopaedia Iranica, ed. Ihsan Yarshater, vol. iv (Costa Mesa, 1991), pp. 731–2.

23 Doughty, Arabia Deserta, vol. i, p. 369.

24 John Hare, The Lost Camels of Tartary: A Quest into Forbidden China (London, 1998); www.wildcamels.com/stud_book.htm.

25 Jibrail S. Jabbur, The Bedouins and the Desert: Aspects of Nomadic Life in The East (New York, 1996), p. 204.

26 Ibn Khaldun, The Muqaddimah: An Introduction to History, trans. Franz Rosenthal, 3 vols (London, 1958), vol. ii, p. 348.

27 Rosita Forbes, The Secret of the Sahara: Kufara (London, 1921) pp. 79–80

28 Hassanein Bey, The Lost Oases (London, 1925), p. 124.

29 On diseases of the camel, see Higgins, The Camel in Health and Disease; Peter McGrath, 'Sudan's Camel Healers', in Dry: Life without Water, ed. Ehsan Masood and Daniel Schaffer (Harvard, ma, 2006), pp. 16–25.

30 Lawrence, Seven Pillars, p. 581.

31 Hare, Shadows, p. 40.

32 Mark Stewart, 'Camel Evolution', East Tennessee Creation Science Association, iii/2 (March/April 2001), p. 1.

الفصل الثاني: أســلاف الجمل

1 On the evolution of mammals generally, see Alfred

S. Romer, The Vertebrate Story (Chicago, il, 1959); Sonia Cole and M. Mastland Howard, Animal Ancestors (London, 1964); Björn Kurtén, The Age of Mammals (London, 1971); Roger Osborne and Michael Benton, The Viking Atlas of Evolution (London, 1996); Christine M. Janis, Kathleen M. Scott and Louis L. Jacobs, eds, Evolution of Tertiary Mammals of North America, 2 vols (Cambridge, 1998); Donald Prothero, After the Dinosaurs: The Age of the Mammals (Bloomington and Indianapolis, in, 2006).

2 The middle Eocene is favoured by J. G. Honey, J. A. Harrison, D. R. Prothero and M. S. Stevens, 'Camelidae' in Evolution of Tertiary Mammals of North America, vol. i, Terrestrial Carnivores, Ungulates, and Ungulate-Like Mammals, ed. Janis et al., p. 439. But Prothero, After the Dinosaurs, pp. 190–91, has the Stenomylus camel appearing in the early Miocene.

3 On the early camels, see Cole and Howard, Animal Ancestors, p. 49; Jessica A. Harrison, Giant Camels from the Cenozoic of North America, Smithsonian Contributions to Palaeobiology, no. 57 (Washington, dc, 1985); Honey et al., 'Camelidae'; Prothero, After the Dinosaurs, pp. 122, 215, 289.

4 P. S. Martin and H. E. Wright, Pleistocene Extinctions: The Search for a Cause, vol. vi of Proceedings of the vii Congress of the International Association for Quaternary Research (New Haven, ct, 1967): Prothero, After the Dinosaurs, pp. 293–5.

5 Jerome Taylor, 'Prehistoric Syrian Giant Evolved Into Modern-Day Camel', Independent, 9 October 2006; www.belfasttelegraph.co.uk/ news/story. jsp?story=709336

1 Gill Riegler, 'Buying Your First Camel', www.cameldairy.com/ buying_your_first_camel.htm.
2 Camel Corps Training Provisional 1913 (London, 1913), pp. 2–3.
3 Justin Marozzi, South from Barbary: Along the Slave Routes of the Libyan Sahara (London, 2001), p. 50.
4 Geoffrey Moorhouse, The Fearful Void (London, 1974), p. 94.
5 Sir Garnet Wolseley, The Soldiers' Pocket Book for Field Service, 4th edn (London, 1882), p. 70.
6 Chingiz Aitamov, The Day Lasts More Than a Hundred Years, trans. F. J. French (Bloomington, in, 1983), p. 34.
7 George Gerster, Sahara (London, 1960), p. 5.
8 Frederick Burnaby, A Ride to Khiva (London, 1876), p. 213.
9 Robyn Davidson, Tracks (London, 1980), pp. 66–7.
10 Bimbashi McPherson, A Life in Egypt, ed. Barry Carman and John McPherson (London, 1983), p. 160.
11 T. E. Lawrence, The Seven Pillars of Wisdom: The Complete 1922 'Oxford' Text (Fordingbridge, 2004), p. 254.
12 Michael Asher, The Last of the Bedu: In Search of the Myth (London, 1996), p. 179.
13 André von Dumreicher, Trackers and Smugglers in the Deserts of Egypt (London, 1931), pp. 83–4.
14 Ibid., p. 110.
15 H.R.P. Dickson, The Arab of the Desert: A Glimpse into Badawin Life in Kuwait and Sa'udi Arabia (London, 1949), pp. 362–3.
16 Donald Powell Cole, Nomads of the Nomads; the l

Murrah Bedouin of the Empty Quarter (Arlington Heights, il, 1975), pp. 54–5.

17 Wilfred Thesiger, Arabian Sands (London, 1959), pp. 65–6.

18 Grenville H. Palmer, 'Sherlock Holmes in Egypt: The Methods

of the Bedouin Trackers', Strand Magazine (August 1913), pp. 235–40. On tracking generally, see Tom Brown, The Science and Art of Tracking (Berkeley, ca, 1999).

19 Geert van Gelder, Of Dishes and Discourse: Classical Arabic Literary Representations of Food (Richmond, Surrey, 2000), p. 13.

20 Ibid., pp. 13–14.

21 The Times, 19 November 2007, p. 38.

22 H. M. Barker, Camels and the Outback (London, 1964), p. 135; Dickson, The Arab of the Desert, p. 416.

23 Z. Guinaudeau, Traditional Moroccan Cooking: Recipes from Fez (London, 1994), p. 115.

24 T. Coraghessan Boyle, Water Music (London, 1993), p. 54; lit.konundrum.com/features/boyletc_intv.htm.

25 Oliver Burkeman, 'Britain's Growing Taste for the Exotic', Guardian, 21 January 2006, p. 7.

26 Daily Mail, 4 February 2006, p. 7.

27 Lawrence, Seven Pillars, p. 299.

28 Ibn Khaldun, Muqaddimah, vol. i, pp. 418–19.

الفصل الرابع: الجمال في عصور العالم الإسلامي الوسطى

1 On camels in the pre-modern Islamic world, see Richard W. Bulliet, The Camel and the Wheel (Cambridge, ma, 1975); Charles Pellat, 'Ibil', Encyclopaedia of Islam, 2nd edn, vol. iii, p. 665;

Richard Bulliet, 'Camel', in Encylopaedia Iranica, ed. Ehsan Yarshater (London, 1985–), vol. iv, pp. 730–33.

2 Al-Damiri, Hayat al-Hayawan (a Zoological Lexicon), trans. A.S.G. Jaykar (London, 1906), p. 32.

3 Jahiz, Le Cadi et la Mouche: anthologie du livre des animaux, ed. and trans. Lakhdar Souami (Paris, 1988), p. 356; cf. Annemarie Schimmel, The Triumphal Sun: A Study of the Works of Jalaloddin Rumi (London and the Hague, 1978), pp. 122–3.

4 William Robertson Smith, Lectures on the Religion of the Semites, 2nd edn (London, 1894), p. 338.

5 Mircea Eliade, Occultism, Witchcraft and Cultural Fashions: Essays in Comparative Religions (Chicago, il, 1976), pp. 6–8, cf. Joseph Henninger, 'Ist der sogennante Nilus-Bericht eine brauchbare religionsgeschichtliche Quelle?', Anthropos, l (1955), pp. 81–148.

6 Edward William Lane, An Arabic-English Lexicon (London, 1863–93, repr. in 2 vols, Cambridge, 1984), vol. ii, pp. 2107–8.

7 R. A. Nicholson, A Literary History of the Arabs (London, 1907), pp. 85–6; Encyclopaedia of Islam, 2nd edn, ed. H.A.R. Gibb et al., 13 vols (Leiden, 1960–2009), vol. iii, pp. 274–5, s.v.; Hatim al-Ta'i (C. van Arendonk); Ulrich Marzolph and Richard van Leeuwen, The Arabian Nights Encyclopedia, vol. i, pp. 216–17.

8 Charles Lyall, Mufadaliyyat: An Anthology of Ancient Arab Odes, 2 vols (Oxford, 1918), p. 28n; T. Fahd, 'La Divination Arabe: études religeuses, sociologiques et folkloriques sur le milieu natif de l'Islam, (Leiden, 1966), pp. 204–13; T. Fahd, 'Maysir', in Encyclopaedia of Islam, vol. vi, pp. 923–4.

9 Charles James Lyall, Translations of Ancient Arabic Poetry, Chiefly Pre-Islamic (London, 1930), p. xxv.

10 On the pre-Islamic qasida, see Nicholson, A Literary History, pp. 77–9; Renate Jacobi, 'The Camel Section of the Panegyrical Ode' Journal of Arabic Literature, xiii (1982), pp. 1–22; Suzanne Pinckney Stetkevych, The Mute Immortals Speak: Pre-Islamic Poetry and the Poetics of Ritual (Ithaca and London, 1983), pp. 3–54; Stefan Sperl and Christopher Shackle, eds, Qasida Poetry in Islamic Asia and Africa, 2 vols, (Leiden, 1996); Robert Irwin, Night and Horses and the Desert: An Anthology of Classical Arabic Literature (London, 1999), pp. 3–7.

11 A. J. Arberry, The Seven Odes (London, 1957), p. 61.

12 On Tarafa and his ode, see Michael Sells, ' 'The Mu'allaqa of Tarafa', Journal of Arabic Literature, xvii (1986), pp. 21–33; Thomas Bauer, 'Tarafa ibn al-'Abd', in Julie Scott Meisami and Paul Starkey, Encyclopedia of Arabic Literature (London and New York, 1998), vol. ii, p. 759.

13 Arberry, Seven Odes, p. 83.

14 Sir William Jones, cited in ibid., p. 78.

15 W. Heinrichs, 'Radjaz', Encyclopedia of Islam (2-vol edn), vol. viii, pp. 375–9.

16 Richard Burton, Personal Narrative of a Pilgrimage to Al-Madinah and Meccah, 2 vols, 1st edn (London, 1855, Memorial edn, London 1893), vol. ii, p. 133n.

17 Joseph von Hammer-Purgstall, 'Das Kamel', Kaiserliche Akademie der Wissenschaften zu Wien, Philosophisch-historische Classe. Denkschriften, vol. vi (1855), pp. 1–84, vol. vii (1856), pp. 1–104; cf. Georg Krotkoff, 'Hammer-Purgstall's Schrift

"Das Kamel"', Wiener Zeitschrift fur die Kunde des Morgenlands, lxxxii (1992), pp. 261–8.

18 Wilfred Thesiger, Arabian Sands (London, 1959), p.84.

19 Lane, An Arabic-English Lexicon.

20 Jorge Luis Borges, 'The Argentine Writer and Tradition', in Borges, Selected Non-Fictions, ed. Eliot Weinberger (New York, 1999), pp. 423–4.

21 Barnaby Rogerson, The Heirs of the Prophet Muhammad and the Roots of the Sunni-Shia Schism (London, 2006) p. 296; cf. on the Battle of the Camel, L. Veccia Vaglieri, 'al-Djamal', in The Encyclopaedia of Islam (2-vol edn), vol. i, p. 414; G.R. Hawting, The First Dynasty of Islam, (Beckenham, Kent, 1986), p. 27.

22 Al-Asma'i, Kitab al-Ibil, ed. A. Haffner (Baghdad, 1905); Herbert Eisenstein, Einführung in Arabische Zoographie (Berlin, 1991), p. 55; M. G. Carter, 'Al-Asma'i', in Routledge Encyclopedia, vol. i, p. 110; B. Lewin, 'Al-Asma'i', Encyclopedia of Islam (2-vol edn), vol. i, p. 717.

23 Al-Jahiz's Book of Beasts exists in an Arabic edition, Kitab al- Hayawan, ed. 'Abd al-Salam M. Harun, 8 vols, 2nd edn (Cairo, 1965–7). Selected extracts have been published in French as Jahiz, Le Cadi et la Mouche: anthologie du Livre des Animaux, ed. and trans. Lakhdar Souami (Paris, 1988) and Al-Jahiz, Le Livre des animaux: de l'étonnante sagesse divine dans sa création et autres anecdotes, trans. Mohamed Mestiri (Paris, 2003). On the Book of Beasts, see N. Bel-Haj Mahmoud, La Psychologie des Animaux chez les Arabes, notament à travers le Kitab al-Hayawan de Dhahiz (Paris, 1977). On the fascinating figure of al-Jahiz more generally, see Charles Pellat, Le Milieu

Basrien et la Formation de Jahiz (Paris, 1953); Charles Pellat, ed., The Life and Works of Jahiz, trans. D. M. Hawke (Berkeley and Los Angeles, 1969); Donald Richards, 'Al-Jahiz' in Meisami and Starkey, Encyclopedia, vol. i, pp. 408–9.
24 Al-Jahiz, Le Cadi et la Mouche, p. 276.
25 Joel. L. Kraemer, Humanism in the Renaissance of Islam: The Cultural Revival during the Buyid Age (Leiden, 1993), p. 262.
26 Len E. Goodman, The Case of the Animals Versus Man Before the King of the Jinn: A Tenth-century Ecological Fable of the Pure Brethren of Basra (Boston, ma, 1978), pp. 60–61.
27 Van Gelder, Of Dishes and Discourse, pp. 12–13.
28 R. A. Nicholson, Translations of Eastern Poetry and Prose (Cambridge, 1922), p. 104.
29 Al-Damiri, Hayat al-Hayawan (A Zoological Lexicon), trans. A.S.G. Jaykar, 2 vols (London, 1906), vol. i, pp. 26–34, 434–47.
30 Burton, The Arabian Nights, vol. vi, p. 92n.
31 Al-Damiri, Hayat al-Hayawan, vol. i, p. 447.
32 Richard Bulliet, The Camel and the Wheel (Cambridge, ma, 1975), p. 220.
33 Adel T. Adamova and Michael J. Rogers, 'The Iconography of a Camel Fight', Muqarnas, xxi, pp. 1–14.

الفصل الخامس: جمال الحيوان: الأدب والفن

1 Timon Screech, Sex and the Floating World: Erotic Images in Japan (London, 1999), pp. 159–60.
2 Tetsuo Nishio, 'The Arabian Nights and Orientalism from a Japanese Perspective', in Yuriko Yamanaka, The Arabian Nights and Orientalism: Perspectives

from East and West (London, 2006), p. 157.
3 Elfriede R. Knauer, The Camel's Load in Life and Death: Iconography and Ideology in Chinese Pottery (Zurich, 1998).
4 D.D.R. Owen, trans., The Romance of Reynard the Fox (Oxford, 1994), pp. 94–5.
5 John Ruskin, The Bible of Amiens (London, 1885), in The Works of John Ruskin, ed. E. T. Cook and Alexander Wedderburn, 39 vols (London and New York, 1903–12), vol. xxxiii, p. 153.
6 Richard Ettinghausen, Oleg Grabar, Marilyn Jenkins-Madina, Islamic Art and Architecture 650–1250 (New Haven and London, 2001), p. 299; Oleg Grabar, 'The Experience of Islamic Art', in The Experience of Islamic art on the Margins of Islam, ed. Irene A. Bierman (Reading, 2005), pp. 30–47.
7 Beryl Rowland, Animals with Human Faces: A Guide to Animal Symbolism (London, 1974), pp. 48–50.
8 Geoffrey Chaucer, 'The Pardoner's Tale', in The Canterbury Tales, in The Riverside Chaucer, ed. Larry D. Benson, 3rd edn (Oxford, 1988); Rowland, Animals with Human Faces, p. 49.
9 Edmund Spenser, The Faerie Queen, i, iv, 27.
10 Michael Levey, Giambattista Tiepolo: His Life and Art (New Haven, ct, and London, 1986), p. 198; Svetlana Alpers and Michael Baxandall, Tiepolo and the Pictorial Intelligence (New Haven, ct, and London), p. 162.
11 Thomas L. Glen, 'A Note on Rebecca and Eliezer at the Well of 1648', Art Bulletin, lvii (June 1955), pp. 221–4; Moshe Barasch, Theories of Art, vol. i, From Plato to Winkelmann (London, 2000), pp. 366–7; Paul Smith and Carolyn Wilde, A Companion to Art Theory (Oxford, 2002), p. 96; Christopher G.

Hughes, 'Embarras and Discovenance in Poussin's Rebecca and Eliezer at the Well', Art History, xxiv (2003), pp. 493–519.

12 Alastair Hamilton, Arab and Islamic Culture in the Heritage Library of Qatar Foundation: The European Legacy (n.p., 2006), p. 61; Sarah Wimbush, 'Elijah Walton (1832–1880), Landscape Painter' in Oxford Dictionary of National Biography, ed. H.G.C. Matthew and Brian Harrison, 60 vols (Oxford, 2004), vol. 57, pp. 198–9.

13 Kristian Davies, The Orientalists: Western Artists in Arabia, Persia and India (New York, 2005) p. 56.

14 A monograph on John Frederick Lewis by Emily Weeks is forthcoming.

15 John Ruskin, 'Academy Notes 1856', in The Works, vol. xiv, p. 74.

16 Ruskin, 'Academy Notes 1859', in The Works, vol. xiv, p. 219.

17 Robert Burton, The Anatomy of Melancholy [1651], ed. Holbrook Jackson (London, 1932), book 3, section 3, p. 262.

18 Sir Thomas Browne, Religio Medici, in The Works of Sir Thomas Browne, ed. Charles Sayle, 3 vols (Edinburgh, 1912), vol. i, p. 24.

19 Gustave Flaubert, Madame Bovary, trans. Alan Russell (Harmondsworth, 1950), p. 242.

20 Francis Steegmuller, trans. and ed., Flaubert in Egypt (London, 1972), p. 43; cf. Geoffrey Wall, Flaubert: A Life (London, 2001), p. 177

21 Julian Barnes, Flaubert's Parrot (London, 1984), pp. 54–5.

22 Rose Macaulay, The Towers of Trebizond (London, 1956), p. 7.

23 John F. Keane, Six Months in the Hejaz (London, 1887), pp. 362–3.

24 Robyn Davidson, Tracks (London, 1980), p. 65.
25 At en.wikipedia.org/wiki/Mankurt.
26 Chingiz Aitamov, The Day Lasts Longer Than a Hundred Years, (London, 1983); cf. John Clute and Peter Nicholls, eds., The Encyclopedia of Science Fiction (London, 1993), pp. 9–10.
27 Aitamov, The Day, p. 41.
28 Ibid., pp. 173–4.
29 Ibid., p. 280.
30 Rudyard Kipling, Rudyard Kipling's Verse: Definitive Edition (London, 1943), pp. 408–9.
31 Ibid., p. 247.
32 Rudyard Kipling, Just So Stories (London, 1902), pp. 15–27.
33 Charles Doughty, Arabia Deserta [1888], 3rd edn (London, 1936), vol. i, p. 262.
34 Ibid., vol. i, p. 472.
35 T. E. Lawrence, The Seven Pillars of Wisdom: The Complete 1922 'Oxford' Text (Fordingbridge, 2004), p. 187.
36 Ibid., p. 300.
37 Sam Cottingham Rolls, Steel Chariots in the Desert (London, 1937).
38 Howard Kent, Single Bed for Three: A Lawrence of Arabia Notebook (London, 1963), p. 139. On the filming of Lawrence more generally see Adrian Turner, The Making of David Lean's Lawrence of Arabia (Limpsfield, Surrey, 1994); Steven C. Caton, Lawrence of Arabia: A Film's Anthropology (Berkeley, ca, 1999); Kevin Jackson, Lawrence of Arabia (London, 2007).
39 Kent, Single Bed for Three, p. 103.

1 William Foxwell Albright, The Archaeology of Palestine (Harmondsworth, 1949), p. 106.
2 R. T. Wilson, The Camel (London, 1984), pp. 5–7.
3 The fullest discussion of the chronology of domestication is to be found in Richard W. Bulliet, The Camel and the Wheel (Cambridge, ma, 1975). See also reviews of this book by R. B. Sergeant in Bulletin of the School of Oriental and African Studies, xxxix (1976), pp. 662–4 and by Peter von Sivers in Journal of the American Oriental Society, ix (1978), pp. 163–4.
4 On the domestication of the Bactrian and the silk route, see Jean Paul Roux, 'Le Chameau en Asie Centrale: son nom – son elevage – sa place dans la mythologie', Central Asiatic Journal, v (1959), pp. 35–76; Bulliet, The Camel and the Wheel, pp. 148–56, 164, 170; Frances Wood, The Silk Road: Two Thousand Years in the Heart of Asia (London, 2002); E. E. Kuzmina, The Prehistory of the Silk Road (London, 2008).
5 Bulliet, The Camel and the Wheel, pp. 77–86.
6 Herodotus, The Histories, trans. Aubrey de Sélincourt, (Harmondsworth, 1954), p. 218.
7 Bulliet, The Camel and the Wheel, p. 107.
8 Juliet Clutton-Brock, A Natural History of Domesticated Mammals, 2nd edn (Cambridge, 1999), p. 159.
9 E. W. Bovill, The Golden Trade of the Moors, 2nd edn (Oxford, 1968); Bulliet, The Camel and the Wheel, pp. 111–40; Bulliet, 'Botr et Beramés: hypothèses sur l'histoire des Berbères, Annales: economies sociétés, civilisations, xxxvi (1981), pp.

104–16.

10 Bulliet, The Camel and the Wheel, pp. 92–3, 100–2, 108–9; Christian Augé and Jean-Marie Dentzer, Petra, The Rose-Red City (London, 2000), p. 31. 'The Camel, Ancient Ship of the Desert and the Nabataeans', nabataea.net/camel.htmml.

11 Bulliet, The Camel and the Wheel, p. 91.

12 Ibid., pp. 19–21, 101–4, 106–9.

13 Thesiger, Arabian Sands (London, 1959), pp. 57–8.

14 Bulliet, The Camel and the Wheel, especially pp. 216–36.

15 Crone 'Quraysh and the Roman Army: Making Sense of the Meccan Leather Trade', Bulletin of the School of Oriental and African Studies, lxx (2007), pp. 63–88.

16 D. R. Hill, 'The Role of the Camel and the Horse in the Early Arab Conquests', in War, Technology and Society in the Middle East, ed.

V. J. Parry and M. E. Yapp (London, 1975), pp. 32–43.

17 Adam J. Silverstein, Postal Systems in the Pre-Modern Islamic World, (Cambridge, 2007), pp. 112–13.

18 David Ayalon, 'The System of Payment in Mamluk Military Society', Journal of Economic and Social History of the Orient, i (1958), pp. 270–71.

19 Ahmad Darrag, L'Égypte sous le Règne de Barsbay (Damascus, 1961), p. 90.

20 'The Travels of Bertandon de la Brocquière' in Thomas Wright, Early Travels in Palestine (London, 1848), pp. 300–1.

21 Simone Sigoli, Viaggio al-Monte Sinai (Milan, 1841), p. 80.

22 Felix Fabri, Le Voyage en Egypte de Felix Fabri, 1483, ed. and trans. Jacques Masson, 3 vols (Paris, 1975), vol. i, pp. 48–56.

23 Arnold von Harff, The Pilgrimage of Arnold Von Harff Knight, ed. and trans. Malcolm Letts (London, 1946), pp. 134–6.
24 Bulliet, The Camel and the Wheel, p. 241.
25 Ibid., pp. 240–41.
26 Samuel C. Chew, The Crescent and the Rose: Islam and England during the Renaissance (New York, 1937), p. 468.
27 Geoffrey Parker, Philip ii (Chicago, 1995), pp. 40–41.
28 Bulliet, The Camel and the Wheel, pp. 241–2.
29 H. M. Barker, Camels and the Outback (London, 1964); see also Tom L. Knight, The Camel in Australia (Melbourne, 1969); Kathy Marks, 'Australia Remembers the "Cameleers"', Independent, 14 December 2007, pp. 44–5.
30 Report of the Secretary of State of War Communicating in Compliance with a resolution of the senate of February 2 1857. Information Respecting the Purchase of Camels for the purposes of military Transportation (Washington, 1857); Odie B. Faulk, The US Camel Corps: An Army Experiment (New York, 1976). Joe Zentner, 'The Great Southwestern Desert Camel Experiment', www.desertusa.com/mag05/sep/camel.html.
31 On the French in North Africa, E.W. Bovill, The Golden Trade of the Moors, 2nd edn (Oxford, 1968), p. 250; Hilde Gautier-Pilters and Anne Innis Dagg, The Camel: Its Evolution, Ecology and Relationship to Man (Chicago, 1981), pp. 156–61.
32 On the British Camel Corps, see Camel Corps Training Provisional, (London, 1913); G. Keays, 'A Note on the History of the Camel Corps', Sudan Notes and Records, xxii (1939), pp. 135–7; C. S. Jarvis, Arab Command: The Biography of

Lieutenant-Colonel F. W. Peake Pasha; Geoffrey Inchbald, Camels and Others (London, 1968) and Imperial Camel Corps (London, 1970); Neville Rowen Forth, A Fighting Colonel of Camel Corps: The Life and Experience of Lt. Col. N. B. de Lancey Forth dso (and bar) mg, 1879–1933 of the Manchester Regiment and Egyptian Army (Bramton, Devon, 1991). See also Juliet Gardiner, The Animals' War: Animals in Wartime from the First World War to the Present Day (London, 2006), pp. 55–67.

33 Barker, Camels and the Outback, p. 170.

34 Arnold Leese, Out of Step: Events in the Two Lives of an Anti-Jewish Camel-doctor (Guildford, 1951).

35 Wilson, The Camel, pp. 425–6; T. E. Lawrence, Seven Pillars of Wisdom: The Complete 1922 'Oxford' Text (Fordingbridge, Hampshire, 2004), pp. 368–9.

36 Jeremy Wilson, T. E. Lawrence: Lawrence of Arabia (London, 1988), p. 139.

37 Arnold Leese, The One-Humped Camel in Health and in Disease, (Stamford, ca, 1927); 'Arnold Spencer Leese', at http://en. wikipedia.org/wiki/ Arnold_Spencer_Leese.

الفصل السابع: جمل الحداثة

1 Z. Farah and A. Fischer, Milk and Meat from the Camel: Handbook on Products and Processing (Zurich, 2004), p. 15; cf. R. T. Wilson, The Camel (London, 1984), pp. 18–19.

2 William Lancaster, The Rwala Bedouin Today (Cambridge, 1981).

3 Dawn Chatty, 'The Pastoral Family and the Truck',

in Philip Carl Salzman, When Nomads Settle: Processes of Sedentarization as Adaptation and Response (New York, 1980), pp. 80–94.

4 Louise E. Sweet, 'Camel Raiding of the North Arabian Bedouin: A Mechanism of Ecological Adaptation', American Anthropology, lxvii (1965), pp. 1132–50.

5 Donald Powell Cole, Nomads of the Nomads: The al Murrah Bedouin of the Empty Quarter (Arilington Heights, il, 1975).

6 On camel racing in the Arabian Peninsula, see D. H. Snow, 'An Introduction to the Racing Camel', in W. J. Allen et al., Proceedings of the First International Camel Conference (Newmarket, Suffolk, 1992), pp. 215–17; R. J. Rose, D. L. Evans, P. K. Knight, P. Henckel, D. Cluer and B. Saltin, 'Muscle Fibre Types: Fibre Recruitment and Oxygen Uptake During Exercise in the Racing Camel', in ibid., pp. 219–22; W. R. Cook, 'Some Observations on Respiration in the Racing Camel', in ibid., pp. 235–42; J. Kohnke and D. Cluer, 'Practical Feeding and Nutrition of Racing Camels: A Preliminary Survey' in ibid., pp. 247–50.

7 Time Out Dubai, Abu Dhabi and the uae (London, 2007), p. 218; usa Today, 20 April 2005, p. 10a; en.wikipedia.org/wiki/Robot_ jockey; 'Photo in the News: Robot Jockeys Race in Qatar', National Geographic News, 9 December 2008, news. nationalgeographic. com/news/2005/07/0715_ robot_jockey.html. 8 Sulayman Khalaf, 'Poetics and Politics of Newly Invented Traditions in the Gulf: Camel Racing in the United Arab Emirates', Ethnology, xxxix (2000), pp. 243–61.

9 Allen et al., Proceedings of the First International Camel Conference.

10 Irfan Orga, The Caravan Moves On (London, 1958), pp. 58–9.

11 'Camel Wrestling', en.wikipedia.org/wiki/Camel_wrestling; 'Camel wrestling', www.allaboutturkey.com/camel.htm.

12 Michael Asher, A Desert Dies (Harmondsworth, 1986).

13 'A Leading Player in the Darfur Drama: The Hapless Camel, ny Times News Service, Fagoo, Sudan, 6 December 2005, p.6. On the fighting in Darfur more generally, see M. W. Daly, Darfur's Sorrow: A History of Destruction and Genocide (New York, 2007); Richard Rottenburg, Nomadic-Sedentary Relations and Failing State Institutions in Darfur and Kordofan (Sudan) (Halle, 2008).

14 The Observer, 4 December 2005, p.13. There is a novel on the subject: Masha Hamilton, The Camel Bookmobile (London, 2007). Book donations can be sent to Garissa Provincial Library, For Camel Library, Provincial Librarian, Rashid M. Farah, P.O. Box 245–70100, Garissa, Kenya.

15 Hilde Gautier-Pilters and Anne Innis Dagg, The Camel: Its Evolution, Ecology and Relationship to Man (Chicago, 1981), pp. 143–5 and 162.

16 'Why Camelbert Cheese May Give Europe the Hump', Independent,

27 April 2007, p. 33; 'Mauritania Camel Dairy Pioneer Tells of Changes', The Times, 21 April 2006, p. 17.

17 Abigail Hole, Martin Robinson, Sarina Singh, Rajasthan, Delhi and Agra: Lonely Planet (London, 2005), p. 212; The Times, 16 November 2005, p. 37.

18 'National Research Center on the Camel', at www.icar.org.in/ nrccm/index.php. The website of the Bikaner-based Journal of Camel Practice and Research is www.camelsandcamelids.com.

19 Robyn Davidson, Desert Places (London, 1996); 'Rajasthan chief minister commits to camels', www.lpps.org/.

20 Bernard Langan, 'Camels go on Rampage After they get Hump Over Drought', The Times, 9 December 2006, p. 54; James Woodford, 'Welcome to Camel Country: Future Population 60 Million', www.smh.com.au/articles/2002/12/20/1040174390961.html. The website of Australian Camel News, Racing and Information is at www.austcamel.au/informn.htm

21 John Hare, The Lost Camels of Tartary: A Quest into Forbidden China (London, 1998). The Wild Camel Protection Foundation is on the Web at www.wildcamels.com. See also Matthew Parris, 'Desert Downturn', The Times, 23 October 2008, p. 28.

ببليوجرافيا مختارة

- Adamova, Adel, and M. J. Rogers, 'The Iconography of a Camel Fight', Muqarnas, xxi (2004), pp. 1–14 Aitmatov, Chingiz, The Day Lasts More Than a Hundred Years, trans. John French [1980] (London, 1983)
- Allen, W. J., et al, Proceedings of the First International Camel Conference (Newmarket, Suffolk, 1992)
- Arberry, A. J., The Seven Odes (London, 1957)
- Asher, Michael, A Desert Dies (Harmondsworth, 1986)
- —, The Last of the Bedu: In Search of the Myth (London, 1996)
- Barker, H. M., Camels and the Outback (London, 1964)
- Bel-Haj Mahmoud, N., La psychologie des des animaux chez les Arabes (n.p., 1977)
- Bulliet, Richard W., The Camel and the Wheel (Cambridge, ma, 1975)
- —, Hunters, Herders and Hamburgers: The Past and Future of Humananimal Relationships (New York, 2005)
- —, 'Botr et Beranés: hypotheses sur l'histoire des Berbères', Annales, economies, sociétés, civilisations, xxxvi (1981), pp. 104–16
- —, Encyclopedia Iranica, s.v. 'Camel' Burton, Sir Richard Francis, First Footsteps in Africa; Or, an Exploration of Harar [1856] (London, 1966)
- Chenety, David R., 'The Meaning of the Cloud in Hamlet', Shakespeare Quarterly, x (1959), pp. 446–7
- Chew, Samuel, C., The Crescent and the Rose: Islam and England During the Renaissance (New York, 1937)
- Cloudsley-Thompson, John, Deserts and Grasslands: The World's Open Spaces (London, 1975)
- Cockrill, W. S., ed., The Camelid: An All-Purpose Animal, 2 vols (Uppsala, 1984)

- Cole, Donald Powell, Nomads of the Nomads: The l Murrah Bedouin of the Empty Quarter, (Arlington Heights, il, 1975)
- Cole, Sonia and Maitland Howard, Animal Ancestors (London, 1964)
- Crone, Patricia, The Meccan Trade and the Rise of Islam (Oxford, 1987)
- —, 'Quraysh and the Roman Army: Making Sense of the Meccan Leather Trade', Bulletin of the School of Oriental and African Studies, lxx (2007), pp. 63–88
- Al-Damiri, Hayat al-Hayawan (a Zoological Lexicon), trans. A.S.G. Jaykar, 2 vols (London, 1906)
- Davidson, Robyn, Desert Places (London, 1996)
- —, Tracks (London, 1980)
- Davies Kristian, The Orientalists: Western Artists in Arabia Persia and India (New York, 2005)
- Davies, Reginald, The Camel's Back: Service in the Rural Sudan (London, 1957)
- Dickson, H.R.P., The Arab of the Desert (London, 1949)
- Donlon, John G., 'Camel Wrestling', Bizarre, xl (n.d)., pp. 87–9 Doughty, Charles, Travels in Arabia Deserta, 2 vols. (Cambridge, 1888)
- Dumreicher, André von, Trackers and Smugglers in the Deserts of Egypt (London, 1931)
- Eisenstein, Einfuhrung in Arabische Zoographie: das tierkundliche Wissenschaft in der arabisch-islamisch Literatur (Berlin, 1991)
- Eliade, Mircea, Occultism, Witchcraft and Cultural Fashions: Essays in Comparative Religions (Chicago, il, 1976)
- Fahd T., s.v. 'al-Maysir', in Encyclopaedia of Islam (2nd edn) Farah, Z. and A. Fischer, eds, Milk and Meat from the Camel: Handbook on Products and Processing (Zurich, 2004)
- Faulk, B. Odie, The us Camel Corps: An Army

Experiment (New York, 1976)
- Fergus Fleming, The Sword and the Cross (London, 2003)
- Foltz, Richard, C., Animals in Islamic Tradition and Muslim Cultures (Oxford, 2006)
- Forbes, Rosita, The Secret of the Sahara: Kufara (London, 1921)
- Forth, Nevill de Rouen, A Fighting Colonel of the Camel Corps. The Life and Experiences of Lt. Col. N.B. dsso (& Bar), mg 1879–1933 of the Manchester Regiment and Egyptian Army (Braunton, Devon, 1991)
- Freud, Sigmund, Totem and Taboo, trans. James Strachey (London, 1950)
- Gardiner, Juliet, The Animal's War: Animals in Wartime from the First World War to the Present Day (London, 2006)
- Gautier-Pilters, Hilde, and Anne Innis Dagg, The Camel: Its Evolution, Ecology, Behaviour and Relationship to Man (Chicago, 1981)
- Haines, Tim and Paul Chambers, The Complete Guide to Prehistoric Life (London, 2005)
- Hare, John, The Lost Camels of Tartary: A Quest into Forbidden China (London, 1998)
- —, Lost Cities in the Heart of Asia (forthcoming, 2009)
- —, Shadows Across the Sahara: Travels with Camels from Lake Chad to Tripoli, (London, 2003)
- Harrison, Jessica, A., Giant Camels from the Cenozoic of North America, (Smithsonian Contributions to Paleobiology, no. 57) (Washington, 1985)
- Higgins, Andrew, ed., The Camel in Health and Disease (Eastbourne, 1986).
- Hill, D. R., 'The Role of the Camel and the Horse in the Early Arab Conquests', in War, Technology and Society in the Middle East, ed. V. J. Parry and M. E. Yapp (London, 1975), pp. 32–43

- Inchbald, Geoffrey, Camels and Others (London, 1968)
- —, Imperial Camel Corps (London, 1970)
- Jackson, Clarence, J.-L., (a.k.a. Bulliet), Kicked to Death by a Camel (New York, 1973)
- Ingham, Bruce, 'Camel Terminology Among the Al Murrah Bedouins', Zeitschrift für arabische Linguistik, xxii (1990), pp. 67–78
- Jabbur, Jibrail S., The Bedouins and the Desert: Aspects of Nomadic Life in the Desert, trans. Lawrence Conrad (New York, 1996)
- Jacobi, Renata, 'The Camel Section of the Panegyrical Ode', Journal of Arabic Literature, xiii (1982), pp. 1–22
- Jarvis, C. S., Arab Command: The Biography of Lieutenant-Colonel F. W. Peake Pasha (London, 1942).
- —, Yesterday and Today in Sinai (Edinburgh, 1931)
- Jones, Alan, Early Arabic Poetry Volume One: Marathi and Sul'uk Poems (Reading, 1992)
- —, Early Arabic Poetry Volume Two: Select Odes (Reading, 1996)
- Kaye, Alan S., 'Semantic Transparency and Number Marking in Arabic and Other Languages' Journal of Semitic Studies, l (2005), pp. 155–96.
- Keane, John F., Six Months in the Hejaz: An Account of the Mohammedan Pilgrimage to Mecca and Medinah: Accomplished by an Englishman Professing Mohammedanism (London, 1887)
- Kent, Howard, Single Bed For Three: A 'Lawrence of Arabia' Notebook, (London, 1963)
- Khalaf, Sulayman, 'Poetics and Politics of Newly Invented Traditions in the Gulf; Camel Racing in the United Arab Emirates', Ethnology, xxxix (2000), pp. 243–61
- Kingdon, Jonathan, Arabian Mammals: A Natural History (London, 1991)
- Kinglake, Alexander, Eothen (London, 1844)

- Kipling, John Lockwood, Beast and Man in India (London, 1891)
- Knauer, Elfriede Regina, The Camel's Load in Life and Death (Zurich, 1998)
- Knight, Tom L., The Camel in Australia (Melbourne, 1969)
- Konigsberger, E. L., Journey by First Class Camel (London, 1983)
- Kurtén, Björn, The Age of Mammals (London, 1971)
- Kuzmina, E. E. The Prehistory of the Silk Road (Philadelphia, pa, 2008)
- Lancaster, William, The Rwala Bedouin Today (Cambridge, 1981)
- Lane, Edward William, An Arabic-English Lexicon [1863–93], 2 vols (Cambridge, 1984)
- Lawrence, T. E., The Seven Pillars of Wisdom: The Complete 1922
- 'Oxford' Text, ed. J. and N. Wilson (Fordingbridge, Hampshire, 2004)
- Leese, Arnold Spencer, The One-Humped Camel in Health and Disease (Stamford, 1927)
- —, Out of Step: Events in the Two Lives of an Anti-Jewish Camel-doctor (Guildford, 1951)
- Leonard, Arthur Glyn, The Camel, Its Uses and Management (London, 1894)
- Lyall, Charles James, ed. and trans., The Mufadaliyyat (London, 1924)
- —, 'Translations of Ancient Arabian Poetry, Chiefly Pre-Islamic' (London, 1930)
- Macaulay, Rose, The Towers of Trebizond (London, 1956)
- Peter McGrath, 'Sudan's Camel Healers', in Dry: Life Without Water, ed. Ehsan Masood and Daniel Schaffer (Cambridge, ma, 2006) pp. 16–25
- Mahmoud, Neffi Bel-Hajj, La Psychologie des animaux

chez les Arabes (Paris, 1977)
- Marozzi, Justin, South from Barbary: Along the Slave Routes of the Libyan Sahara (London, 2001)
- Martin, P. S., and H. E. Wright, Sr, Pleistocene Extinctions: The Search for a Cause, vol. vi of Proceedings of the Seventh Congress of the Inter -
- national Association for Quaternary Research (New Haven, ct, 1967)
- McGrath, Peter, 'Sudan's Camel Healers', in Dry: Life Without Water, ed. Masood and Schaffer
- Moorhouse, Geoffrey, The Fearful Void (London, 1974)
- Musil, Alois, The Manners and Customs of the Rwala Bedouins (London, 1974)
- Nelson, Cynthia, ed., The Desert and Sown: Nomads in the Wilder Society (Berkeley, ca, 1873)
- Norwich, John Julius, Sahara (London, 1968)
- Pellat, Charles, Encyclopedia of Islam, 2nd edn, s.v. Ibil. Prothero, Donald, After the Dinosaurs: The Age of Mammals (Bloomington and Indianapolis, 2006)
- Ripinsky, Michael M., 'The Camel in Ancient Arabia', Antiquity, xlix (1975), pp. 295–8
- —, 'Camel Ancestry and Domestication in Egypt and the Sahara', Archaeology, xxxvi (1983), pp. 21–7
- Robinson, A. E., 'The Camel in Antiquity', Sudan Notes and Records, xix (1936), pp. 47–69
- Romer, Alfred S., The Vertebrate Story (Chicago, 1959)
- Roux, Jean-Paul, 'Le Chameau en Asie Centrale: son nom – son elevage – sa place dans la mythologie' Central Asiatic Journal, v (1959), pp. 35–76
- Rowland, Beryl, Animals with Human Faces: A Guide to Animal Symbolism (London, 1974)
- Ruskin, John, The Works of John Ruskin, ed. E. T. Cook and Alexander Wedderburn, 39 vols (London and New York, 1903–12)
- Russell Pasha, Thomas, Egyptian Service 1902–1946

(London, 1949)

- Salzman, Philip Carl, ed., When Nomads Settle: Processes of Sedenterization as Adaptation and Response (New York, 1980).
- Schmidt-Nielsen, Knut, Desert Animals: Physiological Problems of Heat and Water (Oxford, 1964)
- Screech, Timon, Sex and the Floating World: erotic images in Japan, 1700–1820 (London, 1999)
- Serjeant, R. B., review of Bulliet's The Camel and the Wheel, in Bulletin of the School of Oriental and African Studies, xxxix (1976), pp. 662–4
- Sells, Michael, 'Mu'allaqa of Tarafa translated by Michael Sells', Journal of Arabic Literature, xvii (1986), pp. 21–34
- Smuts, Malie M. S. and A. J. Bezeidenhout, Anatomy of the Dromedary (Oxford, 1987).
- Stetkevych, Suzanne Pinckney, Mute Immortals Speak: Pre-Islamic Poetry and the Poetics of Ritual (Cornell, ny, 1973)
- Stetkevych, Jaroslav, 'Name and Epithet: The Philology and Semiotics of Animal Nomenclature in Early Arabic Poetry', Journal of Near Eastern Studies, xlv (1986), pp. 89–124
- Sweet, Louise E., 'Camel Raiding of the North Arabian Bedouin; A Mechanism of Ecological Adaptation', American Anthropologist, lxvi (1965), pp. 1132–50
- Tate, Ro, Desert Animals (London, 1971)
- Tench, Richard, Forbidden Sands (London, 1978)
- Thesiger, Wilfred, Arabian Sands (London, 1959)
- Van Gelder, Geert Jan, Of Dishes and Discourse: Classical Arabic Literary Representations of Food (Richmond, Surrey, 2000)
- Von Dumreicher, André, Trackers and Smugglers in Egypt (London, 1951)
- Von Hammer, Joseph Freiherr von, 'Das Kamel',

Kaiserliche Akadamie Wissenschaft, vols vi and vii (1855–6)

- Von Sivers, Peter, review of Bulliet's The Camel and the Wheel in Journal of the American Oriental Society, ix (1978), pp. 163–4.
- War Office, Camel Corps Training Provisional (London, 1913)
- Wellard, James, Samarkand and Beyond: A History of Desert Caravans (London, 1977)
- Wilson, R. T., The Camel (London, 1984)
- —, 'The Nutritional Requirements of Camel', Options Méditerranéennes, ii (1989), pp. 171–9
- Wolseley, Sir Garnet J., The Soldier's Pocket-Book for Field Service, 4th edn (London, 1882)
- Wood, Frances, The Silk Road: Two Thousand Years in the Heart of Asia (London, 2002)
- Yagil, Reuven, The Desert Camel: Comparative Physiological Adaptation (Basel, 1985)

جمعيات ومواقع إلكترونية

هناك عدد مدهش من المواقع الإلكترونية المخصصة للجمال. نورد هنا القليل من أكثرها فائدة:

LIVIUS.ORG
(devoted to the camel in classical antiquity)
http://www.livius.org/caa-can/camel/camel.html

LOKHIT PASHU-PALAK SANSTHAN
(devoted to the welfare of Rajasthan's pastoralists)
www.lppps.org

NATIONAL RESEARCH CENTRE ON THE CAMEL, BIKANER, RAJSTAN, INDIA
www.icar.org.in/nrccm/index.php

WILD CAMEL PROTECTION FOUNDATION
(the main site for the protection of the wild Bactrian. Jane Goodall is the patron of the Foundation and John Hare its founder and chairman).
www.wildcamels.com/book2html

WILD ANIMALS
www.wildcamels.com/news18htm

AUSTRALIAN CAMEL
http://austcamel.com.au/inform.htm

THE A-Z OF CAMELS
www.arab.net/camels

CAMELGATE
('the gateway to knowledge of sustainable use of camels')
www.camelgate.com

THE CAMEL HUB OF THE WEB
www.camelphotos.com

CAMELS AND THE NABATAENS
http://nabataea.net/camel.html

IMPARJA CAMEL CUP
www.camelcup.com.au

JOURNAL OF CAMEL PRACTICE AND RESEARCH
www.camelsandcamelids.com

عرفان وتقديـــر

أقدم عرفاني وتقديري، أولاً لنيل هورنيك Neil Hornick (مساعدي الذي لا يمل)، ثم هيلين إيروين Helen Irwin (التي التقطت الكثير من الصور الفوتوغرافية)، وتيد إيروين Ted Irwin وجون هير John Hare من مؤسسة الجمل البري، وأوليڤر دپري Oliver Duprey، الذي عمل في حديقة حيوان لندن سابقاً. وكذلك جوري جابرييل Juri Gabriel وجون باكستر John Baxter وريتشارد بوليت Richard Bulliet ووليام كلارنس-سميث William Clarence-Smith وألاستير هاملتون Alastair Hamilton وبرايان دن Brian Dunn وبارنبي روجرسون Barnaby Rogerson وآن سيلف Ann Sylph والمكتبة الأركادية وهيئات العاملين في مكتبة الجمعية الحيوانية بلندن ومكتبة لندن ومكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية.

وكذلك للعاملين في دار نشر رياكشِن الذين جعلوا إنتاج هذا الكتاب ممتعاً، وأخص منهم مايكل ليمان Michael Leaman وهاري جيلونيس Harry Gilonis ومارثا جاي Martha Jay.

حقوق الصـــور

يود المؤلف والناشرون التعبير عن شكرهم للمصادر التالية الخاصة بالمواد التوضيحية والإذن بإعادة إنتاجها. ونورد فيما يلي كذلك الأماكن وغيرها من المعلومات الخاصة ببعض المواد التي لم توضع في تعليقات الصور لأسباب تتعلق بالمساحة.

- Photo Alinari/Colorpoint/Rex Features: p. 6; from Man. Andr.sy, Utaz.s Kelet Indi.kon, Ceylon, Java, Khina, Beng.l (Budapest, 1853):
- p. 83; reproduced courtesy of David B. Appleton/ Appleton Studios:
- p. 111; photo courtesy of the The Arcadian Library, London: p. 117;Art Institute of Chicago: p. 144; photos courtesy of the author: pp. 49, 168,
- 171, 176, 179, 181, 189; collection of the author: pp. 27, 71; Bibliothèque Nationale de France, Paris: p. 80; Bodleian Library, University of Oxford:
- p. 109; British Library, London: p. 110; British Museum, London (photos © Trustees of the British Museum): pp. 72, 89, 93, 96, 141, 175
- (foot), 184; from le Comte de Buffon, Histoire Naturelle . . . vol. 29 (Paris, 1799–1800): p. 8; Capella degli Scrovegni, Padua: p. 113; photo click/
- morgueFile.com: p. 15; photo Daily Mail/

Rex Features: p. 174;The David Collection, Copenhagen: p. 91; photos courtesy of Oliver Duprey:

- pp. 13, 133; photo courtesy of Graber ag, Switzerland (www.kagra.ch):
- p. 180; from John Hare, The Lost Camels of Tartary (London: Little, Brown, 1998), by permission of the author (John Hare): p. 191; El Jem Museum, El Jem, Tunisia: p. 145; photo Philip Jones: p. 54; Nasser D. Khalili Collection of Islamic Art, © the Nour Foundation, courtesy the Khalili Family Trust: p. 75; from Rudyard Kipling, Just So Stories (London, 1902): p. 129; photos Pernille Klemp: pp. 77, 91; Kunstindustrimuseet, Copenhagen: p. 77; courtesy Jean-Marie Le Tensorer: pp. 44, 45; Library of Congress, Washington, dc (Prints and Photographs Division): pp.
- 22, 51, 53 (all G. Eric and Edith Matson Photograph Collection), 102 (Chadbourne Collection of Japanese Prints), 167 (Frank and Frances Carpenter Collection); © Michael Long/ Natural History Museum, London Picture Library: pp. 38, 40, 42; Metropolitan Museum of Art, New York: pp. 84, 108; Musée d'Orsay, Paris: p. 86; Musée du Louvre,
- Paris: pp. 76, 98 (foot), 112, 115 (top); from Alois Musil, The Manners and Customs of the Rwala Bedouins… (New York, 1928): pp. 50, 81, 175 (top); National Palace Museum, Taipei, Taiwan: p. 106; photo K. Nomachi/ Rex Features: p. 66; private collections: pp. 99, 103, 104, 115 (foot), 164;
- Clifford R. Prothero: p. 39; from Donald R. Prothero, After the Dinosaurs (Bloomington, in: Indiana University Press, 2006), reproduced by

kind permission of Indiana University Press: p. 39; from Eadweard Muybridge, Animal Locomotion (Philadelphia, 1887): p. 24; photo Lori Parsons: p. 25; photo © ralphp/2010 iStock International Inc.: p. 59; from reCollections (Journal of the National Museums of Australia) vol. 2, no. 2 (September 2007): p. 54; from Report of the Secretary of State for War, communicating, in compliance with a resolution of the Senate of February 2, 1857, information respecting The Purchase of Camels for the purposes of military transportation (Washington, dc, 1857): pp. 52, 57, 61, 149; Peter Schmid, University of Zurich: pp. 44, 45; from Edward Topsell, The Historie of Foore-Footed Beastes (London, 1607): p. 158; Victoria & Albert Museum, London London (photos v&a Images): pp. 18, 98

- (top), 105; from Arnold von Harff, The pilgrimage of Arnold von Harff, knight, from Cologne through Italy, Syria, Egypt, Arabia, Ethiopia, Nubia, Palestine, Turkey, France, and Spain, which he accomplished in the years 1496 to 1499: p. 156; from Elijah Walton, The Camel (London, 1865): p. 117; Werner Forman Archive/al-In Museum, Dubai: p. 148; Werner Forman archive/ Biblioteca Nacional, Madrid: p. 152; from R. T. Wilson, The Camel, © Pearson Education Ltd, 1984: pp. 20, 21, 28; Yale Centre for British Art, New Haven, ct (Paul Mellon Collection): p. 119; photos Zoological Society, London: p. 29, 55.

نبذة عن المترجم:

درّس روبرت إيروين التاريخ العربي والشرق أوسطي في جامعات لندن وكمبردج وأوكسفورد، وهو محرر الشرق الأوسط في الملحق الأدبي بجريدة «التايمز»، ويكتب لعدد من الصحف والمجلات في بريطانيا والولايات المتحدة. كما أنه زميل الجمعية الأدبية الملكية. وقد قام برحلات مكثفة إلى الشرق الأوسط والهند، وهو خبير بارز في الثقافة العربية. ومؤلف ومترجم وأسهم مؤخراً في كتابة مقدمة الترجمة الجديدة التي أصدرتها پنجوين لألف ليلة وليلة.

نبذة عن المترجم:

عضو نقابة الصحفيين واتحاد الكُتّاب المصريين وعضو لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة. ويعمل حالياً رئيساً لقسم الترجمة بجريدة الشروق القاهرية. شارك بترجمات في عدد من المجلات الثقافية ومنها «وجهات نظر» و«الثقافة العالمية».

حصل أحمد محمود على جائزة محمد بدران في الترجمة. وله العديد من الكتب المترجمة منها «طريق الحرير» و«الناس في صعيد مصر»، و«عالم ماك»، و«تشريح حضارة»، و«أبناء الفراعنة المحدثون» و«مصر: أصل الشجرة»، و«عصر الاضطراب»، و«الرقابة والتعتيم في الإعلام الأمريكي»، و«حياة زوجية سعيدة»، و«الأصول الاجتماعية للدكتاتورية والديمقراطية»، و«سجلات تاريخية من مصر القديمة»، و«عندما تتصادم العوالم» و«بناء الرخاء» و«نظام عالمي جديد».

الجمل

يكتب روبرت إيروين ببراعة عن الجمل في الفن عند پوسان وتيپولو وفي الأدب من مدام بوفاري إلى عشتار وفي أشعار امرئ القيس وأبي العلاء وغيرهما. وهو يقول إن الجمل رمز الصحراء والشرق الأوسط، وتراه عيون الكثيرين مخلوقاً يتسم بقدر كبير من الجَمال. الأمر الذي يتضح بصورة جلية في العالم العربي حيث كان للجمل دور مهم في التطور التاريخي للمجتمع العربي الذي كرّس له قدراً هائلاً من مفردات اللغة العربية والأعمال الأدبية التي لا حصر لها.

يبحث روبرت إيروين في كتابه سبب افتتان ثقافات كثيرة بالجمل، بما في ذلك المناطق التي لم يكن الجمل من حيواناتها المحلية. و هو يستجلي تاريخ الجمل منذ أصوله قبل ملايين السنين حتى الوقت الحالي.

لقد حظي الجمل على مر العصور بالتقدير لما تميز به من صفات عملية وجَلَد وقدرة أسطورية على البقاء. ويعد هذا الكتاب أول مسح يناقش دور الجمل في المجتمع والتاريخ في أنحاء العالم. ويضم ما يزيد عن المائة صورة ويقدم المعلومات التي يحتاج إليها أي شخص مهتم بهذا الحيوان الساحر.





هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة
ABU DHABI TOURISM & CULTURE AUTHORITY


9 789948 170440